الهدف

العدد 9
نيسان
2020

مجلة فكرية سياسية، يصدرها الحزب الشيوعي العمالي العراقي

اسس الشيوعية العمالية، الليبرالية الجديدة، حول مقولة "اعادة تشغيل "الصناعة الوطنية، الشيوعية العمالية والمنهجية الثورية، حقوق المراة و النضال ضد الشعبوية، حوار حول الثورة اللبنانية ، كنس مؤسسة الجيش من حياة الجماهير، منصور حكمت والافق اللينيني، النضال ضد البطالة ، ملف : كورونا والراسمالية ، وثائق

فارس محمود
سمير عادل
ريما ماجد
منصور حكمت
خسرو سايه
نادية محمود
توما حميد

الهدف

العدد / 9 / نيسان / 2020

مجلة فكرية-سياسية، يصدرها الحزب الشيوعي العمالي العراقي

- رئيس التحرير:

فارس محمود

- مساعد رئيس التحرير:

توما حميد

- تصميم:

خسرو سايه

- المساهمون في هذا العدد:

فارس محمود، ريما ماجد، خسرو سايه، توما حميد، منصور حكمت، نادية محمود، سمير عادل

- الاتصال برئيس التحرير:

0046762928178

faris.mahmood@gmail.com

الفهرست:

- **اسس الشيوعية العمالية" (الندوة الاولى)**
منصور حكمت 1

- **الليبرالية الجديدة من الفكرة الى عولمة الرأسمالية**
خسرو ساية 47

- **اراء حول مقولة "اعادة تشغيل "الصناعة الوطنية**
توما حميد 63

- **الشيوعية العمالية والمنهجية الثورية**
سمير عادل 77

- **حقوق المراة وضرورة النضال ضد التيارات الشعبوية**
نادية محمود 82

- **" اذا اردنا السطة السياسية، يجب ان نكون حزب سياسي "**
حوار مع ريما ماجد 91

- **يجب كنس مؤسسة الجيش من حياة الجماهير**
فارس محمود 99

- **منصور حكمت والافق اللينيني**
سمير عادل 112

- **حول اهمية النضال ضد البطالة**
في العمل الشيوعي ضد الرأسمالية
نادية محمود 117

- **ملف :**

كورونا والراسمالية 124

- حول خطر كورونا!
- "الدولة مسؤولة عن صحة ومعيشة الجميع"
- فيروس كورونا، فضيحة رأسمالية اخرى!
- العلم، والانحطاط الأخلاقي للنظام الرأسمالي
- "كبار السن" و فاشية "البقاء للاصغر سناً"!
- مهام الشيوعيين في مواجهة فيروس كورونا
- مرحلة جديدة، وامكانية عالم اخر!

- **وثائق:**.....162

- البيان الختامي للاجتماع الموسع (35) للجنة المركزية
- سياستنا تجاه الانتفاضة الحالية
- رد سكرتارية المكتب السياسي للحزب الشيوعي العمالي على استقالة رفاق!

كلمة العدد:

كسائر الاعداد الاخرى، تضمن هذا العدد مواضيع سياسية متنوعة ذا اهمية لالقاء نظرة ورؤية على الاوضاع والاحداث والمفاهيم المختلفة لعالمنا المعاصر من زاوية شيوعية، عسى ان تكون عوناً للقاريء في نيل تصور اوضح فيما يخص المواضيع المطروحة.

نستهل هذا العدد ببحث يصدر لاول مرة الا وهو "اسس الشيوعية العمالية" (الندوة الاولى) التي قدمها منصور حكمت في ندوتين مفصلتين عام 2000. في هذه الندوة يشرح المراحل التي مرت بها الشيوعية العمالية من حيث مراحل واوضاع نشوئها، كما ويتناول بعض المفاهيم الاساسية للشيوعية العمالية من حيث طابعها الاجتماعي، ودور الممارسة فيها، مكانة العامل في هذه الشيوعية ومواضيع اخرى كثيرة لاغنى عنها لكل من ينشد ان يطلع على هذه الحركة والتيار السياسي واحزابه.

فيما يتناول خسرو ساية في ندوته والتي دونها في مقاله (الليبرالية الجديدة من الفكرة الى عولمة الرأسمالية) مواضيع الليبرالية والليبرالية الجديدة والمسارات التي مرت بها وسماتها الاساسية من الناحية السياسية والاقتصادية والفكرية. كما يتناول مفاهيم الخصخصة وسياسة وموقف الطبقة العاملة تجاه هذه المفاهيم والسياسات الليبرالية الجديدة وكذلك مستقبل الليبرالية الجديدة والطبقة العاملة.

تناول توما حميد في مقاله "اراء حول مقولة "اعادة تشغيل "الصناعة الوطنية"" موضوعة مهمة ذات ابعاد ليست محلية الا وهي "الصناعة الوطنية" والحمائية الاقتصادية ويفند الاوهام المتعلقة بهذه القضايا والمصالح السياسية والاقتصادية للاقسام المختلفة من البرجوازية التي تقف وراء هذه الادعاءات والتوجهات. ويؤكد على السمات الاساسية لموقف شيوعي من هذه المفاهيم والبرامج الاقتصادية.

وبحث سمير عادل في مقاله موضوعة "الشيوعية العمالية والمنهجية الثورية" موضوعة دور الممارسة ودور العامل الانساني الفاعل في التغيير في ماركسية ماركس ومنصور حكمت ، مفندا المفاهيم والمقولات التي يشيعها "ماركسيو" البرجوازية الصغيرة في ممارستها السياسية والتي تعكس تطابق هذه الممارسة مع الجذر الطبقي لطيف واسع من اليسار.

وتتطرق نادية محمود في مقالها "حقوق المراة وضرورة النضال ضد التيارات الشعبوية" الى تعريف الشعبوية ونظرتها الى حقوق المراة وتركز على دور تيارات الاسلام السياسي ونظرتهم للمراة وكيف جسدت هذه التيارات والتيارات القومية هذا التصور لحقوق المراة على صعيد القوانين والقرارات المتخذة في البلدان المسماة بالاسلامية وسعت الى اشاعته في اذهان المجتمع. كما بينت الانتهاكات لحقوق المراة على الاصعدة السياسية، الحقوقية، الاجتماعية، الاقتصادية والخ، وفندت ماهية هذه المفاهيم بوصفها قيم برجوازية معادية للمراة.

كما اجريت نادية محمود مقابلة مفصلة مع "ريما ماجد"، احد العضوات المؤسسات لـ"تجمع المهنيات والمهنيين في لبنان"، تناول الحوار ثورة 17 اكتوبر والضرورات والمبررات السياسية والاجتماعية لتاسيس التجمع وبرنامج عمل التجمع في لبنان ومواضيع اخرى متنوعة بهذا

الصدد.
تعود كتابة مقالة فارس "يجب كنس مؤسسة الجيش من حياة الجماهير" الى مرحلة وسياق سعي امريكا لشن الحرب على العراق في 2003 ومدى امكانية امريكا للاستفادة من الجيش في تغيير النظام القومي البعثي في العراق عبر "انقلاب سلس". فند فارس محمود هذا السيناريو في وقتها من جهة، ومن جهة اخرى فند كل المفاهيم القومية و"الوطنية" التي تصور الجيش على انه مؤسسة "مافوق الطبقات" وتخص "المجتمع كله" وهدفه "حماية الوطن"، وان مؤسسة الجيش ماهي الا اداة قمعية بيد البرجوازية، ويجب كنسها من حياة الجماهير.

وفي مقال سمير عادل،"منصور حكمت والافق اللينيني"، والذي هو كالموضوع السابق المنشور في هذا العدد، قد جرى كلاهما عبر ندوتين في وقتين مختلفين تناولتا جوانب من موضوع واحد الا وهو دور الممارسة الثورية في التغيير. تحدث عن دور الحزب والتحزب في التغيير المنشود وتاكيد لينين ومنصور حكمت على موضوعة التحزب بوصف الحزب الاداة السياسية الاساسية والتي لاغني عنها للتغيير.

نظراً لاهمية موضوع "فيروس كورونا" وازمة الرأسمالية العالمية، خصصنا ملف خاص لاهم مقالات اعضاء الحزب وبياناته بهذا الصدد. تناولت المقالات جوانب مختلفة من هذه الكارثة الانسانية. اكدت كلها على ان هذا النظام الراسمالي عاجز عن الرد على قضايا مثل هذه وان الاشتراكية هي امر فوري ان نشدت البشرية انهاء هذا الاستهتار بحياتها ومصيرها.

في الاخير، نشرنا البيان الختامي للاجتماع الموسع 35 وسياسة الحزب تجاه الانتفاضة الحالية.
و كوثيقة تاريخية ذات دروس وعبر سياسية مهمة، نشرنا رد سكرتارية المكتب السياسي على عدد من الرفاق.

اتمنى للقراء قراءة مفيدة وممتعة، وللناشطين والقادة العمال والاشتراكيين ان يجدوا فيها فائدة سياسية وفكرية وعملية لهم...

فارس محمود
رئيس التحرير
نيسان ٢٠٢٠

منصور حكمت

أسس الشيوعية العمالية

(الندوة الأولى)

حديث في جمعية ماركس ـ لندن ـ كانون الثاني 2000
(تم تدوين النص نقلاً عن تسجيل صوتي للندوة)

ترجمة: فارس محمود

بضع كلمات فيما يخص اختيار عنوان موضوع اليوم

قبل أن أبدأ في الموضوع نفسه، لأتحدث لكم عن أسس الشيوعية العمالية. إن هذا العنوان هو أسس الشيوعية برأيي. أي إن موضوع أسس الشيوعية العمالية ليس شيئاً سوى أسس الشيوعية. في كتاب *"اختلافاتنا"*، والذي هو نقاش جدلي حول الشيوعية العمالية، ورد سؤال يقول: ما فرق هذه الموضوعة عن الشيوعية؟ أو يسأل: ما الشيوعية العمالية في الواقع؟ هل هي بحث نظري؟ رؤية؟ حركة؟ حزب؟ كيف تعرّف الشيوعية العمالية اساساً؟ هل هي نظرية؟ حركة سياسية أم ماذا؟

لقد ذكرت، في ذلك الكتاب، أني أستعمل الشيوعية العمالية بوصفها مرادفاً للشيوعية؛ وسأتحدث لكم لاحقاً لماذا توجب عليّ، في هذا الموضوع، استعمال هذه الكلمات المترادفة بهذا الشكل؟ مثلما إن الشيوعية حركة، ونظرية أيضاً، وكذلك لها أحزاب، ولها تاريخ أيضاً، يمكن كذلك للشيوعية العمالية طرح موضوعها وتقييمها والتحدث عن أن الشيوعية العمالية تعني كذا بوصفها نظرية؛ وبوصفها

حركة الشيوعية العمالية تعني كذا؛ وبوصفها مجموعة أحزاب تعني كذا. بوصفها حركة في النضال السياسي، وفي سلسلة تكتيكات، يمكن تعريف الشيوعية العمالية بهذا الشكل. وكسلسلة، أساليب، نهج وسلسلة معايير وأساليب وموازين سياسية تعني الشيوعية العمالية كذا. ليست الشيوعية العمالية احداها إن كانت الشيوعية العمالية عبارة مرادفة للشيوعية. وعليه، ماذا تكون الشيوعية، ينبغي توضيح الشيوعية العمالية بالأبعاد ذاتها. وسأسعى، لا اليوم، بل في مجمل ندوات الشيوعية العمالية لتناول أبعاد هذه الكلمة.

إن هاتين الندوتين لموضوعة الشيوعية العمالية ربما تكونان مقدمة لعمل ذي وتيرة أكبر، وهو أن نبلغ موضوعة برنامج *"عالم أفضل"*، نتطرق الى تلك الميادين والبنود التي يتناولها ذلك البرنامج، نتتبعها في سلسلة ندوات، مثلا ثماني الى عشر ندوات، تختص كل منها بموضوع واحد نتحدث حول قضاياه. هناك بحث الرأسمال، وآلية تطور الرأسمال وعمل الرأسمال. بوسعنا تخصيص ندوة لعمل الرأسمالية، لمفهوم الدولة، الحكومة الراسمالية، أن نتحدث عن الاشتراكية البرجوازية والشيوعية العمالية والشيوعية البرجوازية والتي هي فقرة في ذلك البرنامج. بوسعنا الحديث عن الثورة والاصلاحات، الحديث عن ماركس، نتحدث بعدها عن تلك الجمهورية، النظام السياسي الذي ننشد، نتحدث عن المجالس، وعن المطالب الاقتصادية.

يتمثل هدفي، من موضوعات الشيوعية العمالية التي أطرحها في ندوتين، أن أصل مكاناً أشرع فيه بتقويم ومناقشة مواقف الشيوعية العمالية في عالمنا المعاصر واحداً تلو الآخر. على سبيل المثال، في ما يخص الإجهاض، لماذا تأتي هذه المواقف من تلك الرؤية؟ في ما يخص إنهاء ومحو البغاء، أعتقد أن هذه المواقف تاتي من تلك الرؤية؟ لماذا ينبغي استخلاص الحزب السياسي على سبيل المثال من هذه الرؤية، وأن تكون له مثل هذه السمات والخصائص؟ وإن هذه بالطبع آرائي. وإذا أردنا، بوسعنا الحديث عن هذه الجوانب واحداً تلو الآخر.

إن كان من المقرر أن أوضح أسس الشيوعية، فسأبدأ من هذا الكتاب، من عالم أفضل ومن صفحته الأولى. ولكن ينبغي أن تمضي ندوة الشيوعية العمالية إلى وسطه لتشرع من هناك، إلى ما يسمى "الشيوعية العمالية والشيوعية البرجوازية". أود أن أبدأ الندوتين من هنا.

المسلمات والأرضية الموضوعية للشيوعية العمالية

بخلاف الشيوعية إجمالاً، ليست الشيوعية العمالية بحثاً اثباتياً (affirmative-م) حول ماهي الاشتراكية. إنها بحث حول ما لا تكون عليه الشيوعية، وإن الـ"ما لا تكون" هذه هي ليست لائحة نقول فيها إن الشيوعية لا تعني كذا. إنها تقول "لا" لتاريخ مر باسم الشيوعية، لاعتقادات معينة طُرحت باسم الشيوعية، لمعسكرات معينة ظهرت باسم الشيوعية. وعليه، ليس بوسع الشيوعية العمالية أن تقول إثباتاً: ظهرت الرأسمالية، نمت البروليتاريا الصناعية، اكتسب الصراع الطبقي شكلاً جديداً، غدا فائض القيمة أساس المجتمع، وبعدها نما هذا الشكل من الشيوعية.

لا يرى موضوعي أن هذا التناول كافياً. في الحقيقة، لم يكن هذا كافياً بالنسبة لماركس نفسه كذلك في البيان الشيوعي، وسأبين لكم ذلك الآن. لقد كان ماركس مجبراً في البيان الشيوعي نفسه أن يرسم خطاً فاصلاً مع الشيوعية الاقطاعية، الاشتراكية الاقطاعية، الاشتراكية البرجوازية الصغيرة،

الاشتراكية الحقيقية الألمانية، ويقول إن الشيوعية ليست هذه. وما هو فرقها؟ إن أحد فصول البيان الشيوعي نفسه هو حول الاشتراكية البروليتارية والاشتراكية غير البروليتارية والاشتراكية البرجوازية. إن هذا يصح علينا بصورة أولى.

إن دخول هذا النقاش أساساً هو الدخول للشيوعية العمالية وغير العمالية برأيي. إذ يعد توضيح هذا التمايز أمراً أساسياً. ما الذي نطلق عليه شيوعية عمالية، وما الذي نطلق عليه شيوعية غير عمالية، وما الفرق بينهما، ولماذا على الشيوعية العمالية، أن تطرح نفسها، ولماذا ينبغي أن تطرح وفق هذه الخطوط. وعليه، إن شروع نقاش هاتين الندوتين هو نقاش جدلي بمعنى ما، جدل انتقادي لما أطلقوا عليه شيوعية، أو ما أطلقنا عليه أنا وأنتم شيوعية وبوصفها شيوعية طرحت نفسها في عالمنا، وسمّتها البشرية شيوعية، وإن نقدها ليس نقد معسكرها الأساسي فحسب، بل مجمل المعتقدات والتصورات والصيغ والتفسيرات التي طرحتها تلك الشيوعية عن نفسها، وافترضنا أنها مسلمات وبديهيات فحسب. وسأشير إلى كيف أن تلك التصورات والاعتقادات التي كانت بديهيات ومسلمات لدى اليسار هي أمر ليس بديهياً ولا مسلماً به، ليس هذا وحسب، بل أنها في تعارض مع رؤية ماركس والشيوعية العمالية.

على أية حال، إن نقطة انطلاق الموضوع، ندوة الشيوعية العمالية، هي مقدمة لإعطاء رواية أخرى للشيوعية. يوصلنا لب هذه القضية التي ننظر لها الى مكان واحد، وهو رواية وصيغة أخرى لشيوعية تنشد الدفاع عن نفسها، الدعاية لنفسها، وأن تجمع لنفسها أناس يشاطروها الرؤية.
إن الندوة التي أقدمها الآن قد قمت بها مرة في عام 1989. يمر الآن أحد عشر عاماً على أول ندوة للشيوعية العمالية والتي طرحتها في إطار الحزب الشيوعي الإيراني، في مدينة مالمو السويدية. وقد حضرها أناس كثر. أعتقد أن ليس بوسع هذه الندوة أن تكون تكراراً بسيطاً للموضوع ذاته. إن جزءاً من ذلك يعود إلى أن بوسعنا اليوم أن ننظر بصورة أفضل كثيراً لجوانب موضوعنا، وجزءاً آخر يعود للأحداث التي جرت، الخلافات التي ظهرت. على سبيل المثال، كانت آنئذ شيوعية معسكرات، فيما لم تبق الآن. ولهذا نتحدث في إطار آخر.

على أية حال، توجب على الشيوعية، في تلك المرحلة، أن تمايز نفسها عن الشيوعية الشعبوية، غير الشعبوية، البرجوازية، المعسكراتية (من كلمة معسكر-م) والتي كانت قائمة آنذاك. أعتقد أن عليها أن تمايز نفسها اليوم كذلك عن نوع من نزعة (كاركر كرائي)، "اللهج باسم العامل او العمالوية-م"، التشدق العمالي الزائف. إنها اختلافات، ربما إذا ما قورنت بأحد عشر عاماً خلت، ينبغي تناولها في هذه الندوة. وإنه اختلاف موضوعة اليوم عن موضوعة ذلك اليوم. ربما، وبدرجة ما أيضاً، بوسع المرء، بعد أحد عشر عاماً، أن يطرح الموضوع بشكل أكثر إيجازاً وفائدة. وان يكن نص بحث ندوة الشيوعية العمالية، الندوة الاولى، سوف ينشر في المجلد 6 من مجموعة الآثار (آثار منصور حكمت-م) من المقرر أن تصدر هذه الأيام. إن نصها الكامل موجود، وبوسع الرفاق أن يقرأوه لاحقاً كذلك. آمل أن يصدر المجلد، ويكون بوسعي أن أوصيكم بقراءته بوصفه أحد مصادر هذا الموضوع. وإن يكن سيستغرق التنظيم والطبع وقتاً وآمل أن يلحق بالندوة المقبلة. وإذا لم يلحق، فمن المؤكد أنه سيصدر مباشرة بعد الجلسة.

إن أحد ضرورات طرح بحث الشيوعية العمالية هذا، بالنسبة لي، هي أنه خلال (7-10) سنوات الأخيرة وبالأخص السنوات (3-4) الأخيرة، انخرط جيل في الحركة التي نسعى لإرسائها سواء في

إيران أو العراق أو خارج البلد (وفي ايران، قصدي سياق المعارضة الايرانية نفسها)، وهو الأمر الذي لم يتعقبه موضوع ما قبل 11 عام. ولم يشهد الجيل المذكور تلك الموضوعات عن كثب، ولم يُرسِ تقليده، وليس بوسعه الارتباط بها. يمكن أن يكون هدف هذه الجلسة على الخصوص هو طرح مجموعة من الموضوعات. أن تكون مرشداً للأعضاء الجدد في الحزب الشيوعي العمالي. بوسع أصدقاء موضوعة الشيوعية العمالية أن يمضوا مرة أخرى إلى تلك المقالات ويتطلعوا فيها، ويقولون إن هذا (ما ذكره في الندوة-م) يتعلق بتلك المقالات. وبالنتيجة، يتمثل هدفي بتعريف امرئ أتى حديثاً، وأربطه بدرجة ما بالموضوع الذي قدم سابقاً. وإذا كان بعضكم أو أغلبكم حاضراً في تلك الجلسات أو يتذكر تلك النقاشات أو أي شيء، ينبغي أن تتحملوا برأيي لأن من الممكن أن يكون تكرار تلك الموضوعات ذا فائدة لهم.

أود كذلك أن أعرفكم مرة أخرى بالأدبيات التي تقف وراء هذا الموضوع. ثمة تل من المواد موجودة. دون أية مبالغة، تل من المواد موجودة. إذ تواجهني مشكلة في انتقاء أي من هذه الموضوعات وأشير إليها.

إن موضوعة الشيوعية العمالية ليست موضوعةً حول "نحن نحب العامل كثيراً زائداً الماركسية". إنها موضوعة بمستوى ما هي فلسفة الماركسية؟ ما هي منهجية الماركسية؟ أي نوع من الظواهر هو الحزب؟ ما هي اختلافات الحركة الاشتراكية والحركة غير الاشتراكية؟ ما هو عليه الرأسمال، وما هو ليس عليه؟ ماذا كان الاتحاد السوفيتي، وماذا لم يكن؟ طيف واسع من المقالات والمواضيع حول أية أشكال يتخذه النشاط بين العمال؟ نُصب من الأبحاث ومن المواضيع المدونة والمطبوعة إلى أشرطة التسجيل التي لم تدون بعضها وبعضها رسائل غير مطبوعة ومنشورة تشكل هذه الظاهرة.
أقر بمهمة لهذه الندوة، أحدها أن أقدم هذه الكتابات مرة أخرى لامرئ ذي صلة بالموضوع أن أعرّف وأعرض هذه الكتابات مرة أخرى وأقول ها هي، إنها تتعلق بهذه الأشياء، وكيف بوسعنا أن نمضي صوب تلك الأشياء، وبأي ترتيب، ونقرأها. توصيتي أن تقرأوها حقاً. من الممكن إن موضوع ما قبل 11 عاماً مثل عربة صنعت قبل 11 عاماً وننظر إليها اليوم. في ذلك الوقت كانت ذات شياكة، والآن لا تبدو جميلة جداً. من الممكن إن موضوع ما قبل 11 عاماً لازال يحوي أموراً أولية وخاماً مقارنة بعقليتنا اليوم. ولكن حين تمضي لتنظر له سترى أشياء كثيرة فيه. إذ طرحت مواضيع جدية إلى حد كبير. كان لها تاثير حاسم في وقتها على حياة وممارسة أناس كثر. أحث كل من يأتي لهذا الموضوع أن يتابع تلك الموضوعات.

أورد نقطة هنا كذلك. ليست هذه الجلسة جلسة الحزب الشيوعي العمالي، ليست جلسة سياسية. لا أنوي أن أقدم خطاباً سياسياً. أريدها في الحقيقة مثل ندوة بحثية ونقاش حر، مثل حال مدرسة بالغين يجلسون للحديث عن ظاهرة من زاوية علمية. أود كثيراً أن لا تنظروا لي في إطار حزبي هنا، وأن لا تنظروا لي وللآخرين من أعضاء الحزب أنفسهم بإطار ذهنية حزبية. وأوصي كذلك أي امرئ ينتمي إلى حزب آخر، أن لا ينظر لنفسه من زاوية حزبه، ويفترض أن ماركسياً ما أو أن شخصاً ذا علاقة بالماركسية حضر هنا وينصت لموضوع كي يكون قادراً على التعامل مع بحث علمي أو بحث تحليلي بنقاط قوته وضعفه.

لا أورد أياً من الدعاية الحزبية أو النشاط السياسي للحزب الشيوعي العمالي بصورة مباشرة في موضوعي هذا. إنها ندوة تتعلق بالشيوعية العمالية والأدبيات الموجودة، وإذا عدت لهذه الكتب

والكتابات، فذلك لأنها أدبيات هذا العمل. لو كانت هناك أدبيات أخرى، لكنت مضيت لها وتناولتها. ولكن هذه الكتابات، وبصورة محددة، هي تلك التي أتحدث عنها وذلك لأنها تاريخ هذا الموضوع.

فضلاً عن ذلك، إن شمولية هذا العنوان تسمح لي بكل ما أود قوله وأتناول أي زاوية أرغب. إن كل الموضوع هنا ذو صلة وربط. إذا كان أي بحث ذا صلة بالشيوعية بصورة حقيقية، لا يمكن حقيقة إخراجه من مفردات هذه الجلسة. وإن هذا سيساعدنا على الأقل في بداية موضوع ما، رحلة واسعة بحد يمكن أن يتضمنها أي موضوع. وبعد ذلك، يمكن أن نعرف علاقتنا بأي شيء، ومشكلتنا مع أي المفاهيم والمقولات، نمضي لنركز عليها ونعمل عليها. إن للعنوان هذه الميزة كذلك.

نهاية زلزال انهيار الاشتراكية البرجوازية،

بداية هجمة الشيوعية العمالية

إن سبباً أساسياً لانطلاق الموضوع، فضلاً عن موضوع جمعية ماركس، بموضوعة الشيوعية العمالية هو أنه أزفت مرة أخرى ساعة هجوم نظرية الشيوعية. من 1989 الى 1992، جرى حدث مهم في العالم، وقد كان إعلان نهاية الشيوعية بشكل ما، شُنَّ هجوم، توارى الاشتراكيون من كل حدب وصوب. وقف عدة، وتوارى كثيرون. بالضبط، بنفس الجملة التي ذكرتها في المؤتمر الثالث (للحزب الشيوعي الإيراني في كانون الثاني عام 1989-م)، في عام 2001 ، ستجد إزاء كل ماركسي ذا خط وموقف، ألفي ماركسي سابق، يتحفوننا بأن ليس لهذه الأعمال من طائل، وأن هذه الكلمات، كلها، قد بلغت حدها ونهايتها ولا أفق لها وفقدت أهميتها. والآن نرى أن هذا الأمر قد حدث! لقد طرحنا هذا الموضوع في وقته، في المؤتمر الثالث للحزب الشيوعي الإيراني، وقد كان غورباتشوف قد أتى للحكم تواً. وحدث هذا بالضبط، وكنتم شهوداً على ذلك.

ولكن أعتقد الآن أن بوسع مرحلة أخرى من هجوم للماركسية أن يبدأ مرة أخرى. إن علائم هذا العمل موجودة برأيي. قبل (5-6) أعوام، في المؤتمر الأول للحزب الشيوعي العمالي الإيراني، طرحت موضوعة *"نهاية مرحلة"*، قلنا في هذه السنوات الست، بلغ هجومهم علينا أقصاه وانتهى. مرّ وانقضى كل شيء. شنوا هجوماً علينا، قتلوا، اعتقلوا، أغلقوا، ضربوا، أعلنوا حلنا، أعلنوا انعدام صلتنا، لم يقوموا بهذا تجاهنا، بل بوجه أي امرئ تحدث عن وجوب أن تكون طبابة الناس مجانية. سخروا، بمعنى ما سخروا أيضاً من أن يفكر أحد بمجتمع. لا يحق لك أن تكون نصير المجتمع، ينبغي أن تكون نصير الفرد والسوق.

إذا تتذكرون أن السوق الحر أصبح كلمة مقدسة بحد بحيث أحيل إليه كل شيء. الصحة، الطب، التربية، التعليم، الصلات الإنسانية، التغذية، الرواتب، كل شيء تم ربطه بالسوق. كل هذا لم يدم 3-4 سنوات، كان هذا أقصى ما بلغته جهودهم، لم يبق "بوش"، ولا تاتشر ولا ريغان، ولا الريغانية ولا التاتشرية. وعاد الاشتراكيون الديمقراطيون مرة أخرى الآن استناداً إلى خط ثالث، كي يتداركوا تدهور الأوضاع. لقد شنوا حملة لست سنوات ونثروا لست سنوات النعوت السيئة، ست سنوات من إشاعة الأكاذيب. وكان رمز ذلك الإطاحة بالحبال بتمثال لينين. تمثال لم نشيّده نحن، ولم تتحطم أعصابنا كثيراً حينها. لقد أطاحوا بتمثال لينين بوصفه إطاحة برمز الهجوم على ميدان الرأسمال كي لا يتجرأ أحد آخر على القيام بذلك. لقد سحلوه في الشوارع ورموه في الأنهار. لقد سحلوا هذا التمثال

فيزيقياً. ولكن في كل مكان، إذا كنت طالباً جامعياً، إذا كنت منهمكاً في العمل السياسي، إذا كنت في نقابة، ستفهم أنهم يطيحون بذلك التمثال بطرق أخرى كذلك. لقد دفعوا ماركس خارج الأكاديميا! أعلنوا نهاية ماركس، وانعدام صلته! لم يعلنوا نهاية ماركس فحسب، بل نهاية التاريخ.

قالوا من الآن ولاحقاً سيقف المجتمع عند هذه المرحلة. إن هذا هو نفسه ما سيبقى من الآن ولاحقاً، المجتمع هو هذا وحسب، الرآسمال والسوق. اذهبوا وفكروا بحالكم وحياتكم الشخصية. لن يكون ثمة تغيير. إن مسار الإنسان من العصر الحجري قد بلغ هنا. لقد انتهى بوصوله لهذه المرحلة. أطلقوا على ذلك نهاية التاريخ. وعمموا هذا في العلوم، علم الاجتماع، الجامعات، الإدارة ووسائل الإعلام. ليس بوسعكم أن تجدوا صحفياً اشتراكياً يقول هل تسمحون لي أن أقول إن ثمة رواية أخرى للوقائع التي تتحدثون عنها، هل مسموح لي أن أذكرها؟ في أوائل السبعينيات، من بين كل مراسلين خبريين، تجد أحدهما يقول أنا اشتراكي، ومن بين كل ثلاثة استاذة جامعة، تجد اثنين قد علقا صورة ماركس في غرفتهم. في أعوام 1990 و1991، إذا عرفوا أنك اشتراكي، قد لا يؤجروك بيتاً في أوربا الغربية. وذلك للصورة التي رسموها عن أناس ما، عن قطب مهزوم، بصورة تشمئز لها الأنفس. قرنوا تشاوشيسكو بماركس وشوهوا كل شيء. لقد استمر ذلك لست سنوات.

لقد طرحنا في المؤتمر الأول للحزب الشيوعي العمالي، *"نهاية مرحلة"*، وهو منشور في المجلد الثامن. إن هذه المرحلة قد انتهت. لقد غدا أمراً ملموساً أن الضغط قد ولّى وعدنا لعملنا الشيوعي. لقد مرت تلك السنوات الست بصعوبة بالغة على كل امرئ كان منهمكاً بنشاط شيوعي، وعلى أي امرئ يسعى لإبقاء جمع شيوعي موحداً. مرت بصعوبة بالغة، وبوسع أناس هنا، أنفسهم، أن يفكروا مَنْ وأية أسماء كبيرة غدت ضحية تلك السنوات الست للحملة. قلة بقيت، وأي أناس وقفوا جانباً شيئاً فشيئاً أو انضموا إلى الحركات القوس قزحية المختلفة الاخرى؟ تركوا الحركة الشيوعية وانضموا إلى الحركة المدافعة عن المؤجرين على سبيل المثال. وذلك لأنهم يتحلون بشرف ونزاهة، يحسون أن هذا لازال مفيداً. توارى كثيرون. انقضت ست سنوات وعادت تلك الأجواء.

إن موضوعتي اليوم هي أن اليوم هو مرحلة يمكن أن تتلمس فيها مرة أخرى الحملة الماركسية، لا للدفاع عن أنفسنا، بل بوسع حملة شيوعية أن تنطلق. وإن أردت أن ترى علائم ذلك، عليك برأيي أن تمضي لتعقبها في القسم المتخلف من المجتمع، لأن قسمه المتقدم يقول إن عمال باريس في إضراب. انتهت تلك المرحلة. يعم الهيجان فرنسا مرة أخرى، تتعالى مرة أخرى دعوى العامل والرأسمال في فرنسا. وفي ألمانيا، ثمة اضطراب ما ويمكن رؤية أنه لم يستلزم ثلاث أو أربع سنوات ليخفت غبار الضجيج. ولكن اذهب لرؤية اقسامهم المتخلفة، برأيي أن المعلم الأساسي لهذه القضية هو اللغط الذي انطلق في الأكاديميات ضد مدرسة ما بعد الحداثة.

ضد المدرسة المنحطة لما بعد الحداثة، مرحلة تنامي مثل عظيمة

بموازاة هذه الهجمة المسماة سياسية، حققت مدرسة ما هدفاً. يقول البعض عنها قديمة ويقول البعض الآخر إن جذورها جديدة. مدرست حققت هدفاً، التنكر لأي أمر عالمي الطابع، كل أمر يشمل العالم، صحة أي مبدأ، وأي أسس لتقدم المجتمع وتطوره، تنكرت لوجود مسار تقدمي في المجتمع ومسار لدفع المجتمع نحو القهقري.

إن ما بعد الحداثة موجودة في مجمل الأقسام كذلك، تنطلق من مكان معين وتمضي نحو العلوم وعلم الاجتماع ومن الممكن حتى علم الفيزياء. وهو ليس ثمة أي أصل مؤكد. جهة التقدم ليست أمراً معلوماً، وإن كل شيء هو ذو اعتبار وقيمة لنفسه. ترى نموذجاً من تطبيق وقرابة ما بعد الحداثة مع النسبية الثقافية. حسناً إنها ثقافتهم، وإن تلك أيضاً ثقافة اولئك. إن جزوا رقاب بعض، فإن تلك هي ثقافتهم!

وليس هناك أفضل من هذا، وليس بوسعنا أن نقول ما هو أفضل. لا يمكن أن تكون لنا سلسلة معايير عالمية للحقيقة. ليس بوسعنا أن نعتقد بما جرى علينا أو حتى أن ندعي أن بوسعنا أن نعرف ما سيحل بنا. لا يمكن أن تكون لنا أمور كبيرة أو حتى موضوعات كبيرة لبحثها ونقاشها. كل شيء محدد، صغير ومحلي، وإن الصغير والمحدد والمحلي نفسه ما هو صحيح ومبدئي. وإن كل أمر كبير مشكوك فيه، وإن أي مسار هو كاذب، سواء للتراجع أو التقدم، أو حتى إن ثورة صناعية قد جرت في إنكلترا هو أمر ليس موثوقاً به، إنهم يفكرون في ذلك! يقولون: ليس أمراً موثوقاً أن ما نطلق عليه الثورة البرجوازية في بريطانيا هو أمر قد جرى، هل جرت ثورة حقاً؟ لانهم يقولون إن هذا التصنيف قد أُجْرِيَ يوماً ما بذهنية ماركسية، أطلق عليها ثورة برجوازية.

إذا نضع هذا الوصف جانباً، عندها ستكون الأمور مجموعة أحداث. يمكن تعريف ووصف النضال ضد الملكية أو ضد الخان أو حتى توضيح صراع ملاكي الأراضي مع الملوك. لماذا يطلقون عليها "الثورة الصناعية" أو "الثورة البرجوازية" أو "عصر التنوير" أو أي شيء آخر. تلك أيام لا تنسى بالنسبة لي. حين كنا طلبة جامعيين، كانوا دعاة إعادة النظر بالماركسية. كانوا أعضاء الحزب الشيوعي البريطاني. لقد التقيناهم واحداً واحداً في ندوات. كانوا ممثلي الامتعاض من الماركسية، وبالأخص كان عداؤهم للينين وامتعاضهم الشديد من أنكلس. يهدفون الى فصل ماركس عن أنجلس ولينين وذلك كي يكون هو طرف النقاش، وبعد منتصف حديثهم، تراهم لا يشاطرون ماركس ايضاً، ويعيدون نظرهم في حينه وفق خط غرامشي وخط الشيوعية الاوربية و..، ولكن بعد ذلك وفق خط ايزم (ملحق مثل ماركسيزم، ليبراليزم، و...غيرها-م) لهم.

نظرت ورأيت مصادفة بعضهم، وقد شرعوا بالدفاع عن الماركسية بوجه ما بعد الحداثة. إذا كانت الجامعات، أكاديميات خارج المجتمع، قد شرعت تقول إنهم يفرطون كثيراً بشن حملة على ماركس، ويقولون لماذا ينبغي الدفاع عن كتابة ماركس للتاريخ، عن الكتابة التاريخية الماركسية، عن التفسير الاجتماعي للماركسية، علينا أن ندرك أنا وأنت أن شيئاً ما قد حدث، وذلك لأن عمل الأكاديميات هو أن تاتي، في المطاف الأخير، لتوضح للناس ماقاموا به. تقول إنه هكذا كانت عليه الثورة المشروطية، وهكذا كانت عليه الثورة الفرنسية كذلك وهكذا كانت الثورة الروسية. لم يكونوا يعرفوا شيئاً عن البلشفية قبل البلشفية، ولكن أصبحوا بعدها ملمين بها. قبل أحداث يوغسلافيا، لم يكن لديهم أي تقييم لهذا الحدث والوضعية، ولكن بعدها كان هناك ثمانمائة مجلد حول ما كانت عليه مصيبة البلقان. إذا كان يحدث شيء ما في الأكاديميات، فاعرف أن حدثاً ما قبله كان قد جرى. وان يمكن رؤية وقوع الاحداث السابقة بوجود ظواهر ما. في الاحتجاجات العمالية التي انطلقت في أوربا تدريجياً ومارست الضغط على يمين المجتمع الغربي وأجبرته على اتخاذ موقف الوسط.

إذا تتذكرون، لم يتخذ أحد موقف الوسط. لشدة ما كانت الغلبة لتاتشر والتاتشرية، لم يفكر أحد أن بوسع حزب العمال في هذا البلد أن ياتي للسلطة مرة أخرى. ولكن، بعد ست سنوات، أتى للسلطة. ما

أود قوله إذا كانت الأكاديميات البرجوازية، وبعد أبناء الحزب الشيوعي البريطاني أنفسهم الذي حملوا معولاً وأتوا لتقويض الماركسية، مضت بوجه ما بعد الحداثة والتردي السياسي والرجعي المرافق لها لتدافع عن النظرية الماركسية، عن علم الاجتماع الماركسي، عن الرواية والنقد الادبي الماركسي، وما يسمى بالتفسير الماركسي للمجتمع حتى، فإن هذا بوسعه أن يبين أن القضية قد تزحزحت عن حالها السابق. وبرأيي قد شرعت أيضاً لأن أجواء اليوم ليست أجواء قبل عشر سنوات خلت. إن هذا ما تحسونه وتتلمسونه بصورة تامة. إذا كان لبحثنا أن يكون له مكان ما في هذا السياق، علينا أيضاً أن نتصل بهذه القضية ونرتبط، وربما قد نتمكن مرة أخرى من أن نقيم حركة نظرية في اليسار الإيراني وفي حركة الطبقة العاملة مثل العمل الذي قمنا به قبل 20 سنة خلت.

الاختلافات المهمة ما بين الجيل الجديد من الشيوعيين، ماركسية ما بعد مرحلة "نهاية الشيوعية"

قبل عشرين عام خلت، وفي رحم الثورة، اوجدنا اختلافات نظرية مهمة بين جيل من شيوعيي إيران. لقد طرح ذلك الجيل نفسه، وكنا ناشطيه كذلك. برأيي، يبدو أن بوسعنا اليوم مرة أخرى القيام بعمل ما من جديد، أن نقوم بعمل جديد، أن يحدث تخمر وتفاعل جديد، أن يظهر جيل جديد من الماركسيين يلعب، من الآن فلاحقاً، دوراً أساسياً في الثورة المقبلة في إيران على الأقل، وفي ثورة المنطقة. وبرأيي، في الثورات التي ستتخذ، نظراً للأوضاع، طابعاً عالمياً في العالم المعاصر. أن يظهر نوع من الماركسية ترك حتى ورائه موضوعة نهاية الشيوعية ويعرف ماذا يريد، يضع جانباً النقاشات حول المعسكرات، وإن تفسيره لنفسه ومهامه واضح له. إن كان لجمعيتنا، (جمعية ماركس-م) ومناقشاتنا هدف، هدف متفائل ومحلق في تطلعاته، فهو خدمة هذه العملية والمشاركة فيها.

نحن جمع بقي معارضاً للمعسكرات، تنصلوا عن مهمة الدفاع عن مرحلة بريجنيف وألقوها علينا. وقفنا برسوخ. حين لاذت منظمات "راه كاركر" و"أكثريت" و"الفدائيين" بالفرار، كنا نقف بثبات، ونحن من دافعنا عن التجربة السوفيتية حين كانت تتعرض لهجوم التاتشرية. فيما لم يبقوا هم، مضوا، أصبحوا ديمقراطيين. وفجأة، غدوا جميعاً، وبصورة غريبة، ديمقراطيين. على غرار الحزب الشيوعي الإيطالي الذي غير اسمه إلى الديمقراطيين اليساريين، وبعث توني بلير بلاغاً إلى مؤتمرهم الحالي. كلهم أصبحوا كذلك. لا يمكن الحديث معهم أيضاً عن الاشتراكية.

إن العمل الذي استطعنا القيام به في تلك المرحلة كان برأيي هو أننا صنّا، في أجواء اليأس تلك، وفي أجواء الهجوم تلك، خندقاً سياسياً وخندقاً تنظيمياً وخندقاً فكرياً وتعاليمياً (من كلمة تعاليم-م)، وحفظنا أفراداً ومادة إنسانية حولها، أصدرنا وأدرنا أدبياته، وأبدينا في أنفسنا مرونة وتحويراً كبيرين كي نقوم بهذا العمل. أي لو كنا قد اتخذنا موقفاً متصلباً أكثر نوعاً ما في حينه، لتحول الحزب الشيوعي العمالي نفسه إلى شيء صغير كثيراً. لقد ألغينا القرارات، أعطينا فسحة أكبر من الحرية، لم نتحول إلى "بابا" لأحد ما، لم نقم بتفتيش عقائد، تركناها حتى يبقوا داخل هذا الصف إلى أن تمر هذه الموجة. وحين مرت هذه الموجه، بدأ فعلاً تاسيس الحزب الشيوعي العمالي وشرع بنشاطه السياسي.

ما أود قوله هو أنه كان يمكن عقد مثل هذه الجلسة، ولكنها ستكون عديمة الفائدة، عديمة الفائدة في تلك الأجواء. إذ ليس ثمة آذان صاغية. ليس ثمة إحساس وحماس فيها، لم تكن ثمة صلة اجتماعية تتعقب عقدها. وبرأيي، لا تؤدي إلى تربية أي طيف أو يعرف: ها إن اليمينيين وقد مضوا الآن، كم

قدم يمكن لهم أن يلجوا، براية حمراء، الشارع بحيطة وتوجس؟ توفر هذا الجو الآن، ويمكن الحديث بصورة مؤثرة برأيي. لا أريد أن أقول أن نبدأ من الغد وينبغي أن نبدأ حتماً الآن. كلا، برأيي كان بوسعنا دوماً أن نواصل إصدار هذه النشرة. ولكن هذه الجريدة (يلوح للاجتماع بالجريدة) هي جريدة "نقد"، جريدة قديمة جداً وإن صديقاً باسم شهرام والامانش كان يصدرها مع أصدقاء له في ألمانيا. أعتقد أنها توقفت عن الصدور. سمعت أنها توقفت. صدر منها في جيل خاص. وحتى خمسة أعوام بعد هذه العملية، أخرج اليسار في لحظتها رأسه من حفرته، في تلك السنوات، صدر 20 أو 30 عدداً منها. أرايتموها؟ نعم، قد يكون عدد قليل قد اطلع عليها.

إذا قمنا بعمل نظري في تلك المرحلة، لو ذهبنا في تلك الأجواء ومسكنا بهذه الحلقة، قد لا نكون بهذه الدرجة من ابتعاد الناس عنا. ولكننا اتخذنا ما يمكن تسميته بالترفع عن هذا كذلك برأيي. ومهما كان لي ولكم اهتمام بالكتابة لمجلة نظرية تريد أن تصدر في عام 93 و94 وتناقش نظرية ماركس، لتمت قراءتها بقلة اهتمام، ولكن هذه الأجواء قد تغيرت الآن برأيي. وإن مرحلة شن هجوم قد بدأت.

لقد انهزم السوق خارج الأكاديميات! لقد انهزم السوق قبل 3 أو 4 سنوات. لا يجرؤ أحد على القول إن السوق الحر هو جواب المسائل وحلها. إنهم لا يجرؤون على ذلك حتى. أثار وباء الزكام نقاشاً في هذا البلد (بريطانيا-م)، وهو نقاش الطب والصحة العامة في هذا البلد. إنه جدل يدور في كل مكان. غدت حكومة بلير المتغطرسة والمتعجرفة التي لم تطأطأ الرأس لأحد عرضة لهجمة شيوع الانفلونزا وانعقد لسانها، وأقرت بوجوب التفكير بالأمر. إذ لا يتحدث أحد بعد عن أنه يسلم حل هذا الأمر للسوق الحر. لا يجرؤ حتى المحافظون على الحديث عن إحالة الطب للقطاع الخاص، ولا يجرؤون على القول: أيها الناس، بوسع أي امرئ يرغب أن يذهب لقطاع الطب الخاص. الطب في تلك المرحلة؟ كانوا يقومون بخصخصة السجون! إنهم يفكرون الآن كذلك في خصخصة السجون. أي أن يقوم جمع منا بتوظيف الأموال في ميدان السجون، ومن ذلك نجني أموالاً! إن هذا هو المجتمع الذي تطأ أقدامنا خارجه.

لقد الحقت الهزيمة بأجواء "السوق". إذ نسمع الآن، بعد هزيمة السوق الحر والليبرالية الجديدة والنزعة الفردية التي انتهى عمرها برأيي قبل ثلاث أو أربع سنوات، صوتاً يصدح في المجتمع الآن: لا يمكن أن يكون الأمر على هذا النحو! ينبغي أن يكون للمجتمع توجه، أن يكون ثمة صح وخطأ. ينبغي أن يكون المستقبل أفضل من الماضي. وإن لماركس والاشتراكية ما يقولانه بهذا الخصوص. صحيح أن الاشتراكية القائمة الأن عاجزة في بلدان أوربا، التي هي بلدان حاسمة، ليس لها أي أثر أساسي، ولكن يمكن تلمس ضغط الاشتراكية على أقسام من الطبقة البرجوازية نفسها بأن هذه النقاشات ليست جواباً ورداً على الأمور.

إن الحركة المناهضة للرأسمالية التي دفعت الأمور من سياتل الى لندن لهيجانات هي أحداث عفوية لحركات وميول قد تجمعت في أفئدة الجماهير. لأسوق لكم مثالاً آخر: حين نال أطباء بلا حدود جائزة نوبل، وألقى رئيسها، وأظن أنه رئيس قسم بريطانيا، خطاباً حين تسلم الجائزة، خطاباً مهيباً ضد أمريكا والأمم المتحدة بالحديث عن: أية أوضاع خلقتموها في العالم؟ من كان جالساً هناك هم جميعا جزء من ارستقراطية المجتمع السويدي، وربما قادة دول أخرى. قامتا، أمريكا والأمم المتحدة، بدرجة من التخريب والدمار بحيث حين تحدث بصورة مناهضة للأمم المتحدة وأمريكا ولفكرة النظام العالمي الجديد وتدخل أمريكا ومجمل تلك الأعمال، التي على منظمة أطباء بلا حدود أن تهرع للملمة

آثارها وعواقبها على الضحايا، صفقت ارستقراطية عالمنا المعاصر هذه له أيضاً!

صحوا على ذلك قبل ثلاث سنوات. ولكن غدت الأجواء الآن بشكل بحيث إذا أزلتَ الرقابة عن صحفي، ستجد أن قلبه يريد أن يقول شيئاً آخر عن يوغسلافيا. إذا رفعت الرقابة عن صحفي يكسب ثمانين أو تسعين ألف جنيه سنوياً في بريطانيا، ستجد أن قلبه ينشد قول شيء آخر عن العراق، وحين ترفع C.N.N أياديها من أحد صحفييها، تراه يريد أن يقول شيئاً آخر. لقد بلغ الأمر أنه في حفل توزيع جائزة نوبل، إذا توجه الشتائم لأمريكا وتؤاخذ الأمم المتحدة على أي استهتار تقيمه في العالم باسم الحرية والمساواة وما إلى ذلك، باسم الانسانية، فإن الجمع الجالس هناك، يقف على أقدامه، من ملك السويد إلى ذاك الشخص الجالس في الأكاديمية، ويشرعون في التصفيق بشكل يُجبروه ست مرات على التوقف. إن الضغوطات على الطبقة الحاكمة هي أمر ملموس.

أن لا يُطرح كلام ماركسي هو أمر وحقيقة جدية لا تعود الى انهيار الاتحاد السوفيتي ووضعية ما قبل عشرة أعوام، بدأ ذلك قبل ثلاثين أو أربعين عاماً، حيث لم تبق الشيوعية راية احتجاج، لكن تغير الوضع الآن بشكل بحيث يمكن أن تمضي لتقول كلامك. ماذا حل بموضوعة النظام العالمي الجديد حقيقة؟ لقد انتهت موضوعة النظام العالمي الجديد، ليس ثمة امرؤ كذلك يدعي إقامة نظام عالمي جديد، يراقب الآن ليرى إلى أي مدى يقدر الناتو على التدخل في المطاف الأخير. لا تجد أي عنصر للنظام العالمي الجديد. ولكن إذا تتذكرون قبل ستة أعوام، هناك ألف نظرية ونظرية حول كيف سيكون عليه هذا النظام استناداً إلى عالم ذي قوة عظمى وحيدة.

مضى النقاش مرة أخرى الآن صوب أن هناك طرفاً في الموضوع هي جماهير تنشد أشياء ما. ليست القوى العظمى من عليها أن تعيد ترتيب الأمور. تصدينا بصورة سياسية لهذه السنوات الست أو السبع. أعتقد أن علينا مهمة القيام بحصتنا ومساهمتنا النظرية، وبهذه الحركة النظرية وبالحركة النقدية التي بوسعها أن تتطور وتنمو في هذه المرحلة. أعتقد أننا، بوصفنا حزباً شيوعياً عمالياً، أشخاصاً في الحزب الشيوعي العمالي، نتمتع بمكانة خاصة، وذلك لأننا لم نغادر الميدان. وأزفت ساعة أن نتحدث عن "ألم يكن هذا ماقلناه؟!" ووقفنا وسعينا إلى كسب تلك القوى التي لذلك الخط في المجتمع. وعلينا الآن أن نلج هذا الجدل.

* * * * *

على أية حال، إن هذا يوضح إطار البحث الذي أود طرحه هنا. إن هدفي هو بصورة واضحة جداً طرح الشيوعية مرة أخرى. طرح الشيوعية مرة أخرى بالشكل الذي أعتقد أنه ينبغي أن تطرح به. أطرح شيوعية سميتها الشيوعية العمالية. تتمثل مهمتي في أن أسعى في هذه النقاشات إلى رسم تصوير للندوة بحيث، على الاقل، تعرفون حين أقول الشيوعية العمالية، فإن رؤيتي للشيوعية العمالية هي رؤية للماركسية، ما هي عليها وما ليست عليها. بعد أن نصور هذه الظاهرة، بوسعنا أن نخوض نقاشنا المتبادل. إنها صياغة أخرى للماركسية. إن الشيوعية العمالية، في التحليل الأخير، مثل بقية الصيغ والروايات والقراءات القائمة للماركسية، صيغة أخرى. إنها باعتقادي صيغة عرّفت وحددت إطارها الفكري بصورة دقيقة مقارنة بالعديد من الصيغ.

إذا اردت أن ترى ما هي الماوية، تُوضَّح الماوية بعون تاريخ الصين. بمساعدة ثورة الصين، تُوَضّح الماوية. إذا أردت أن تقول فقط ما هي أفكار ماو؟ لا تصل إلى كراسين ونصف تقريباً، أعتقد أن الفلاح الصيني يضحك عليها الآن. في وقتها، كان الكتاب الأحمر في القرى، كيف نزيّت بنادقنا كي

لا تصدأ، وأي نوع لدينا من التناقض الرئيسي والتناقض الثانوي، ومن هو طرف التناقض الأساسي ومن هو طرف التناقض الثانوي، وكيف على الفلاحين الصينيين أن يحفظوا عن ظهر قلب هذه الجداول لأنه حين أريد أن أغير جبهة ما وأدخل الحرب مع جبهة أخرى كنت حليفاً لها حتى الأمس، لهذا عليكم أن تقرأوا "حول التناقض" كي تعرفوا لماذا أريد من الأربعاء المقبل أن أغير التناقض الرئيسي! إذا أردت أن تطلع على الماوية بوصفها رؤية، ليس لها أدبيات كثيرة.

إذا أردت رؤية التروتسكية بدون الستالينية، بدون ظاهرة ستالين وانعكاس تروتسكي في ستالين وحقيقة ستالين والتي تم نقدها لاحقاً من قبل التروتسكيين، لا أعرف كيف يمكن أن تجلس وتوضح ما هي أركان واختلافات المدرسة التروتسكية. من الواضح أن مرحلة ما بعد تروتسكي لا يمكن فصلها أيضاً عن تطورات اليسار الأوربي، وأن العديد من المفكرين اللاحقين وضحوا التروتسكية في فروعها المختلفة. لكن لأوضح مرة أخرى أن التروتسكية ليست شيئاً ذات مواضيع وأبحاث مدونة بقدر ما هي كيف فكر التروتسكيين أو يعرف الجميع أصولهم ومبادئهم الفكرية، صلتهم بالقومية أو الأممية وغيرها أو مثلا العامل الصناعي وأوربا وخارج أوربا وغيرها.

أو أفترض أنك تريد أن تطرح أدبيات اليسار المعادي للإمبريالية الذي كان أساس النضال شبه الشيوعي في أمريكا اللاتينية، وتقول إن هذا ما يقولوه عن المجتمع، عن الاقتصاد، عن الدولة، عن نظرية الحزب، عن الدين، عن السياسة، من الصعب أن تبني من أدبياته منظومة كاملة. إنك ترى عادة نضالاً سياسياً، حركة سياسية، وبعدها، سيراً ذاتية ومحللين يأتون ليقولوا مثلاً إن حركة الزاباتيستيين في المكسيك هي هذه وتأتي أفعالها وممارستها هذه من عقائدهم تلك. إنهم أنفسهم لم يتركوا مجموعة عقائد بصورة منسجمة بحيث بوسعك أن تراها.

ثمة مدارس شيوعية موجودة: الأوروكومنيزم، الشيوعية الاوربية، غرامشي، ولكن هناك كتابات قليلة لها. ولكن غرامشي نفسه لم يعد نفسه معادلاً للأوروكومنيزم (الشيوعية الاوربية). لقد قال كلامه، إنه امرؤ قال إن الأوروكومنيزم هي عادة مجموعة أطروحات مثل أطروحات بروستراويكا وغلاسنوست غورباتشوف على سبيل المثال. تطرح نوعاً من خط، وما بقي فهو واقع سياسي.

على النقيض منهم، الشيوعية العمالية فقيرة وضعيفة إلى أبعد الحدود من حيث الواقع السياسي. ليست ظاهرة قط في عالمنا المعاصر، إلا أن نأتي لنوضح الشيوعية العمالية باليسار في إيران والعراق وبمقاطع من أحداث. أما غير هذا، فهي رؤية. إنها نقد. على العكس، إذ يمكن فهم أركانها النظرية، الفلسفية، المنهجية، الاقتصادية، السياسية، ويمكن مطالعة نظريتها في ما يخص الدولة، رأيها بالمراحل الثورية، بماركس نفسه، بمكانة ماركس في كذا ظاهرة أو مكانة الظاهرة الفلانية عند ماركس، ولكن لا يمكن القول إن الشيوعية العمالية نظرية كانت مُسيِّرة لحدث وواقع تاريخي مهم على سبيل المثال في المنطقة الفلانية. فيما على النقيض من ذلك، يمكن إطلاقه على التروتسكية والماوية. لازالت الشيوعية العمالية منظومة فكرية، رواية عن الماركسية، نقد معين، صيغة وقراءة معينة للماركسية تسعى لترسيخ نفسها.

لقد جعل العديد منا، من هذه الشيوعية العمالية، هوية سياسية له. أعتقد أنها بدرجة من التحديد بحيث بوسعها أن تفصح عنا. بوسعها أن توضح هويتنا السياسية والثقافية والفلسفية والمنهجية. نطلق على أنفسنا شيوعية عمالية، وعلى آخرين شعبويين، وعلى غيرهم ماويين. ونعتقد أن الشيوعية العمالية

جلية بحد كافٍ لتوضيح هذه الهوية. لتوضيح رؤيتنا، نظرتنا للعالم المعاصر، مساراته، أولويات الانسان اليوم، الأصول التي تنبغي مراعاتها، الآمال والأهداف التي ينبغي تحقيقها، نعتقد أن الشيوعية العمالية تقول لنا كل هذه. أعتقد أن مصطلحنا ومفهومنا يرمزان ويعبران إجمالاً عن نقدنا لهذا العالم الخارجي. أعتقد يمكن على أساسها تأسيس حزب، وأسسناه. بوسعها أن تكون أساس تأسيس عدة أحزاب سياسية. بوسعها أن تحدد لنا استراتيجية للنصر حتى. وفي الفترة الأخيرة، بوسعها أن تحدد لنا حتى الأسلوب السياسي لحزب سياسي. على هذا الأساس، بالنسبة للكثيرين، لآلاف الاشخاص، عدة آلاف من الأشخاص على الأقل في كل المنطقة، إيران والعراق، الساكنين الآن في أوربا، لعدة آلاف من الأشخاص، تعد الشيوعية العمالية رؤية ومدرسة ورؤية محددة ويمكن رسم ملامحها بصورة تامة. إنها ليست لفظاً. إنها شيء يمكن رسم ملامحه، يصيغ حياتهم اليومية، نشاطهم، ونظراتهم والأسلوب الذي يطرحونه. أي شيء يجابهونه، وأي شيء يتصدون له، وأي شيء يتراجعون أمامه، وكيف يمضون ليلهم ونهارهم في هذا المجتمع، هو أمر توضحه هذه الرؤية إلى حد كبير. وإن هذا يقول لنا أمراً ألا وهو إنها ميل واتجاه ورؤية مهمة.

طرحت على نفسي سؤالاً: ماذا كان ماو قبل انتصار ثورة الصين؟ قبل عام 1949، قبل عام 1928 (على أية حال، إن ماو كدح أيضا عشرين أو ثلاثين عاماً)، ماذا كان ماو في عام 1928 و30و 31، و32؟ كان يعود تواً من الكومنترن (الأممية الثالثة) من عند ستالين، ماذا كان يقول ماو في حينها؟ إذا كنت تعيش قبل انتصار ثورة اكتوبر، على سبيل المثال في عام 1914، ويقولون ما هي البلشفية؟ ماذا تقول: إنها مدرسة عظيمة أزاحت العالم؟ لم يكن الأمر كذلك! البلشفية في تلك المرحلة تيار داخل الاشتراكية الديمقراطية الروسية، راديكالي، عمالي، لا يساوم مع المساومات السياسية للمناشفة مع الاستبداد السياسي، كان يقوم بفصل صفه في الأممية الثانية عن النزعة الارتقائية والتدريجية والتكاملية. ولكن ما هو أهم من هذا؟ في الحرب العالمية الأولى، مضى ليقف ضد الحرب، وبدل أن يدافع عن برجوازية بلده، تحدث عن وجوب إدارة فوهات البنادق صوب برجوازية بلدانهم. إنها البلشفية في تلك المرحلة.

أثمة عدة آلاف كانوا بلاشفة بالمعنى الفكري الفلسفي في حينه؟ لا أعلم! يمكن المضي ودراسة الأمر والتحقق منه. كانوا عدداً من المهاجرين من روسيا وعدداً من العمال في روسيا. يتجمعون على الأغلب في مدينتين أو ثلاث رئيسة. وإن كانت هناك أدبيات عندهم، لا نعرف أنا وأنتم عن ذلك. انظر الآن نطبع جميع أعمالهم. بوسعنا وضعها أمامنا، وننظر ما هي الكتب الأساسية للينين قبل 1917، قبل 1908، قبل 1905؟ حين تنظر ترى أن الكتب الأساسية للينين هي المتعلقة بثورة روسيا. تكتيكان في الاشتراكية الديمقراطية الروسية، مالعمل؟، الإمبريالية، والذي يعود أساساً للحرب وصلة الحرب الامبريالية ومنافساتها. وبعدها نبلغ مرحلة 1917 التي شرع لينين بالكتابة حول الدولة وألف شيء وشيء تعد اليوم أسس أبحاثنا في مجابهة الأممية الثانية.

عبر ثورة روسيا، تحولت اللينينية إلى اتجاه يلعب دوراً في حياة الجماهير. وليس قبلها! لم يكن معلوماً قبلها أن البلاشفة سيكونون اتجاهاً أساسياً في اليسار العالمي. لم يكن معلوماً مسبقاً. إذا أردت أن تقيسها حينها، من الممكن أن تكون بقدر الأبعاد التي ذكرتها. نحن أيضا حزبان أو ثلاثة أحزاب سياسية في بلدين أو ثلاثة بلدان، أحدهم من 60 مليون نسمة. لدينا جرائد كثر. حين تنظر إلى جرائد البلاشفة، تجد أنها أقل منا بكثير، وأن نفوذهم على الرأي العام لبلدهم كان أقل منا بكثير. ففي يومنا هذا نفسه، لدينا إذاعتان أو ثلاث تبث في المنطقة، أحدهما شرعت في عملها قبل أربعة أشهر.

يتصلون بها، من هذا الطرف من العالم لذاك، أناس يقولون إنهم يشاطرونها الرأي. من زاهدان إلى تبريز. يبحثون عن كتبه، تأسس حزب مماثل له في العراق. ونظراً لتأسيسه، التف أناس كثر حوله. قُتِلَ منه، يحارب، يقوم بالدعاية. حزب تأسس بصلة مع إيران، أعتقد أني لا أبالغ إذا أقول، إنه أكبر منظمة يسارية معارضة إيرانية، أكثرها نشاطاً. ربما أكبرها يعني في التحليل الأخير أكثرها عدداً، إنها أقوى منظمة يسارية وأكبر منظمة يسارية راديكالية، وإن راية الماركسية في البلد بيدها. إن مثل هذه الظاهرة هي قبل انتزاع أي نوع من السلطة، قبل أن نسيطر على زقاق، قبل حتى أن نحافظ على قرية بيدنا، قبل أن نعلن حكومة ولاية ما. إن هذا هو وضع توجه.

وعليه، أعتقد أن الشيوعية العمالية، وبصورة حقيقية وواقعية تقف بموازاة التروتسكية والماوية والشيوعية الأوربية وغرامشي وأفترض اليسار الجديد حتى (والذي، أي اليسار الجديد، ليس مع هذا الصف، ليس قطعاً، وذلك لأنه لم يترك أي حدث سياسي حقيقي في حياة مجتمع مهم، لم يرتبط هذا التيار بشيء). إنها (الشيوعية العمالية-م) تيار في أوضاع ما قبل ثورية، ما قبل انتزاع السلطة. يمكن أن تسلك هذا الدرب، ومن الممكن أن تمر وتتلاشى. بوسع هذا التيار وهذه الرؤية أن يبقيا تحت الأرض إلى أن يخرجهما يوماً ما، شخصٌ ما، في مكان ما، ويقوم مع هذه الراية بعملٍ ما يبقى في أذهان الجماهير ويقولون: آها، إن الشيوعية العمالية اتجاه سياسي، اتجاه يساري معروف يمكن الحديث عنه، ويمكن كتابة شهادة دكتوراه حوله. كيف يفكرون؟ لماذا قالوا ذلك؟ ما هو فرق واختلاف مواقفهم عن البقية؟ لازالت رؤيتنا الآن، رؤية حركة معينة في الشرق الأوسط. استطاع البعض أن يجد له أنصاراً ومؤيدين في أمريكا وأوربا الغربية، استطاع البعض ترسيخ موضعها، ترسيخ دورها في أماكن أخرى، لكن الحديث أساساً عن عدة آلاف من الأشخاص الشيوعيين في عدة بلدان تعاطفوا معها، وبعدها واجهوا بنتائجها السياسية على شكل نشاطات هذه الأحزاب.

أعتقد أن هذا أمر مهم. أي إني لا أقول هذه الأشياء كي أقلل من شأن الشيوعية العمالية، بل إني أتحدث عن أهميتها. إن الشيوعية العمالية هي، وقبل أية ثورة في إيران والعراق وكردستان، بلدين أو ثلاثة، ظاهرةٌ أهم من الماوية قبل انتصار الثورة الصينية برأيي. وذلك لأنه لم يكن لها، أي الماوية، أي تصور عن أي شيء. يمكن الحديث عن الحزب الشيوعي الصيني الذي سعى بعون الكومنترن إلى طرد اليابان. لقد تأسست الماوية بوصفها ماوية في رحم تلك العملية. كان الأمر على العكس في منظومتنا.

في منظومتنا، الشيوعية العمالية منظومة مدونة، رؤية معينة للماركسية. إذا كانت الماوية رواية معينة للماركسية، وذلك لأن الباحثين ذهبوا بعد ذلك ووجدوا أنها كانت رواية معينة للماركسية. رأوا أعمالها. نظروا إلى سياساتها، قيّموا طروحاتها، فهموا: آها، إذا وضعناها تحت سقف واحد، ستكون مدرسة لنفسها تنظر للماركسية بهذه الطريقة. وعليه، يمكن دراسة الأبعاد المختلفة لهذه الموضوعة، ونظراً لهذا، الشيوعية العمالية مهمة برأيي. لا لأنها الآن أساساً على السطح ظاهرة مثل الماوية، التروتسكية، البلشفية، الأوروكومنيزم أو اليسار الجديد. إنها ليست على هذا الصعيد والمستوى قط. لم ندّعي هذا قط. بيد أن القدرة الانفجارية الموجودة داخلها أكثر عظمة منهم، وذلك لأنه انتهى عمرهم، ورأينا ما يمكن أن يأتي على أيديهم. ولكن هذه، أي الشيوعية العمالية، تنتظر فرصة في المنطقة، وإذا كانت غداً، ولمدة ثمانية أشهر أو سنة حتى عشر سنوات، في زاوية ما من ذلك البلد، تكون الشيوعية العمالية على سبيل المثال الإيديولوجيا والسياسة السائدة على حزب سياسي ينتزع سلطة، ويطبق برنامجها فوراً، وأفترض يعلن عشيتها مساواة المرأة والرجل في هذه المنطقة، المرأة والرجل

متساوين، يتمتع الطفل بحقوق إنسانية، يحجر الدين في جحر: لا تتعرض للحيوانات، تحدث بأدب، لا تلحق أذى بالأطفال حتى نفسح المجال لك لتقول ما تريد، هنا الملكية الخاصة ملغاة، وإن أي أمر موجود في هذا الكتاب (عالم افضل، برنامج الحزب-م) يتم تنفيذه وتطبيقه.

إذا قمنا بهذا العمل لمدة ستة أشهر، عندها ستحل الشيوعية العمالية بوصفها اتجاهاً سياسياً ذا مكانة على الخارطة. عندها يمضي شخص من بوليفيا، وآخر من إيطاليا وشخص من أفريقيا لقراءتها. إنها تترجم الآن إلى لغات كثيرة، عندها ستترجم إلى لغات أكثر. عندها يقولون إن اتجاهاً حلَّ أيضاً في إيران والعراق والمنطقة وكذلك حركة تحت هذه الراية. عندها يمكن أن نجد نظيرها ومعادلها الألماني، آمل ذلك. إن فرقنا برأيي هو أن مستقبل البقية في ماضينا، في وقت إن مستقبلنا الآن في طور التشكل والصياغة. وعليه، إنه لأمر مهم أن عدة آلاف من الأشخاص، أؤكد، في أوج المعاداة العالمية للشيوعية، في أوج إعلان العالم لنهاية الشيوعية، في إوج حكومات شرسة في المنطقة، وقف عدة آلاف لعقد (على الأقل عشرة أو خمسة عشر عاماً نمضي على هذا الخط) وبقوا متحدين وصرفوا طاقتهم وحياتهم لهذا، وإنه دلالة طاقة سياسية عظيمة لهذا الخط. وإن هذا ما يجعلنا ويسمح لنا بالحديث عنه.

إني أتحدث عن الشيوعية العمالية، ليس بوصفها سلسلة عقائد انتقائية يمجدها أحد لآخر في بيت رفيقه، بل بوصفها تلك الإيديولوجيا والمنظومة الفكرية التي وحدت حولها حزبين سياسيين بهذا الحجم في أحد أعقد أوضاع تاريخ الاشتراكية، أبقتهم في الميدان، أبقتهم منهمكين بالدعاية والتحريض، بالرد على الأكاذيب، بالانهماك في الرد على الخرافات، بتوفير ملاذ آمن لأناس فارين، بالدفاع عن حقوق المرأة. إنها أمور مادية، إنها أحداث جرت. إن هذه الاتحادات موجودة، أقيمت، إنها اتحادات حالت دون توحيد الحكومة القومية هنا، أحداث كانت مبعث عدم انجرار المعارضة خلف الحاج خاتمي، إنها أحداث جرت. إنها أحداث كانت مبعث أن يكون اليسار الإيراني أكثر ماركسية من اليسار في باكستان، من يسار تركيا، من يسار إيطاليا، من يسار ألمانيا. إن هذا أمر مهم! 60 مليون نسمة يعيشون في ذلك البلد فقط، بلد نفطي في الخليج العربي. لو تضع هذه الرؤية تاريخ هذا البلد تحت تاثير تلك الأحزاب لستة أشهر، عندها تمضي هذه الرؤية لتقف بمستوى التروتسكية، الماوية، اليسار الجديد والأوروكومينزم، ويُجبر الآخرون على مطالعتها مثلما هو الحال معهم.

على أية حال، تصل بي أهمية هذه الرؤية، في المطاف الأخير، مباشرة إلى نقطة أخرى تبين لي تعقيد موضوع اليوم، على الأقل بالنسبة لي، ولكم بدرجة ما. إنها مكاني في هذا البحث. هذه هي المشكلة القائمة. لقد دون شخص معين 99.9% من الكتابات والأدبيات التي تحدثت عنها. وإنه هو من رفع هذه الراية أكثر ودفعها للأمام ووضحها. كتب رسائل من أجلها، جادل من أجلها، أبدى رأيه وكتب ووضَّحَ من أجلها. إذا افترضنا غير ذلك، أي إذا لم اكن أنا متحدث هذه الندوة، ويأتي شخص ثالث هنا لتقديمها، سيكون الأمر بسيطاً جداً. سيأتي ليقول انظروا: الشيوعية العمالية هي مجموعة مباديء، أحكام وتحليلات دوّنها أساساً، على امتداد سنوات 86 الى 96، امرؤ اسمه منصور حكمت في الكتابات الفلانية. وكانت هناك أشياء أخرى كذلك، ولكن إذا أردنا أساساً أن نعرف ما هو موجود، تمثل تلك المادة الهيكل الأساسي لهذه الأدبيات، وأود أن أتحدث عنها.

بوسع شخص ثالث، وبراحة بال، أن يتناول الموضوع. بوسعه أن يتحدث عن ضعفها، ولكن بوسعه،

في الوقت ذاته، أن يبين نقاط قوتها أفضل مني. بوسعه أن يتحدث بصورة موضوعية ولا يحسبوه عليه تكبراً. عندها لا يحسبوا أنه يمجد كتاباته. بوسع شخص ثالث أن يطرح هذه الرؤية بعينيتها. إن هذا الشخص قال كذا، وبوسعه أن يمضي للبحث في جذور ما قاله. الأمر صعب بالنسبة لي، ويتحمل أشياء أخرى كثيرة غير البحث عن الحقيقة.

إذا أتيت لأقول: رفاق! إن جذور موضوعة الشيوعية العمالية بصورة واقعية تعود إلى شخصين أو ثلاثة، بدلاً من أن يترعرعوا في اليسار الإيراني، ترعرعوا مع اليسار الإنكليزي. إن هذا أمر مهم في هذه الظاهرة. إن هذا أمر مهم إن أردت أن أعرّف واصف هذه الظاهرة. أنْ نعرّف أن الأشخاص الذين كانوا منطلق ومبعث خطنا هذا الذي نناقشه هم موجودين هنا، مثلما ذكرت في جوابي على "درب الحرية"، أن أساسها هو أن جذورنا اليسارية لا تعود إلى الانتقال من الإمام الحسين إلى جيفارا ومن دكتور مصدق إلى لينين. إن جذورها في الغرب، إن جذور موضوعتنا في ألمانيا، في بريطانيا. إذا تحدث شخص ثالث بهذا الكلام، بوسعه أن يصرّ على هذه الموضوعة ويقول: نعم إن منصور حكمت أو حميد تقوائي كانا أساس ظاهرة باسم [منظمتي] سهند واتحاد المناضلين الشيوعيين (منظمتان أسسهما منصور حكمت ورفاق له-م). إن سبب ظهور هذه الرؤية بهذا الشكل هو أنهم، وبصورة ملموسة، لم يستمدوا في تلك اللحظة شيوعيتهم من الخط الفدائي في إيران. إنهم لم يأتوا من الماوية، بل تطوروا ارتباطاً باليسار في بريطانيا. وإن معايير ومقاييس أخرى في الشيوعية هو ما كان مطروحاً بالنسبة لهم. في تلك المرحلة، لم يكن لها مسحة شرقية أو عالم ثالثية أو مسحة معادية للإمبريالية. كانت شيوعيتهم معادية للرأسمالية. بوسعي أن آخذكم معي إلى أدبيات [منظمة] اتحاد المناضلين الشيوعيين كي أشير لكم إلى الأصول الفكرية للشيوعية العمالية بالشكل الذي صيغت فيه خلال السنوات العشرين المنصرمة في إيران، وأريكم أسسها الاجتماعية كذلك. وبالتالي، أن أسرد لكم هذا التاريخ. إن كان شخص ثالث يقوم بذلك، فسيكون بوسعه أن يقوم بهذا العمل بصورة أكثر ارتياحاً برأيي.

ولهذا أطلب سمحكم إن كنت مجبراً على الرجوع، على امتداد الموضوع، بصورة مستمرة إلى كتاباتي، أو إلى منظمة أنا نفسي عضو فيها، أو عدة أناس عملت معهم، واسمهم موجود هنا. ثمة كتب كثيرة عليكم قراءتها، ثمة كتابات كثيرة أعتقد أن على أناس يشاركون في هذا الموضوع أن يقرأوها كي يتمكنوا من إبداء رأيهم. لقد كتبت القسم الأكبر منها. وإن مقداراً كبيراً من الموضوع حول الشيوعية العمالية هو دون شك بحث حول ما مر كل لحظة بحيث جعلنا نقول هذا، لماذا مضينا من هنا الى هناك، لا حول لماذا أن هذه الفكرة قد طرحت بصورة مجردة. بوسعي، بوصفي شاهداً موضوعياً على عملية صياغة وتشكل موضوعة الشيوعية العمالية، أن أذكر لكم أن هذه الظاهرة قد ظهرت بالشكل الذي عليه، ظهرت بهذا الشكل تحت ظل تلك الضغوطات، كانت تتعقب الهدف الفلاني، بيد أن هذه هي الحصيلة الموضوعية لنظريتها بالنسبة لنا.

إني مجبر على القيام بهذا العمل، وأتغاضى عمّا يسمى بأنا المحورية في هذا الموضوع. أعتقد أن بوسع مراقب موضوعي أن يأتي ليتحدث عني ومكانتي الموضوعية في هذا البحث، وبرأيي من حقه أن يقول، أو إذا افترضتم أن كورش (مدرسي) أو فريبرز (بويا) يودون أن يتحدثوا هنا، ينبغي عليهم أن يبحثوا الأمر على هذه الشاكلة. ولكنني مجبر على القيام بهذا العمل. ولكن مساوئه، في المطاف الأخير، يتمثل بالنسبة بعدم استطاعتي أن أدافع عنها مثلما هو الحال مع دفاعي عن ماركس وعن رأسمال ماركس، وأقول: انظر إلى هذا السطر، وكم كتب بصورة جميلة، وإن بحثه هذا يعود لبحثه

ذاك، وإن هذا يعود إلى ذلك المكان في الإيديولوجيا الألمانية، لا يمكن بالسهولة نفسها أن أسمح لنفسي وأقول: انظر نادراً (اسم متعارف لمنصور حكمت-م)، وكم هو جميل ما كتبه هنا، إن بحثه هذا يعود إلى الاجتماع الفلاني والرسالة الفلانية، وإلى اجتماع اتحاد المناضلين الشيوعيين، وإلى الاجتماع الذي عقده على سبيل المثال في الهايد بارك مع الرفيق الفلاني. ليست أياديي طليقة، للأسف. أعتقد أنه مرتبط بتاريخ هذه القضية. ربما أستطيع أن أقوم بهذا في فرصة أخرى. ربما في ذلك التاريخ الشفهي الذي من المقرر أن نجلس لاحقاً لنناقش ما يخص تجربتنا السياسية جميعاً ونسجلها، ونبحثها هناك.

ولكن في المطاف الاخير هناك مزية، تتمثل هذه المزية بـ: وإن يكن بوسع الشخص الثالث أن يتحدث بصورة أعمق، اسمحوا لي أن أورد مثالاً. إذا جلبت وودي الن أو فليني أو هيتشكوك وتسأله: تحدث لي عن السينما، تحدث لي عن أفلامك! بوسعه، بدرجة ما، أن يعطي رأيه بصورة محدودة أكثر، وذلك لأنه لا يستطيع القول: أي إخراج رائع لهذا الفيلم! كم هو جميل فعلاً التصوير هنا! إنه مجبر على أن يقول إني أحسست بهذا الشكل في هذا الفلم بحيث عملته بهذا الشكل أو كانت المحضورات علينا هي كذا. ولكن لازال هيتشكوك وودي الن وفليني يتحدثون عن هذه الأفلام بصورة هم هنا وأفلامهم هناك وانتهى الأمر. هذه الأفلام وهؤلاء هم.

ولكني ذكرت: في الشيوعية العمالية شرعنا بعملية، وهنا نحن ندون، ندونها أخيراً بصورة جماعية، إننا جالسون لعمل فلم آخر يخص أفلامنا حتى الآن. وضعنا، من الناحية الموضوعية، هو الوضع ذاته الآن. وعليه، بوسعنا أن ندفع الموضوع لما ينبغي أن يكون عليه. ولهذا، لسنا مجبرين. ليست أفلام شخص ما رحل أو جرى له شيء ما، وليس بوسعنا أن نمد أيدينا عليها، ولا نستطيع إضافة حجر أو ميدان لها، ولا نغيّر دبلجتها. إننا نجلس هنا. إنها انطلاقة مرحلة جديدة في موضوعة الشيوعية العمالية. لم يعط أحد ما "سرقفلية" (الكلمة ذاتها بالعامية العراقية، وبالمصرية "خلو رجل"، اي بمعنى مقدمة نقدية-م) ليسمعها. إن أعطى فهو جالس في الندوة هذه؟ وعليه، بوسعنا أن نأتي وندفع الموضوع أبعد سوية للأمام. بوسعنا أن نمحِّص نقدنا، بوسعنا أن نقول إن هناك ماخذاً ما على هذه الصيغة، من الممكن أن تخرج وتطرح، إن هناك أبحاثاً جديدة للشيوعية العمالية في سلسلة الأبحاث هذه أفضل من السابقة، أوضح، وأكثر وعياً، وتخص حركة جديدة. ليس بالضرورة البقاء في نطاق تلك الكتب. إن هذا يطلق أيادينا، ويمنحنا حرية عمل.

ولكن موضوعة الشيوعية العمالية، في المطاف الأخير، تتحول إلى أن أطرح لكم صيغتي عن ماركس. حين تعود إلى هذه العملية، وتنظر لها، تجدها هي هذه. أن تجعل من هيتشكوك يتحدث عن أفلامه وإنتاج أفلامه لكم. على أية حال، إن هدف موضوعة الشيوعية العمالية هو، في المطاف الأخير، أن يضع جمعاً من الشيوعيين في مكانة أوعى بالأعمال التي يعدوها مهمتهم. أي لنتصور التالي: إذا بلغنا في نهاية هذه الندوات إلى أن يقوم جمع منا ملّم بنقطة قدرة حركتنا وبنقطة ضعفها، وأن مستقبلها يكمن بهذا المسار. وبوسعي أن أمضي إلى منبر لحسم هذا البحث بين مئة شخص آخر وأرسي قوة استناداً عليه. لا يمكن أن يكون الهدف الأخير لهذه الحركة، مثلما هو الحال عليه من وجهة النظر الماركسية، سوى تغيير العالم.

ليس بوسع موضوعة تتعلق بالشيوعية العمالية أن لا تكون مرتبطة في المطاف الأخير باتحاد الشيوعيين ووحدتهم وتغيير العالم. حتى لو أردنا أنا وأنتم أن نضع فرامل، فإن هذه هي خصوصية

البحث. إذا لم يؤدِ ألى نتيجة، حيث شاركت في اجتماعات مثل هذه، وإذا طالت كثيراً، سيمضي جمع ويؤسس حزباً جديداً فيها. أود أن أقول إن سمة البحث الشيوعي هي أنه حين تنصتوا له جيداً، فإنه يحفزكم لأن تقوموا، في المطاف الأخير، بعمل تعتقدوه صحيحاً. وإذا قمتم بهذا العمل، عندها نكون نحن وماقمنا به نموذجاً فعلاً، إذ تمكن البحث من أن يكون حافزاً وسبباً لأن يصبح عدد كبير من الكوادر مفكرين وقادة لمرحلة جديدة من النشاط الشيوعي العمالي المطروح أمامنا. لقد طوينا هذا بصورة بيانية (صعود وهبوط-م). لم يضع لمدة طويلة أناس جدد أقدامهم في هذا الميدان في حركتنا، حركة اليسار برأيي.

إن مجمل اؤلئك الذين هم ذوو آراء في اليسار الإيراني اليوم هم ثمرة ثورة 1979، أو بدرجة صلب عودهم هناك، وتولدت شجاعة إبداء الرأي في ما يخص أحكام اليوم الكبيرة. في ما بين ثورة 1979 وإلى الآن، أي من اليسار الذي ظهر هناك إلى اليسار الذي يمضي الآن صوب ثورة جديدة بالأخص في المنطقة، لا يحس المرء للأسف أن إيديولوجيين جدداً قد تشكلوا. شخصيات تقول عنها إن مستقبل الحركة الشيوعية، الحركة اليسارية بأيديهم وهذا واضح عليهم من ملامحهم الآن. إن هدف هذه الندوة، في جزء منه، هو أن نلتفت إلى هذه المسالة، ناهيك عن المساعدة في وضع أناس أقدامهم في هذا الدرب عديم الأجر. على أية حال، بلغت اللحظات الأخيرة من تلك الأربعين دقيقة التي من المقرر أن تكون الجولة الأولى لحديثي.

بعد هذه النقطة، سأتناول طرحاً يتعلق بمجمل الندوات وما سأقوله في كل بحث وبعدها أتناول بحث اليوم. إذا أراد أحد أن يطرح سؤالاً أو نقاطاً بوسعه أن يطرحها الآن في العشرة دقائق أو الربع ساعة.
أسئلة

سؤال: سؤالي يتعلق بالقسم الأول من حديثكم، (بقية الحديث غير مفهوم....)
جواب: برأيي يجب رؤية جانبين في هذه الأحزاب. كانت الأحزاب الموالية للاتحاد السوفيتي تتمتع بميزة على التيارات التروتسكية، بالطبع ليس كل التروتسكيين، بل أغلبهم، وبالأخص على الماويين الذين في أوربا، وهي أن لهم وجوداً في أقسام من الطبقة العاملة. أي أن أحد أماكن تواجد الأحزاب الشيوعية دوما، الأحزاب الشيوعية القديمة في أوربا الغربية هي الحركة العمالية، وبالطبع يبدي قسم كبير من العمال الراديكاليين والشيوعيين لهذه البلدان نظرة تعاطف مع الحزب الشيوعي الفرنسي، الحزب الشيوعي البريطاني حتى، الحزب الشيوعي الإيطالي إلى يوم وجوده. إن ذلك الخط وتلك الرؤية وذلك الانتماء المعسكراتي التي شكلت تلك الأحزاب ليس لها دور يذكر في مصير الشيوعية برأيي، ولكن المادة التي تشكل قسماً كبيراً من هذه الأحزاب برأيي، وبالأخص على صعيد صفوف الطبقة العاملة، هي المادة ذاتها التي ينبغي أن يُبنى عليه هذا المستقبل. سأصل إلى هذا.

سؤال: (غير مفهوم إلى حد ما) في أحد مراحل الشيوعية العمالية، تؤكد على الحركة العمالية في بلدان معينة. في مرحلة اهتم ماركس وأنجلس بالطبقة العاملة الألمانية، في حين، على سبيل المثال، أن بريطانيا أكثر تقدماً. السؤال هو لماذا تعتقد بوضوح أكبر أن هذه المسألة تصح على إيران؟
جواب: أعتقد أن دور ثورة 1979 وذلك الزخم الذي أضفته على مسار الوعي والوعي الذاتي وكذلك البحث السياسي للمجتمع هو أمر حاسم، كذلك الأسئلة المطروحة وإيجاد الردود في المجتمع، في الفترة مابين 78 و79 الى 80 و81 برأيي بقدر مجمل العشرين سنة التي سبقتها والعشرين سنة اللاحقة في ما يخص النشاط الفكري والسياسي الصريح والعميق في المجتمع لإيجاد الردود.

علي أن أفكر الآن لماذا ماركس ألماني وليس إنكليزياً على سبيل المثال، ولكن في ما يتعلق بنا، وفي ما يخص لماذا استطاع خطنا أن يجمع هؤلاء الألفين أو الثلاثة آلاف شخص في المنطقة حوله، أو على الأقل طرح بديلاً أمام اليسار على الأقل ألى ذلك الوقت، والآن هم ثانويين بالنسبة لذلك الحدث التاريخي، فأعتقد أنه نتيجة وثمرة السمة الثورية المتحولة للمرحلة الثورية. في المرحلة الثورية، كل عام لها يعادل ألف عام فعلاً، وكل يوم بألف يوم، وإننا نرى أن التأثير على العملية السياسية في المرحلة التي تلتها هي ليست بذاك الحد.

على سبيل المثال، تصبح النظرية في المرحلة الثورية جماهيرية بسرعة كبيرة، تغدو مطروحة بصورة سريعة جداً، ونرى ما هي الاستنتاجات العملية التي يمكن استخلاصها من هذه النظرية، وأي نتيجة يمكن استنتاجها بعد غد عند مجابهة الجناح اليميني أو اليساري للحكومة أو الحزب الفلاني. على سبيل المثال، طرحت مجمل نقاشات الدفاع عن برجوازيتها في ما يخص الحرب الايرانية-العراقية، تحدث اليسار في أيران مرة واحدة، وفي 15 إلى 20 يوم قال كلامه. مضى الجميع لتلك الأدبيات الشيوعية، أخرجوها من تحت الأرض وقرأوها كي يروا ما ينبغي عمله تجاه حرب إيران والعراق. هل ندافع عن دولة بازركان المؤقتة أم لا؟ إن لاحظتم بدقة ، ترون الجميع تقريباً وقد مضى لقراءة لينين في تلك المرحلة. كانت تلك التفاعلات وسرعة التفاعلات السياسية في المرحلة الثورية حاسمة برأيي. أعتقد حين كانت تبلغ المرحلة الثورية خاتمتها، كانت تبدأ إجمالاً جدالات مرحلتنا الجديدة وكيف أن هذا الحدث قد جرى.

ساعود إلى هذه النقطة لاحقاً. سأعود إلى تطورات الحزب الشيوعي الإيراني، وتحديداً موضوعة الشيوعية العمالية من أعوام 85، 86 ولاحقاً، وسأشير إليها دون شك. برأيي في تلك القوة الدافعة وفي انتصار الثورة، طرحت ظواهر أمام المجتمع. وبعد أن انتهت الثورة، خمدت، فقدت الثورة نفسها ديناميتها، بقى جمع ناشط حصيلة الثورة، جمع شيوعي حصيلة الثورة، وأخيراً حصيلة الثورة، قد يكونوا ناشطين كذلك من قبل، بيد أن وجودهم السياسي وظهورهم كان جراء الثورة، بقي هؤلاء وكانوا واقعاً سياسياً حصيلة ونتاج تلك المرحلة الثورية. من تلك المرحلة فلاحقاً، غدت المواضيع شيئاً آخر.

لو كنا بموضوعات الشيوعية العمالية بدلاً من موضوعات الماركسية الثورية، وإذا نمضي إلى إيران الآن بموضوعاتنا الحالية، ستكون العملية وذلك المنحني اللذان سنشاهدهما أسرع كثيرا جداً مما كنا شهدناه في تلك المرحلة حتى. كيف نقدنا الشعبوية؟ أراه الآن أنه كان بطيئاً جداً، كان بطيئاً في تلك المرحلة. ولكن إذا نذهب لإيران غداً، بموضوعاتنا الراهنة، في أوضاع شبه ثورية، ربما ستشهد إقبالاً مليونياً للعمال ولقسم واسع من المجتمع على هذه الموضوعات، كما سنشهد تنامي قادة وناطقين لهذه الرؤية لا يخطرون على بالنا أساساً. إن المرحلة الثورية هي أمر حاسم برأيي. لماذا إيران، باكستان ممكنة كذلك وغيرها، لأن في إيران برأيي كانت هناك جذور وميول تختلف عن سائر بلدان المنطقة. أعتقد أن بوسع ثورة مشابهة في البرازيل أيضاً أن تجلب هذه النتائج كذلك. ويمكن لثورة مماثلة في تركيا أو اليونان أن تأتي بهذه النتيجة برأيي.

في إيران جرت ثورة، مرحلة قصيرة، قبل مجيء خميني إلى ما قبل 30 خرداد (19 حزيران 1981 يوم شن نظام خميني هجمة دموية قل نظيرها تجاه ناشطي الثورة-م)، هي التي في ذهني دون شك. كانت تلك الأحداث حاسمة برأيي في أن أعطت لحماً وجلداً لهذه المواضيع. لأني أعتقد أن كل

هذه الموضوعات موجودة في كل مكان. السؤال المطروح هو أي منها يجلب عدداً كافياً من الجماهير إليها. مجمل الموضوعات موجودة في كل مكان، إذا ذهبت وبحثت بين منظمات اليسار ترى نظرات مشابهة إلى حد ما لبعضها. السؤال المطروح: تصورات أي قسم تتحول إلى تصور ورؤية مقتدرة بوسعها أن تترك أثراً ما في صف ما.

التمايز الاجتماعي والطبقي للشيوعية العمالية

كان طرحي هو أن نعقد عدة ندوات وبعدها سلسة من الندوات الاحادية الموضوع.

إن الندوة الأولى التي من المقرر أن تكون اليوم، واسعى لإدامتها، تتعلق بالتمايزات الاجتماعية والطبقية للشيوعية العمالية، خطوط هويتها من الناحية الطبقية والاجتماعية، ما هي المشاهدات الأولية ونقطة انطلاق موضوعات الشيوعية العمالية، ما هو جوهر موضوعة الشيوعية العمالية، والإطار الأساسي لهذه الصيغة التي نتحدث عنها من الشيوعية، وكذلك ماذا تعمل صفة "العمالية" هنا، وما هي مكانتها في الموضوعة. أود أن أتناول بالتفصيل موضوعة: لماذا نعرف ونصف هذه الموضوعة بالشيوعية العمالية، وقد يعود موضوع اليوم إلى كلمة عامل ومكانته في موضوعنا.

من المقرر أن تكون الندوة الثانية حول المواقف الأساسية للشيوعية العمالية هذه، بعبارة أخرى عقيدة الشيوعية العمالية، بحث النظريات والأطروحات الأساسية للشيوعية العمالية واحدة تلو الأخرى. على سبيل المثال، وكنموذج، بحث منهجنا في النظرية وبحث منهج ماركس، بحث الممارسة في الماركسية، مكانة مقولة الممارسة في الماركسية، تفسيرنا للمادية التاريخية، الماركسية والطبقة، مسالة النضال الطبقي، نقدنا للرأسمالية، وصفنا للمجتمع الاشتراكي، تعريفنا للدولة ومقولة الإصلاحات والثورة، وكذلك نظرة أكثر تمحيصية لموضوعة الاشتراكية غير العمالية. هذه هي مواضيع الندوة الثانية.

الندوة الثالثة وما بعدها، من المقرر أن نجلس ونختار مواضيع منفردة من موضوع عالم أفضل، قد نستطيع أن نتناول خمسة أو ستة عناوين أحادية الموضوع، موضوع أحادي أو ميدان أحادي. أي بمعنى آخر، يمكن أن تكون شعاراتنا ومطالبنا الاجتماعية، توجهاتنا الاجتماعية للمسائل المختلفة، وكذلك استراتيجية الشيوعية العمالية بوصفها حركة سياسية. إنها موضوعات ينبغي تناولها في الندوة الثانية.

جملتان توضحان أساس الشيوعية العمالية

على أية حال، إني أبدأ ببحثنا الأول هذا، ليس لدينا وقت كثير، والآن الساعة الخامسة، أسعى لأن أتحدث مرة واحدة عنه. أشك أني أستطيع اللحاق لتناول آخر ملاحظاتي. هناك جملتان توضحان أساس الشيوعية العمالية برأيي: جملة مذكورة في أماكن أخرى كثيرة كذلك دون شك. إني فقط أنقلها هنا من مباديء الشيوعية لأنجلس. إذ يقول: "الشيوعية عقيدة ظروف تحرر طبقة البروليتاريا". الشيوعية هي تلك الافكار ومجموعة الأحكام وتلك النظرية والعقيدة المُشْرِفة على ظروف ومستلزمات تحرر البروليتاريا.

إن هذه أول فرضية للشيوعية. فأنى تمضي في وثائق ماركس وأنجلس، وأنى تمضي في الماركسية أساساً، يكررون أن الشيوعية هي عقيدة تحرر الطبقة العاملة، تلك الظروف المُشْرِفة على ظروف ومستلزمات تحرر البروليتاريا. إن هذا من مباديء الشيوعية كما قلت، ولكن لا ينتهي البحث هنا. في مقدمة طبعة 1883 الألمانية للبيان الشيوعي، يقول أنجلس جملة، وتتكرر بأشكال مختلفة في أماكن مختلفة كذلك، وضعت خطاً أسفلها وأنقلها لكم، وهي تذكر ما هي حصة ماركس ومساهمته في هذه النظرية. يقول:" إن موضوعة ماركس هي أن الصراع الطبقي بلغ مكاناً ليس بوسع البروليتاريا أن تتحرر بوصفها طبقة مستغَلة، وأن تتخلص من الطبقة المستغِلة، دون أن تحرر الجميع معها، وتنهي مجمل أشكال الاستغلال، وإجمالاً تنهي النقد والاستغلال والمجتمع الطبقي". إنهما سوية، برأيي، يمثلان مجمل الأعمدة التي بُنيَت على أساسها الشيوعية العمالية.

برأيي حين تنظر إلى أي شيوعية غير عمالية، تجد أنها قد داست على أحدهما أو كليهما. إن الشيوعية التي هي ليست علم تحرر الطبقة العاملة، بل علم تحرر الفلاحين الصينيين، شيوعية علم ديمقرطة الحركة النقابية، شيوعية علم بناء اقتصاد بلد، شيوعية علم النضال المعادي للإمبريالية والنضال ضد نظام دمية بيد الإمبريالية، هي ليست علم تحرر الطبقة العاملة. لدينا الكثيرون من هؤلاء الشيوعيين، سأتناول هذه الشيوعيات لاحقاً الواحدة تلو الأخرى وسأشير إلى كيف أن اليسار الإيراني هو أحد هذه الروايات. ولكن هذا لا ينطق بكل ما في اللوحة.

إن الشيوعية التي تعتقد أن العامل يتحرر، وبوسعه أن يتحرر، بدون أن يحرر معه كل المجتمع، هي شكل آخر من الشيوعية غير العمالية. وذلك لأن مجمل أهمية ماركس والماركسية في: 1- الشيوعية هي علم تحرر الطبقة العاملة الصناعية الحديثة، يعني لا يمكن توقعها ظهورها قبل سبعمئة سنة، لم يكن ذاك العامل ولا ذاك المجتمع، يأتي العامل الصناعي، يأتي البروليتاري، تصبح الشيوعية علم تحرره، علم ظروف ومستلزمات تحرر هذه الطبقة، تصبح عقيدة الشيوعية. و2- بعد فهم مسالة: إنه، وبصورة موضوعية، لا بسبب أن الطبقة العاملة طبقة متعلمة كثيراً، لا يمكن لهذه الطبقة بصورة موضوعية أن تتحرر دون أن تحرر معها كل شخص. وإذا كانت هناك شيوعية تعتقد أن بوسع العامل أن يتحرر بدون أن ينهي معه أيضاً مجمل أشكال الظلم، مجمل أشكال الاستغلال، ويمحي مجتمعاً يستند إلى الظلم والاستغلال، فإنها ليست بشيوعية.

وإذا كانت الشيوعية العمالية التي أوضحها لكم الآن، وأذهب هنا صوب صفة العامل، فإن مجمل القضية هي أن أبين أي نوع من الرؤية تلك التي ترى هذين الشرطين سوية، وكيف أن هذين الجزئين مقترنان ببعض. لا يتعلق الموضوع بلطف الطبقة العاملة في أن تحرر معها الجميع. ليست هذه موضوعة الماركسية ولا هي موضوعة الشيوعية العمالية. إذ تقول إن الشيوعية هي تلك الحركة التي ينبغي عليها، من أجل تحررها، أن تغيّر شيئاً في العالم. وإذا تغير ذلك الشيء، عندها لا يبقى أي من أشكال الظلم. إذ لا يتعلق البحث باللطف والرحمة أو أنه يهمها حرية الطبقات الأخرى.

إن الطبقة العاملة، ومن أجل حرية العامل، بوصفه عاملاً، وكي لا يبقى عاملاً بالأجر، وكي لا يبقى استغلال، ينبغي إرساء ظروف وأوضاع في المجتمع لا يمكن أن يكون فيها أحد تحت الظلم. إنها السمة الموضوعية للعامل والنضال الطبقي في الشيوعية العمالية. موضوعية، بمعنى حين يُنظَرْ للعامل، عندها بوسع المرء الحديث عن الشيوعية. لا ظاهرة الظلم، ولا ظاهرة الاستغلال، ولا ظاهرة ما يطلق عليه التخلف، بل عامل محدد ثمرة مجتمع محدد، حين يظهر (اي العامل-م)، يُقال:

آها! بالوسع أن تكون عقيدة تحرر هذا هي الشيوعية. وفقط حين يفكر بطريقة جيدة، يرى أن مجمل هؤلاء يتحررون بتحرره.

إذا افترضنا أنها كانت طبقة الكادحين، العامل الطبقة المنتجة لعصرنا. الطبقة المنتجة لعصر آخر، قبل 300 عام، طبقة أخرى وشرائح أخرى، إذا نظر ماركس، لو افترضنا أن ماركس استطاع أن ينظر بأي حال من الأحوال، ويرى أنهم، ومن أجل تحررهم، ليسوا بحاجة إلى تحرير بقية المجتمع، عندها لما رأينا ظاهرة باسم الماركسية بوصفها فكر تحرري. طبقة حين تتحرر، فإنها تحرر نفسها، خيرها لنفسها! إذا كان نصيبك مسبقاً أن لا تكون من تلك الطبقة، فإن هذا الموضوع غير ذي صلة بك أساساً.

حين تتحرر شريحة، فإنها حررت نفسها. مثل البرجوازية، البرجوازية أيضاً ممتعضة كذلك من القيود الإقطاعية، فإنها حين تتحرر، فإنها تحرر نفسها، تتحرر من القيود الإقطاعية، وبوسعها أن تنتزع قوة العمل من الريف، وتجلبهم لمعمل المدينة دون أن توجه لها (أي الاقطاعية-م) الصفعات وتستل عليها السيوف وتصدر بحقها الفتاوي وتشيطنها وتضرم النار بها. تحرر البرجوازية نفسها دون أن تحرر البشرية. من الناحية الموضوعية، يمكن أن تقوم بهذا العمل، ولكنها تحرر نفسها فقط، عندها لن تتمتع الفكرة المحركة لتلك الحرية لدى تلك الطبقة والنضال الطبقي لتلك الطبقة من أجل الحرية، بتلك الجذابية بالنسبة لي ولكم. إن مدى جذابية إيديولوجيي الثورة البرجوازية هي أنهم يتحدثون ضد الظلم عموماً. ولكن حين ننظر لهم، يبهتوا أمام ماركس. لأن هذا إيديولوجي ثورة طبقة حين تتحرر، يتحرر كل شيء، يتحول المجتمع بشكل بحيث يجعل من بقاء الظلم والاستغلال أمراً غير ممكن.

إن هذا مفتاح بحثنا. لقد تطرقت مرات ومرات في بحثنا اليوم إلى مسالة حين ننظر إلى: كيف، وبأي مسار تاريخي، ظهور موضوعة الشيوعية العمالية بيننا، سواء على صعيد مشاهدة الشيوعية العالمية، أو في النضالات التي جرت حول المقولة ذاتها، وحتى في الأوضاع التي نمر بها اليوم، نرى أن هاتين الجملتين واقترانهما ببعض قد تم نقضه أو لم يُستنتج الشيء الذي من المفروض أن يُستنتج منهما. في البحث الأول للشيوعية العمالية قبل 11 عاماً، في ما يخص نزعة "عامل عامل" (نزعة التشدق اللفظي لليسار باسم العامل-م) المزيفة والمثقفاتية، تنظر للعامل بوصفه كائناً يحل محل البقرة عند الهندوس، وتعتقد أنه ظاهرة مقدسة، وينبغي الوقوف احتراماً وإجلالاً لها، لم أتحدث في حينها، ناهيك عن أن العديد من عبدة البقر (أي من يلهجون بكلمة عامل-م) وقتها كانوا معنا.

ولكن، وبصورة واقعية، إن نزعة "عامل عامل" المزيفة تنظر للعامل، لا بوصفه تلك الظاهرة التي يراها ماركس وتراها الشيوعية التي في بالكم، بل بوصفها شريحة اجتماعية لا تتمتع بتلك المكانة ولا بهذه الرسالة، بل بوصف صاحب تلك النظرة امرءاً ينشد أن يتحرر ذلك العامل، ذلك النوع من الاشتراكية العطوفة والطقوسية التي هي برأيي تبين، قبل أي شيء آخر، شعور الطبقة البرجوازية بالذنب. وهو الأمر الذي أود أن أناقشه في هذه الندوة، وأمايز نفسي عنه. نوعاً ما شيء مثل الخط الخامس، برأيي، شيء يكتب بياناً احتجاجاً على ظلم، ويريد العمال الذين يعملون في المصنع فقط أن يوقعوا عليه. أعتقد أن تفكر هذه الشاكلة من الشيوعية بهذه الطريقة، فهي تثبت أنها ليست شيوعية، وبوسعها أن تحرر نفسها دون أن تحرر المجتمع، ودون أن تحتاج إلى عقيدة وفكرة تستفيد منهما

لتحوّل بها المجتمع.

ليس بوسعك تحرير المجتمع بأطروحات نقابية، لست شيوعياً، ولا تسعى من خلالها كذلك ضمناً لتحررك، إنْ كان تطور البروليتاريا بيّنَ عن شيء، وفي نظرية الشيوعية تشير إلى شيء فهو أن البروليتاريا تتحرر بالشيوعية وليس بشيء آخر. وإن هذا يشير إلى أن الشيوعية علم تحرر مجمل المجتمع كذلك. إنها ظاهرة من أجل إعادة بناء وترميم كل العالم وكل المجتمع بكل ناسه. سأتطرق لذلك لاحقاً، وأشير إلى كيف أن كلا القطبين قد نقضا، بصورة أساسية، شيوعية علم أوضاع تحرر الطبقة العاملة، كما قد تم نقضها في أغلب الشيوعية القائمة في عصرنا. إنها شيوعية علم ألف عمل وعمل آخر ماعدا تحرر الطبقة العاملة. وبعد ذلك سأبين كيف، في رد الفعل على هذه الظاهرة، تم تحويل أجزاء من الظاهرة ذاتها، ومن أجل تعبئة تلك الطبقة خلف مصالحهم الجزئية، إلى علم تحرر الطبقة العاملة بدون أن تنشد تحرر أي آخر معها، علم تقديس العامل دون نية تحرر المجتمع معه. وإن هاتين مربوطتان سوية، وما يسمى بطرفي ظاهرة واحدة.

نقطة انطلاق الشيوعية العمالية

الجوانب العملية، نقد الشيوعية العمالية النافي

لماذا يستلزم الأمر رواية جديدة عن الشيوعية أساساً؟ لماذا من الممكن لأي امرئ في لحظة من حياته أن يقول: لا افهم الشيوعية بهذا الشكل، إني أفهمها بشكل آخر؟ ذلك لأنه يرى مأخذاً على الشيوعية الموجودة فعلاً. وذلك لسبب بسيط، يريد أن يقول إنه ليس مثل الشيء الذي أعتقد أنه شيوعية، وإن روايتي للشيوعية هي شيء آخر. وذلك لأنه يريد أن يقوم بعمل آخر بالشيوعية غير ذلك الشيء الذي يقومون به. وذلك لأنه ينظر ويرى نطاق النضال الشيوعي وميدانه الذي يراهما، وذلك لأنه لا يحس بقرابة وتناغم مع تلك الظاهرة التي يطلقون عليها الشيوعية القائمة فعلاً. ينظر إلى الاتحاد السوفيتي وأطروحات الشيوعية الروسية ويقول إنها لا تعبر عني. إني شيوعي، ولكن هذه لا تعبر عني. أرى فيها إشكالاً ما.

إذا أردنا بحث الشيوعية العمالية، سواء من الناحية التاريخية أو التحليلية، فإنه يتم طرحها ارتباطاً بتناقضات. لقد استهللت الندوة التي عقدتها قبل 11 عاماً بالموضوعة ذاتها على وجه الدقة. لقد تجادلت بأمر وهو أننا شيوعيون وضعنا أقدامنا في ميدان المجتمع كي نجري تغييرات، أن نكون مصدر تغيير في حياة الإنسان. إذا كنت في أي مكان من العالم وعضو حزبين أو ثلاثة أحزاب أساسية، ستترك دون شك تاثيراً سلبياً أو إيجابياً على عدة عوائل مقارنة بتأثيرك بوصفك عضو الحزب الشيوعي الراديكالي لذلك البلد. إنها أول مشاهدة شرعت حديثي بها قبل 11 عاماً. وحين أمر الآن على أغلب أبحاثي خلال العشرين سنة الماضية، أرى أن أغلب أحاديثي بدأت على هذا المنوال. إن هذه المقالة التي وجدتها صدفة في المخزن، هي حديث منصور حكمت حول نتائج الاجتماع الموسع الثاني للجنة المركزية للحزب الشيوعي الايراني في (4 كانون الثاني 1983)، كان اسمه "*الفصل ما بين الكلام والعمل*"، ولا أعرف كم شخصاً في ذلك المعسكر (في جبال كردستان العراق- م) يتذكر ذلك؟ ربما كان صلاح ايزدي من دوّنها، وقد وجدتها صدفة في كيس.

انظروا! يقول المقال: رفاق! مرت سنة على تأسيس الحزب كي يكون مصدر تغيير صوب أهدافنا،

ولكننا لم نكن مصدر أثر صوب أهدافنا. نقول شيئاً، فيما نقوم بعمل آخر، وسمينا الحزب باسم البروليتاريا. في زواياه، يعشعش البرجوازيون الصغار بمصالحهم القومية والفئوية وغيرها. إنها نقطة الانطلاق الأولى للقضية في كل مرحلة طرح فيها هذا البحث برأيي. وأعتقد بالنسبة لكل شخص يرى أنه ينبغي تعريف الشيوعية بشكل ما، هو أن هذه الشيوعية التي يراها لا ترضيه. في إيران يمتدحوها، كل العالم يمجد روسيا وكانت مصدر ما يطلق عليه عموماً ثورات وملهماً لها. حينها تهرع لقراءة لينين، إذا قرأت كتاب باروس الذي كان سابقاً بمستوى لينين، مثله بمستوى واحد وجادل معه. يكفي أن تقرأ باروس لدقيقة، حتى تركنه جانباً. إنك تقرأ كتاب لينين لأنك تحس بأنك أمام أحد شخصيات التاريخ المعاصر الذين غيروا العالم عموماً، وتود أن ترى كيف كان يفكر، بعدها تنظر لترى أننا دخلنا الحركة الشيوعية منذ 5 أعوام أو 3 أعوام، ولكن ليس من المقرر أن تقوم هذه الحركة بالتصدي لموجة القمع في (30) خرداد (19 حزيران) حتى. دع كل شيء جانباً، دع الملكية الاشتراكية، حل الدولة، مساواة المرأة بالرجل، دع كل شيء، 6 ساعات عمل، أن نلجم الملالي الذين يبغون ذبحنا جميعاً، ولا نستطيع، ونلوذ بالفرار. ونذهب لنجلس على صخرة، حين نبتعد كثيراً، على سبيل المثال مثل كردستان، أخيراً طردونا، لم نقتل عام 1980، عام 1981 طردونا، نجلس على صخرة ونقول: ما الأمر؟

جرت ثورة، حضرت الجماهير باسم الحرية والمساواة، بعد عام من الثورة، نفذنا من قائمة (الاعدامات-م) النظام الملكي، وأكثر من تلك القائمة، (قائمة الجمهورية الاسلامية-م) ثلاثة أضعاف قائمة النظام الملكي، أصدقاء هم الأشخاص ذاتهم الذين لم يعتقلوا سابقاً، يعتقلونهم الآن ويقتلونهم، وأنت شيوعي قرأت في كتاب ماو تسي تونغ وهو يتحدث عن إرسال مليوني شخص من وراء الجبل الفلاني كي يتصدوا للكومينتانغ. هكذا قرأنا في كتاب ماو تسي تونغ، تم تسليح مليوني شخص! ويقول أيضاً إنه أغرق 500 ألف من الطابور الخامس بالدماء! إنها الأعداد التي يتعامل بها ماو تسي تونغ، ونحن نقرأ عنها، وبعدها نجد أنفسنا ونحن نلوذ بالفرار من حفنة ملالي وملالي صغار، وجلسنا خلف قرية، ولازال آخرون يلحقون بنا! يريدون انتزاع كل قرية منا، وبعدها يلحقون اضراراً بنا. هكذا كان الأمر. يغلقون أي جريدة يريدون، لا تفتح المذياع دون أن تسمع اسم شخص تعرفه وقد أعدم.

إن أول ظاهرة تنتصب أمامك عامي 83 و84 هي: لماذا نحن عديمو التأثير؟ لماذا؟ تنظر للعالم، تجده كذلك. لقد تحدثت عن ذلك في كونفرانس رفاق بريطانيا، وقلت: تنظر، لترى حركة في بريطانيا وقد كتب في محضر اجتماعها أنها جمعت، وبصعوبة، 18 شخصاً حولها. يوجهون ضربة لعمال المناجم، ويلحقون الويل بهم، ولا يستطيعون القيام بشيء! في هذا البلد، كان هناك، في وقت ما، حق الإضراب التضامني (أو إضراب تدافع فيه عن طرف آخر)، أي إذا وجهوا ضربة إليك، بوسعي أن أوقف عجلات العمل إلى أي يوم أريد. قطعوا الإضراب الثانوي الذي يطلقوا عليه (secondary strike)، لم يبقَ! حين سُلِّمَتْ صور فلم معمل لعمال آسيويين ذوي أجور زهيدة، شرع جمع، في مكان آخر، مدينة آخرى، بالإضراب وذلك لأن محرضاً شيوعياً هب وقال لننظر ماذا يعملون في لندن، ترك عمله ومضى لتلك الأعمال. لا تستطيع أن تقوم بتجمع احتجاجي في مكان لا تكون عاملاً مضرباً فيه. لا أستطيع أن أمضي لأقف أمام الشخص الاستغلالي الفلاني المعادي للنقابات لأقوم بتجمع احتجاجي، سيقول: لماذا أنت هنا؟ العمال يتجمعون هناك. [ما صلتك بالامر؟!]. لقد شنوا هجوماً على الحقوق واحداً تلو الآخر، وتنظر للحركة التي تنتمي لها، وتجدها عاجزة عن القيام بشيء ما.

إن موضوعة انعدام قدرة الشيوعية هي نقطة شروع وإبداع موضوعة الشيوعية العمالية برأيي. السبب هي حين نفكر بصورة جيدة، نجد أن هذه الشيوعية ذات عيب ما دون شك. ذهب الإسلاميون في خمس سنوات ليرتبوا أمرهم، ونظموا في الجزائر حركة وقاموا بكل تلك الجرائم. القوميون، المعادون للاستعمار، استقلت غانا، أتى نكروما وذهب، وماذا عن الشيوعيين؟ إنهم يقولون إننا منهمكون منذ 150 عاماً، ونتمتع برؤية أيضاً، وخط، ونحن منظِمين كثر. حين تسمع أمة ما أن الشيوعيين قد أتوا، يقولون لقد حضر عدد من المنظِمين.

سترى أن القوميين يتركون أثراً، والإسلاميين يتركون أثراً بإمكاناتهم القذرة، وحتى أكثر منهم هامشية يتركون أثراً كذلك، والشيوعية العالمية لا تترك أثراً! تقول لماذا الأمر على هذه الحال؟ ألم يكن من المقرر أن تكون هذه الشيوعية نقداً عملياً وممارساتياً وتغييراً للعالم؟ إن أيادي الشيوعية التي تتعلق بتغيير العالم أقصر من أية أداة لتغيير العالم. إن هذه أول مشاهدة نراها في موضوعة الشيوعية العمالية. إنها، تاريخياً، أول مشاهدة شرعنا بها بحث الشيوعية العمالية. أي وضع هذا؟ ولماذا إن أيادينا قصيرة ولا تبلغ أي شيء؟

إن هذا الفصل هو فصل بين القول والعمل، فصل ما بين حقيقتنا الموضوعية من حيث قدرتنا والأهداف التي ننوي تحقيقها والتغيرات التي ننوي إحداثها والقدرة التي لدينا. التناقض الثاني، تناقض بين تلك الشيوعية القائمة فعلاً التي تراها والأهداف والآمال التي تنشدها، وإن تلك الأهداف والآمال هي ليست أهداف وآمال تلك الشيوعية. تفكر في داخلك، إذا أصبح المجتمع شيوعياً، فلن تبيع الناس أعمالها. يرد: ليس الأمر كذلك، لقد نظموا جميع الأجور. ليس هذا وحسب، في هذا الحزب نفسه، عقدنا ندوة لمناقشة مسألة الاتحاد السوفيتي. البعض من حزبنا، أعز رفاقنا في الحزب، والذين يمثلون أكثر أقسام المجتمع راديكالية يقولون: ليس بوسع لينين والبلاشفة، وينبغي عليهم، بعد الثورة، أن لا يمسوا اقتصاد المجتمع. لا يصح هذا، ينبغي أن تندلع ثورة في العالم أولاً حتى يقلب لينين والبلاشفة كل شيء في المجتمع، لماذا أرسوا اقتصاد البلد وشكله الاقتصادي؟ وذلك لأن الاقتصاد السلعي لأمريكا أو الأرجنتين أو بريطانيا لا يسمح بذلك، لا يسمح لك أن لا يكون لديك إنتاج سلعي. إذا كان العامل في بريطانيا يستلم أجراً، عليَّ أنا الذي قمت بثورة أن أستلم أجراً كذلك. لا مناص من ذلك! أرجوك، لا يمكن هذا، حتى الـ"لايمكن هذا" موجودة في عقيدة هذه القضية وفي أطروحتها وفي رؤيتها، لا يمكن أن تقوم بإرساء نموذجك المنشود أو ينبغي أن لا تقوم بذلك! ناهيك عن أن تقوم بتقييم الماوية.

أعطى أحدهم كتاباً أحمرا لعدة طلبة ووضع عليه اسم الثورة الثقافية، وبعد الهياج، تبين أنه ذو صلة بصراع داخلي للحزب نفسه، من الواضح أن هذا ما يقومون به. ولكنك تقول أي شيء؟ ألبانيا، عقدنا صلة مع أناس أمريكيين، أمريكيين! القوة العظمى في العالم، ما أن تفتح الكومبيوتر حتى ينقضوا عليك: موالين لألبانيا! كان أول سؤال لي: إنك امريكي، لماذا توالي ألبانيا؟ مئتا مليون إنسان باقتصاد عالمي، وكلكم حملة شهادات، لماذا تناصر أنور خوجه؟ ما الذي تحقق هناك؟ امرؤ عجز عن تنظيم أمر عادي، وبوصفك أمريكياً، كيف أصبحت مناصراً لأنور خوجه؟ ما الذي رايته هناك؟ نصير نموذج الاقتصاد الألباني! إذا أصبحت ألبانيا مثل كوبا الآن، مرة أخرى يستلم أجراً. لا يتحدثون عن هذا فحسب، بل يتحدثون عن أن المثليين في الصين يواجهون عقوبة الإعدام. إننا الذين نناضل من أجل مجتمع يقوم الإنسان بأي عمل يريد في الصباح، وبعمل آخر في الغروب، يعتقلوك إن تحدثت بالضد من الأخلاقيات المتخلفة التقليدية والسائدة في المجتمع، ويرموك في السجون. الكتابة بطريقة

ما ممنوعة، استخدام نمط معين من الفن أمر ممنوع، ولا يمكن إنتاج فيلم معين في ذلك البلد. تقول ما صلة هذا بعقائدي؟ تنظر إلى مُثل ترى أنها لا تراعى، هناك سجون، هناك فحشاء. ثمة سجون في اشتراكيته، حين تنظر إلى حقوق الأطفال ترى أن ليس لها ربط بي. إن القرى نفسها التي لنا صلة معها الآن هي ليست كذلك.

أرست الصين الشيوعية ونتيجتها هذه! إن الاختلاف ما بين تلك الشيوعية القائمة، وليس فقط الشيوعية المعسكراتية، الشيوعية التي تراها يومياً، حين تتجادل مع الفدائيين حول معايير الشخص للاشتراكية، والتي سأتناولها لاحقاً الواحدة تلو الأخرى، إلى مكانة الشرقية اليسارية التي كانت، باسم الاشتراكية في ذلك البلد، مصدر اليسار الإيراني. ولكن ترى الاختلافات بشكل عيني بالضبط. تقول إن مُثلي هي ليست مثلهم ذاتها. لا يمكن أن يكون كلانا شيوعياً، أحدنا يعمل بصورة خاطئة هنا. كيف هي شيوعيتنا؟ أهداف وآمال مزيفة. على سبيل المثال، تقول عن نفسك شيوعي، ويأتي هو ليقول: علينا أن نقوم بما من شأنه أن تحقق البرجوازية القومية اليد الطولى لأنها تعد جزءاً من الشعب، وأنت تقول ليس هناك سطر واحد في ماركس يتحدث عن هذا، ليس في ماركس، بل ليس لوجودي ذرة صلة بما تقول. لماذا على الاشتراكية في إيران على سبيل المثال أن تتعلق بالبرجوازية الوطنية؟ أو لماذا نتحدث كثيراً حول استقلال اقتصاد الاكتفاء الذاتي؟ بوصفي طالباً في قسم الاقتصاد، أعرف أن الاكتفاء الذاتي لا ينفع في شيء، لماذا تصر على أن يكون اقتصادكم مكتفياً ذاتياً؟ حول أي شيء نتحدث؟

لقد كان اليسار في تلك المرحلة مملكة. لماذا يمقت الإمبريالية؟ أتعرف لماذا يمقت الامبريالية؟ لأنه يمقت الغرب، لأنه يمقت موسيقاه، لأنه يمقت نمط حياة الغرب. يقوم بنضاله المعادي للإمبريالية لأنه لا يحب نمط حياة الغرب. يناضل ضد الإمبريالية، ولكن إذا كانت تلك الإمبريالية هي اليابان بدلاً من أمريكا، عندها قد لا يكون ممتعضاً إلى ذلك الحد. لأن ما يرى أمامه أمريكا والموسيقى والسلع وماكدونالد، يراه أمراً ممجوجاً، ولكن إذا أتى من بلد تقليدي مثله ليحكمه، فمن الممكن أن لا تراوده مشاعر عدم الارتياح هذه. إنها شق وفاصلة الأهداف عن تلك الظاهرة الحقيقية.

بعدها ترى أن الشيوعية التي قرأتها، بوصفها علم تحرر وعقيدة مسّيرة لظروف تحرر الطبقة العاملة، ليست لها صلة بالطبقة العاملة، وهي ليست (اي الطبقة-م) أيضاً قوتها المحركة في مجتمعاتهم هذه وداخل اليسار أيضاً. ثمة سؤال أساسي ورد في مرة سابقة، والآن أعود إلى نصه، هو نقاشات المؤتمر الثاني للحزب الشيوعي الإيراني، والمنشورة في 3 أعداد من جريدة كومونيست. لقد وضحت هناك بالتفصيل كيف أن العامل هو كيمياء في حزب شيوعي، صلته (اي الحزب-م) بالعامل هي آخر أولوياته، وأن وجود هذا العامل وحياته التي ينبغي فيها أن يمضي ليعمل ويتدبر حياة عائلته ذو تناقض مع عضويته في تنظيم كهذا، وحتى الكلام الذي يتفوهه، علي العامل أن يقول: ألا يمكن أن تعيده من فضلك؟! ماذا قلت؟ لا أفهم ماذا تقول. لا لأنه قليل الفهم، لا! بل لا يفهم ماذا تقول.

إن صلة هذه الشيوعية بالطبقة ضعيفة جداً، وذلك لأن الصورة التي لديك عن الشيوعية، إذا فقط قرأت الكتب، لا لأنك ضد الشاه وألقي بك في السجن هناك وتعرفت إلى الفدائيين وخرجت منه وغير ذلك، إذا فقط قرأت كتباً، يعني قرأت ماركس، فإن الصورة التي ترسمها عن الشيوعية هي عمالية كثيراً. في أجواء عمالية، مناقشات العمال الصناعيين، حلقاتهم التي تناقش وغير ذلك. لا يتعلق الأمر بالحديث عن الفلاح، ولا التجار الصغار، لا طلبة المعهد الفني، لا طلبة المعهد الصناعي. ولا أي

منهم. الحديث عن العامل، إنها الحلقات الشيوعية والعمالية، الإضراب والقائد العملي وقادة المعامل والعمال الناشطين والعمال القراء. إنها جميعا مفاهيم تراها في الآثار الماركسية. وبعدها تنظر لتجد أن هذه الحركة الماركسية حديثاً هي أبناء سابقين لمجلس مناهضة البهائية؟! ولكن في الحقيقة حين تفكر بها بعمق، تجدها مناهضة للبهائية.

إن "اتحاد النضال في سبيل أهداف الطبقة العاملة"، وهي منظمة أعلنا نحن مناصريها، عام 1979، قلنا: انظروا، أعزائنا، نحن أزلنا القرآن من الرف، ووضعنا كتاب الرأسمال محله. لقد كان هذا أحد أركان إرساء اشتراكية راديكالية جديدة في إيران. أزلناه ووضعنا الرأسمال محله، أو أزحنا أبحاث حزب توده والجبهة الوطنية ووضعنا الرأسمال محلها. لم يذهب ليقرأها، بل وضع مكانها! فقط وضع محله، يستفيد من الاسم بوصفه شارة حركته. إن صلة تلك الشيوعية بالعامل أضعف من أن تحس بتناغم معها. بالنسبة لشخص قدم من ماركس مباشرة.

ثمة جذر آخر، يستلزم صيغة أخرى برأيي، وبوسع أي امرئ أن يفكر بذلك. لقد تم تحويل شيوعية تتعلق بالإنسانية إلى موضوعة تتعلق بالتاريخ! تأتي في عام معين للحياة، وفي عام محدد تبلغ السادسة عشرة من العمر، وفي عام محدد تبلغ 18 عام، وبعدها تريد، في الحياة التي تعيشها، في الثلاثين عام التي أمامك، ومن أجل أن يطرأ تغيير عليك، يبعث تغييراً، تغييراً في حياتك وحياة الآخرين. بعدها تمضي لحركة مثل "هاري كريشنا" ومثل هؤلاء الميلينالستيين ومثل حركات الألفية هذه التي تؤمن أن المسيح سيحل قريباً، وذلك لأنهم يقومون بنشاطهم من أجل مستقبل وغد تاريخي، لا من أجل أمر حي ولحاضر اؤلئك الناس.

كلما تمعنت بدقة، ترى أن من المقرر، في هذه الحركة الشيوعية، أن نكون قرميداً لعمارة من المقرر أن تبنى لاحقاً. علينا أن نقدم التضحيات في عملية تبلغ هدفها لاحقاً في أجيال أخرى. كما لو أن مهمتنا هي صناعة تاريخ وليست مجتمعاً! وبدلاً من الانطلاق من الإنسانية وبشرية يمكن أن تصنع شيئاً في حياتها، أو تمنع إجحافاً بحقها أو تسعى من أجل حريتها، تنطلق من التاريخ. في مرحلة وامتداداً لاشتراكية أتت ومن المقرر أن تمضي صوب مكان ما. وبعدها، فإن انتصار الاشتراكية كذلك يطابق تلك الرؤية الحتمية. إنها حتمية، عندها لا يبقى دور لك. لا تحتاج إلى تطلع ما منك، عليك فقط أن تحضر وتلقي تحية على تلك الحركة. وذلك لأنها أتت إلى هنا، وعليك أيضاً أن تعمل لها مدة من حياتك، وهي أيضاً أمر حتمي. إنها جذر وتيار إرتقائي ليس له صلة ببلشفية لينين.

حين تتابع لينين، ترى أنه امرؤ خصص مجمل حياته كي يكون مصدر تغيير في السياسة والاقتصاد والحركة الطبقية وغير ذلك في عصره وزمانه، في اليوم نفسه وفي اللحظة نفسها التي يتحدث فيها. إن مفاد جذر حركات الالفية هو: أننا نعمل ليحين يوم المهدي المنتظر، وينقذنا جميعاً. ليس هذا موجوداً في ماركس، ليس موجوداً في شيوعية لينين. ولكنها موجودة بوفرة عند شيوعيي عصرنا. ناهيك عن إحالة إرساء المجتمع الشيوعي إلى يوم ما. إن هذا مايقوله لك القطب السوفيتي، إذ يقول لك إن هذا المجتمع يمضي إلى هناك. تقول الصين الأمر ذاته لك. فمن ينظر إلى العامل بوصفه منقذ العالم؟! للجميع تصور المهدي المنتظر، المنقذ، هناك يوم حشر، إن جذره ديني برأيي. ليست جذوره موجودة في النزعة البراتيكية للشيوعية.

إن مجمل موضوعة ماركس، والتي سأبلغها لاحقاً، نقد ماركس الفلسفي لفلسفة عصره هو حول

الممارسة، حول العوامل الفاعلة في التاريخ، حول مكانة النشاط في الحقيقة. إذ يقول الحقائق حصيلة النشاط، ويجلب النشاط معه إثبات الحقيقة. وتورطنا بالضبط بمثل هذه الحركة المهلهلة فعلاً التي نذرت من أجل خدمة هدف أن يبلغ يوماً ما تاريخ ما نتيجته الحتمية، ولا تقع على كاهلنا مهمة أن نجعله اشتراكياً، وليس لدينا أنا وأنت مهمة أن يقيم ثورته في حياتنا، وليس مهمتنا أن ننشد أقصى المطالب. حركة، ولشدة ما جعلت على مراحل، قد لا تأتي آخر مرحلة منها ونحن أحياء. إن هذا يمثل بحد ذاته انفصالاً.

في المطاف الأخير، هل أتى بكم الاعتبار التاريخي للاشتراكية أم التاثير الحقيقي والواقعي في الحياة الواقعية للجماهير؟ إذا أتيت بوصفك محتجاً اجتماعياً تنشد تغيير المجتمع، ستحس في تلك المعسكرات التقليدية فوراً، والتي سأسميها لاحقاً، أن شيوعيتهم غريبة عن شيوعيتك. إنها أقرب إلى إدامة ومواصلة دين، وثمة جذور دينية عميقة فيها. وهناك شيء آخر يراود المرء تجاهه ألا وهو أن تلك النزعة العالمية وتلك النزعة المطلبية الشاملة والأقصوية الشيوعية تتحول وتُخَتَزَل في تلك الشيوعيات القائمة إلى أمور صغيرة ويومية إلى حد كبير. على سبيل المثال، كيف يمكن أن تكون لديك منظمة شيوعية يكون محور ومركز نشاطها هو الحكم الذاتي لمنطقة ما. إذ تتوقع من أن يصبح امرؤ ما عضو منظمة شيوعية هو تنظيم الثورة الاشتراكية. كيف يمكن لمنظمة شيوعية أن تكون فلسفة وجودها وأساس وجودها هو حكم ذاتي في منطقة ما؟ أو الاستقلال أساساً، أو الاكتفاء الذاتي الاقتصادي أو الخلاص من سلسلة الإمبريالية؟ كيف يمكن أن يكون للشيوعية هذا الحد المتدني من الأهداف؟ في الوقت الذي بينت، في وجودها الأولي، هذا الحد الكبير من الأهداف العريضة والعالمية والمحوّلة؟

حين تقرأ ماركس، تجده يتحدث: مع ظهور البروليتاريا، ظهرت الطبقة الوحيدة التي على امتداد التاريخ كانت مجبرة على إعادة بناء العالم. إن الطبقة التي نشدت إعادة بناء العالم غدت ماركسية. لو كان ماركس مفكر الحكم الذاتي، أو لو كان منظّر الاستقلال الاقتصادي، أو معادياً للإمبريالية، لما نال كل هذه العظمة. يطرحون الآن اسم شخص، بوصفه أكبر شخصية في الألفية، وذلك فقط لأنه أراد إيقاف العالم على قدميه. بعد ذلك، إنك شيوعي وتنظر: حسناً، إذا أنفقت كل عمري في هذه المنظمة، أو إذا قضيت كل عمري في منظمة أقليت، راه كاركر، حزب توده أو في منظمة كومه له آنذاك، ويحالفها النجاح، بعد ذلك، فأي تحول قد أقمته؟ منظمة ليست منهمكة بأن تعد أحداً بالشيوعية، إنها منظمة أمر محدد ومحدود في مرحلة سياسية خاصة، وجعلته مجمل الفلسفة السياسية لحياتها.

ثمة تناقض آخر يرتب عليه قولك إن صيغتي وقراءتي للشيوعية هي ليست تلك الظاهرة التي نراها، تناقضاً ما بين محدودية أمر الاشتراكيات القائمة واقتصارها على أمر محدد مع تلك النظرة العالمية والأقصوية للشيوعية التي يجدها المرء في كتاباتها، ويمكن أن تمضي لتجدها في كتابها. أشرت إلى ذلك في نقاشاتي مع "درب الحرية". لا يستخرج الناس أهدافهم وآمالهم وثوريتهم من الكتب، ولكنهم يمحصون بالكتاب آمالهم وأهدافهم. فإذا كنت تحررياً، فإن الكتاب لم يخلق تحرريتك، ولكنك حين تقرأ كتاب ماركس، تقول إنه نطق بما يخالجني. وتصبح ماركسياً. لا يمكن أن تأتي بكلام قلبك من ذلك الكتاب.

لقد أتيت للاحتجاج على الظلم وعلى الاستغلال والفقر. فإذا مرت ست سنوات، وتفكر أنك لست في حركة تعمل لصالح اجتثاث الفقر، فستدرك عدم قيمتها وتتخلى عنها، وإن أتى امرؤ فعلاً من أجل

الاكتفاء الذاتي وغير ذلك لصف الشيوعية، سيبقى وسيديمها سنوات وسنوات في منظمته. ولكن إذا أتى ذلك التيار من زاوية المسالة الطبقية، ومن زاوية الثورة الاجتماعية المحوّلة، سيجد نفسه في تناقض مع الشيوعيات القائمة. إن هذه نقطة انطلاق الشيوعية العمالية. إن المشاهدة الأولى التي تعد أساس انطلاق الشيوعية العمالية هو أن الشيوعية القائمة، بالخطوط التي ذكرتها، يراها متناقضة مع مثلها العليا وأولوياتها، ومع ذلك الشيء الذي أتت للميدان من أجله.

لأمضي صوب العملية التاريخية التي طرحت بها الموضوعة من ناحيتي، من ناحية الحزب وحركتنا وتوجهنا، نذكر مراحلها، وبعدها نعود إلى مجمل الجوانب النظرية للموضوعة. لا ندحة لي من شرح حدود من تاريخ نشاطي بموازاة تلك الموضوعة، بيد أن شخصاً ثالثاً [يقدم الندوة] لا يشعر بهذا الإجبار. كانت موضوعة الطبقة في [منظمة] اتحاد المناضلين الشيوعيين، والتي كنت عضواً فيها ومن مؤسسيها، أقوى كثيراً في وجودها، في دعايتنا وتحريضنا، مقارنة بما هو عليه الحال الآن. لقد كانت دعاية اتحاد المناضلين أكثر عمالية. إن مضى أحد لمطالعة أدبيات تلك المرحلة، في كل بحث لها، كانت تطرح دوماً "استقلالية الطبقة العاملة في الثورة الايرانية"، الانهماك بالأمر العمالي وتمثيل الطبقة العاملة في تلك الثورة الجارية. وقد كان أحد أهدافه الأساسية (اي الاتحاد-م) هو الحديث عن أن هذا العمل يستلزم حزباً شيوعياً إيرانياً، ينبغي تأسيس الحزب الشيوعي الإيراني.
بعد 30 خرداد، وتقريباً سنة إلى سنتين بعد ذلك، واصلنا نشاطنا بالمستوى الذي كنا عليه سابقاً، أي إصدار الجرائد في طهران والمدن. لا أود أن أتحدث عن تفاصيل اتحاد المناضلين، ما أود قوله هو أننا تحدثنا في المؤتمر الأول لاتحاد المناضلين الشيوعيين الذي عقد بعد 30 خرداد في عام 82 في كردستان عن ما هي المشكلة وأين تكمن؟

الجميع لاذ بالفرار (بعد الهجوم الدموي للجمهورية الاسلامية في 30 خرداد بحق اليسار والشيوعيين -م)، بوسعكم رؤية التراجع، كنا نناقش مسألة الحزب الشيوعي، بالضبط في أوضاع كانت تصورات ذلك التيار (تيار اتحاد المناضلين) تتحول إلى شيء جماهيري، وكانت تجر اليسار حولها على الأقل، فيما كانت الجمهورية الاسلامية تجمع البساط من أمام اليسار وتقول له: لُذ بالفرار! إن جرى 30 خرداد 1982 بعد ثلاث سنوات، (إن تاخرت الضربة)، عندها كنا سنرى واقعاً تنظيمياً حزبياً مختلفاً في إيران، يختلف اختلاف السماء عن الأرض مقارنة بالآن برأيي. كان اليسار في إيران يمضي نحو تأسيس حزب.

في خضم أوضاع نشطة سياسياً واقتصاديا إلى حد كبير، أوضاع ثورية، أوضاع مجتمع متأزم في إيران. ولكن حل ذلك الـ 30 خرداد، وقد كنا نرى نجاحاتنا النظرية والسياسية والتكتيكية، كنا نرى نجاحنا التنظيمي، وكنا نرى التراجع الهائل وجلسنا نتحدث عن هذا في المؤتمر. اقرأ لكم أحد الأطروحات التي كانت محور ذلك المؤتمر: بلغ المؤتمر نتيجة مفادها: ما هي المشكلة وأين تكمن؟ لماذا؟ ما هي المشكلة وما هو مأخذنا على عملنا؟ ما هي الحلقة اللاحقة للحركة. إن البحث الذي تم اقراره كان الحديث عن أساليب العمل الشيوعية.

قلنا إننا كنا لحد الآن مدافعين عن النظريات الشيوعية، إن الحركة التي ينبغي إرساؤها يجب أن تكون حركة للعمل الشيوعي. ولكن ما هو العمل الشيوعي؟! إن العمل الشيوعي هو أمر مختلف عن تمثيل الشيوعية من الناحية السياسية في ميدان ثورة، التعامل والموقف من أجنحة الحكومة والنظام وغيره. ما هو العمل الشيوعي؟ ينبغي أن تقول إن العمل الشيوعي يعني أن تمضي لتبث الوعي في الطبقة

العاملة، توحدها وتجلبها لساحة الصراع السياسي. إن العمل مع الطبقة العاملة هو نقطة انطلاق العمل الشيوعي. ولم يكن الموضوع الأساسي لأي من هذه المنظمات اليسارية التي كانت نشطة في ذلك الوضع، جراء الثورة وفي خضم الثورة، العمل مع الطبقة العاملة، الصلة بالطبقة العاملة ودفع الطبقة العاملة للميدان.

إن هذا يعود للأجواء السياسية إلى حد ما، الأجواء السياسية المتحولة من ناحية، وإلى تلك التنظيمات من ناحية أخرى. أود أن أشير إلى أن الأطروحات التي نسعى من خلالها لتتبع أثر موضوعة الشيوعية العمالية، والتي قيلت هناك كانت تخص أسلوب العمل الشيوعي. إنه قرار المؤتمر الأول لاتحاد المناضلين الشيوعيين. إنها تتحدث عن النظرية الشيوعية للتنظيم. إذ يذكر:

"إن الرؤية الشعبوية فيما يخص التنظيمات، هي رؤية تنظيمية تتناسب مع الثورية القصيرة الرؤية للبرجوازية الصغيرة. وإن التنظيمات والأساليب الشعبوية، في أفضل حالاتها، هي تنظيمات وأساليب تتناسب مع أهداف وسياسات البرجوازية الصغيرة في سياق حركة ديمقراطية عامة. بالمقابل، النظرية الشيوعية للتنظيمات، (بدل التنظيمات، قل العمل المنظم)، والنظرية التنظيمية مستمدة من الأهداف والسياسات الثورية للبروليتاريا بوصفها طبقة معينة، وإن التنظيمات والأساليب الشيوعية العملية، هي تنظيمات وأساليب ضرورية لتنظيم الثورة الاجتماعية للبروليتاريا ضد الرأسمالية، وإرساء ديكتاتورية البروليتاريا والاشتراكية".

أي إن هذا هو عمل حزب شيوعي وتنظيم شيوعي. لقد انتهت الثورة، وكنت في ثورة مهزومة، وعدت. إن أناساً الحقت بهم هزيمة في ثورة يمضون لحال سبيلهم، ولكنك انتبهت إلى أن علة عدم قدرتك، فيما يخص الثورة، هو أنك لم تكن منظمة سياسية منظمة لطبقة خاصة من أجل ثورة خاصة. وبرأيي، يتعلق الموضوع ويتركز حول أي أساس ننوي صياغة ملامح الحزب وصورته، من المقرر على أي خطوط نؤسس الحزب؟!

في تلك المرحلة، غدا أمراً معلوماً أننا نريد تأسيس حزب، مرحلة أعلنت فيها منظمة (كومه له) أن اتحاد المناضلين الشيوعيين يتحدثون جدياً، وعقدت لقاءات وتم كتابة برنامج مشترك، وغدا من المقرر تأسيس حزب. لكن واجهني سؤال: ماذا يعمل الحزب الذي نؤسسه؟ يمضي مرة أخرى اتحاد المناضلين الشيوعيين ليهجم على الجناحين (جناحي الجمهورية الاسلامية-م) وتمضي كومه له إلى الجبال لتقوم بنضالها المسلح ضد الحكومة. أيكون، بعد هذا، حزب شيوعي في إيران؟ كان ردنا في ذلك الحين هو: كلا! لا يمكن أن يكون هذا حزباً شيوعياً لإيران. وفي مسعانا لإيجاد رد على كيف يكون عليه الحزب، وبعد نقاشات كثيرة، أصر أناس على أنه ينبغي تأسيس الحزب الشيوعي الإيراني وذلك لأنه إذا تأسس سيخلق روحية عالية بالأخص بين صفوفنا، وستجابه القمع وتتصدى له، وبالتالي، ستكبح موجة التائبين (الاقرار بالتوبة-م) التي عمت كل مكان والتي كانت تجري تحت ضغط التعذيب والإعدامات.

كان يرغب البعض بتأسيس الحزب بصورة أسرع. كان نقاشنا هو التالي: ها نحن أسسنا الحزب، وماذا بعدها؟ ينبغي أن نوضح هذا. مضى الحزب نوعاً ما صوب موضوعة أن على الحزب أن يكون حزب قسم مؤثر من العمال. لقد كانت هذه موضوعتي. لقد كان لا ندحة لنا من العودة للوراء، لقد أردنا تاسيس الحزب أسرع لكي يكون حزب قسم من العمال، وهو الأمر الذي طرحناه، بالمطاف

الأخير، مثل وعد أمام تاسيس الحزب هو أن نعد تأسيس حزب من أناس يعرفون كيف ولماذا ينبغي المضي والعمل داخل الطبقة العاملة وتنظيم الثورة الاجتماعية. إن موضوعة "بأي شيء يرتهن تأسيس الحزب الشيوعي الإيراني" (عنوان مقال لمنصور حكمت في وقتها-م) وموضوعة الكوادر، إذا تتذكرون، كانت حول أننا ننشد أن يكون لنا عدة كوادر شيوعيين. إن حركة ليست شيوعية، لا تكون أولوياتها شيوعية أيضاً، انهماكاتها ليست شيوعية. نأتي على الأقل لنؤسس الحزب الشيوعي الإيراني على كاهل عدة كوادر شيوعيين، يكون هذا أساس حياتهم. يمضون لتنظيم العامل صوب ثورته الاجتماعية.

ليس موضوعي اننا استطعنا القيام بذلك العمل أم لا. أود أن أقول: من الناحية التاريخية، يعود بدء موضوعة الشيوعية العمالية إلى انتهاء مرحلة الثورة في إيران، حين طرح عملياً بحث تنظيم ثورة أخرى، ولكن أي ثورة، إنه بحث ثورة الطبقة العاملة وتنظيم الطبقة نفسها. إن اتحاد المناضلين كانت منظمة تؤمن بعمق باستقلال الطبقة العاملة وبالسياسة العمالية وبالعمل داخل الطبقة العامة، حتى قبل ذلك أيضاً.

في المطاف الأخير، إن الأمر الذي يمايز موضوعة الشيوعية العمالية عن تلك الموضوعة هي أن نقطة انطلاقها قد تغيرت في بحث الشيوعية العمالية. في الوقت الذي ولج اتحاد المناضلين الشيوعيين من زاوية صحة الماركسية وسعى إلى إرساء حركة ماركسية مبدئية وأصيلة في إيران، ذهبت موضوعة الشيوعية العمالية خطوة قبلها وتحدثت عن: لنسأل، لماذا لم تُرسَ ماركسية أصيلة أساساً؟ لنسأل لماذا إن الحركات القائمة لحد الآن ليست ماركسية أساساً؟ هل يعود ذلك لمشكلات تتعلق بالجانب المعرفي؟

إن النقاش حول أنها حركات طبقات أخرى هو نقاش كان مثاراً دوماً وليس بجديد في اتحاد المناضلين. لقد اعتبرنا الشعبوية حركة البرجوازية الصغيرة، ولكننا كنا نعتقد أن الشعبوية البرجوازية الصغيرة هي فكرة سائدة على الحركة الشيوعية في إيران. إن الأمر الذي أثار موضوعة الشيوعية العمالية هو أن الأمر ليس كذلك. إنها حركة البرجوازية الصغيرة نفسها، وإن وقفت أنت هناك، فإنك حركة برجوازية صغيرة كذلك. إن نقاش القول والعمل هذا يقول بالضبط ذلك للجميع. إذا كنا نقوم بهذه الأعمال، فإننا برجوازيون صغار. ليس الأمر أننا شيوعيون لكن منهمكون الآن بصورة مؤقتة بعمل آخر! إنها حركة البرجوازية الصغيرة التي إذا لم تكن مادة وموضوع عملها الطبقة العاملة، فليست موضوع عملها الثورة البروليتارية والاشتراكية، وليست دعايتها وتحريضها المستمر دفعُ تلك الطبقة للميدان.

على أية حال، انطلق البحث من هناك، الالتفات للثورة العمالية. تأسس الحزب الشيوعي الإيراني، وإن حدثاً مهماً قد جرى، تأسس الحزب الشيوعي الإيراني، وبعد ثلاثة أو أربعة أيام من تأسيسه، سيطر النظام على كردستان برمتها. ولهذا، تم إخراجنا من أرض كردستان (إيران)، ومضينا إلى الأراضي العراقية. وقد كان أمراً واضحاً أنه بعد عدة أيام من تأسيس الحزب الشيوعي الإيراني، واجهت أكبر منظمة يسارية في حينه، أحد الأعمدة الأساسية في تأسيس الحزب، ظاهرة جعلت تأسيس الحزب امراً ممكناً، أي كومله، ووجدت نفسها أمام منعطف أساسي. واجهت منظمة كومه له حقيقةً، ألا وهي أنها تواجه، ولأول مرة، وضعاً هو ليس ثمة حركة مقاومة (حركة مقاومة مسلحة في كردستان-م) ، ليس هذا وحسب، بل بلغ العدو الحدود (العراقية-الايرانية-م)، وتتحول كومه له إلى

منظمة منفية. لم تتبقَ مناطق محررة.

وبوسعك أن ترى بصورة عينية كيف أن هذه المنظمة، هذه القيادة وذلك الحزب الذي تأسس هناك، تبين وببساطة أنه أداة جانبية لذلك الواقع السياسي في مسألته الأساسية تلك. كان من البساطة بمكان أن ينحل الحزب الشيوعي الإيراني هناك برأيي. أناس معدودون كانوا مبعث استمرار ذلك الحزب. كانت قيادة كومه له على وشك اتخاذ قرار أن تمضي للجبل وتأخذ كل الأكراد معها، أي تاخذ أي أحد كردي معها. وكان من المقرر أن يمضي الناطقون بالفارسية لإدامة حزبهم في الخارج. أثيرت نقاشات وجدالات كثيرة، تم لجم هذا المسار، ولكن غدونا على أرض العراق.

بعدها، إن أول مكان تم فيه طرح موضوعة الشيوعية العمالية بصورة محبوكة هو نقاشات المؤتمر الثاني للحزب الشيوعي الإيراني، والمنشورة جميعاً في جريدة كومنيست (الشيوعي-م). طرحت الموضوع هناك في جميع أبعاده وهو: أية شواخص اجتماعية موضوعية هي شاخص ومعلَم نجاح الحزب الشيوعي الإيراني؟ إن نكن موجودين ولدينا تنظيم، وأكبر من الباقين، ليس كافياً قط. المجتمع مَنْ يحكم على الحزب. هل يقول المجتمع عن الحزب بأنه حزب عمالي؟ هل يقول عنه أنه حزب متدخل؟ هل يقول عنه أنه حزب مقتدر؟ إن كان لا يقول ذلك، عندها لن يكون مهماً ماذا نقول أو كيف نرى أنفسنا. إن هذا الحزب ليس مقتدراً ومتدخلاً وعمالياً. ولهذا، إن فلسفة وجود الحزب الشيوعي الإيراني هو أن يمضي ليشرع في أن يكون الحزب الذي تحدث عن أنه ما ينبغي أن يكون عليه.

ومن هناك ترى في أدبيات الحزب الشيوعي الإيراني نوعاً مختلفاً من الأدبيات تركز على الطبقة العاملة. أبحاث من مثل المحرض الشيوعي، القادة العمليين موجودة في جريدة كومونيست. بوسعكم أن تطلعوا عليها دون شك. وكيف كانت تسعى لتعريف الحزب بالطبقة العاملة. إذ تحدث عن الطبقة العاملة ليس بوصفها أفراداً مذرورين (من كلمة ذرة-م)، ليست أناساً عدة، ليست جمعاً محروماً، عليك أن تجرّ أفرادها فرداً فرداً. إنها ظاهرة اجتماعية موضوعية فعلاً. يوجد في داخلها ميتابوليزم وأيض، تقاوم الرأسمال.

ولأول مرة، بموازاة الحزب الشيوعي الإيراني، طرحت هناك فكرة حركة العمال الراديكاليين الاشتراكيين. في مناقشات المؤتمر الثاني نفسها، إذا تقرأ المقابلة التي جرت حوله، تقول إن هناك تاريخين: تاريخ الاشتراكية بالشكل الذي تمثله أحزابها وجماعاتها السياسية، وتاريخ العمال بالشكل الذي عبر عنه في إضرابات العمال والحركات العمالية في مرحلة الثورة الايرانية عام 78-1979. إن هذين التاريخين متباعدان عن بعض. ليس لدينا قطيعة واحدة، قطيعة الشيوعية عن نظرية ماركس، بل قطيعتان: الانفصال عن ماركس، والانفصال عن العامل، وإن كليهما مرتبطان ببعض.

وإذا تتذكرون تلك الجملتين اللتين تحدثت عنهما في أول الندوة: علم تحرر الطبقة العاملة وعلم تحرر الكل. والعامل الذي لا يتحلى بعلم تحرر الكل هو ليس ماركسياً. الماركسية هي ذلك العنصر في حركة الطبقة الذي يعلن ويثبت إذا تحرر العامل، يحرر الجميع معه. إن انفصال حركات اليسار عن الماركسية ممثل الخروج عن تلك الأطروحة الثانية برأيي. وإن انفصالها عن الطبقة هو شاخص تخليها عن الأطروحة الاولى. الاشتراكية هي ليست ذلك الشيء الذي تتحدث عنه. إنها حركة طبقة خاصة بوسعها أن تكون اشتراكية، وإذا كانت اشتراكية، ستنتصر أنت.

على أية حال، إن شروع مناقشات الشيوعية العمالية، مع مناقشات المؤتمر الثاني، هو نوع من إعلان بطريقة ما عدم رضا قسم من أفراد هذا الحزب، ومن ضمنهم أنا، وأنا قبل أي شخص آخر، عن إلى أين نحن ماضون، وإن تأسيس الحزب ليس بكافٍ، لقد أسسنا الحزب كي نقوم بشيء ما. إننا لم نؤسس الحزب لنقول: لقد أسسنا الحزب الآن، وأحدنا يمضي إلى بريطانيا والآخر إلى بوكان، وهنا نديره، يومياً بالنشاطات ذاتها التي يقوم بها. من المقرر أن يكون (الحزب) مصدر تحولات مختلفة، ونرسي شيوعية مختلفة. ونشرع من هناك، وإن كلا الانفصالين هما حركتان وانفصال عن النظرية قد طرحا مع بعض وبموازاة بعض. توصيتي هي أن من الضروري أن تلقوا نظرة عليها. عندها شرعنا بأمر كيف نعمل داخل الطبقة. ثمة خمس أو ست مقالات أساسية في جريدة كومونيست، في حينها، رحب بها كثيراً العمال الطليعيون والناشطون والقادة العمليون للحركة العمالية. بحث المحرض الشيوعي وبحث السياسة التنظيمية بين العمال الذين هما موضوعان مختلفان، أحدهما تم استخلاص نتائجه وتقييمه بعد سنوات.

لقد كانا بحث العضوية العمالية وبحث التنظيم الحلقي والحلقات العمالية أوجه طرح موضوعة الشيوعية العمالية لشيوعية لا تعرف الطبقة، تسعى لمعرفتها. تقول عزيزي إن تصورك لهذه الطبقة خاطيء. تصور كليشي ونمطي عنها، تصور الفدائي عن الطبقة، تصور حضري مصلّي عن الطبقة، تصورك عن الطبقة هو أن يأتي من خلفك وحين تضغط على الفرامل في الخط الأحمر، يأتي لتنظيف الزجاجة الأمامية لسيارتك. ليس الأمر كذلك. إن للطبقة العاملة تقليداً احتجاجياً، تضرب، تقيم حلقات، يعقدون اتفاقات في ما بينهم، يناقشون.

إن هناك شيئاً مهماً يذكره أنجلس في إحدى نقاطه: أينما تجمّعوا، يُباع البيان الشيوعي هناك. يقول أنجلس، بسرور أقول إني اكتشفت صلة مباشرة بين الطلب على البيان الشيوعي وتنامي الطبقة العاملة الصناعية. أفهم أن الطلب على الثلاجة والتلفاز يتصاعد حين يتزايد العمال الصناعيون، يستلمون مرتبات ويعيشون في مدن. ولكن الطلب على البيان الشيوعي! ويقول: لماذا يترجم الى لغات مختلفة؟ ويذكر: حيثما يُشيد معمل، ينمو العامل الصناعي لتلك المدينة وذلك البلد، نشهد تنامي بيع البيان وتعاظم توزيع البيان الشيوعي. لم يمضِ أي شيوعي من أصدقاء أنجلس هناك، ولكن البيان الشيوعي مضى. لماذا؟ ذلك لأن الشيوعية داخل الطبقة العاملة هي واقع قائم بمعزل عن الجماعات السياسية، مثلما أشار إلى ذلك أحد رفاقنا.

سعينا في تلك السلسلة من أبحاث الشيوعية العمالية أن نعرّف ذلك الحزب بهذه الطبقة وهذه الشيوعية وآليات الطبقة الداخلية. وأرجو من الشخص الذي يريد متابعة تلك المواضيع أن يمضي لقراءة تلك السلسلة من المقالات. على سبيل المثال، نبحث أي نمط من الشخصية النموذجية لمنظمة سياسية لأناس حضريين من حملة الشهادات، لا عمل له، لا يتكفل بمعيشة أحد، ليس مجبراً على الذهاب للعمل صباحاً والعودة مساءاً، لديه يوم بأكمله، حتى إذا مات، ليس من المقرر أن يبكي عليه أحد سوى والديه. بوسعه أن يفدي ويضحي بحياته بصورة لا طائل منها، بوسعه أن يضحي بوقته، بوسعه أن لا يعمل، بوسعه القيام بأعمال تبعث على الحيرة. إن هذه صورة شخص بوسعه أن يكون عضو تنظيم فدائي. بالنسبة لعامل صناعي، عليه أن يذهب صباحاً للعمل، وبعدها يقوم بنشاط علني، ويتقدم الآخرين ويلقي خطاباً، ويتحدث بطريقة بحيث لا يُعتقل، وبعدها يستطيع أيضاً أن يستلم راتبه، يدير حلقته أيضاً. إن هذا لا يتناسب مع نزعة البيشمركايتي (النزعة المسلحة في كردستان والجبال-م). لا يمكن أن تلجأ للجبل (وقصده كمسلح-م) وأن تقوم بهذا العمل كذلك.

في المطاف الأخير، أنت تريد عاملاً كفرد أم كطبقة عاملة؟ إذا تريده كفرد، فإن الفرد العامل لا يختلف عن الفرد البرجوازي. هناك فرق واحد هو: ليس للعامل طاقة ومزاج هذه الأعمال التي تقوم بها، إنه ليس نواة مناسبة. العامل المتشذر والمتفرق في منظمة يسارية لا يتحمل ذلك ويخرج. ولكن إتي بامرئ من حملة الشهادات، فسيراعي وللأبد النظام، في كل اجتماع، لا يشتم، لا يتفوه بكلمات بذيئة، يأتي مؤدباً ويذهب مؤدباً. إن النمط الأنموذج الذي يأتي لمنظمة يسارية في ذلك الوقت هو طالب، طالب جامعي بوسعه أن يفدي نفسه في سبيل هذه الطبقة ويلعب هذا الدور الرسالي لاشتراكية من المقرر أن تتحقق بعد 500 عام! ضحوا بأنفسهم من أجل ذلك. كانوا أناساً شرفاء، ولكنهم، ضمنياً، كان لديهم وقت لذلك. لم تكن على عاتقهم مسؤولية أيضاً، لم يتعرضوا إلى مشكلات اجتماعية خاصة في تلك الأيام، كان بوسعهم أن لا يعودوا للبيت مساءاً، ويواصلوا اجتماعهم. بوسع أحدهم أن يمضي للجبل ليقوم بنضال مسلح ويعود للمدينة، إن كان يستطيع العودة للمدينة. وفق هذا المعنى، لا تصلح تلك المنظمات للعامل ولا تناسبه.

ما أود قوله إن تلك السلسلة من المقالات التي سعت إلى تعريف حزب سياسي بالعامل والميتابوليزم (الايض-م) داخل الطبقة العاملة، وقد كانت المقالات، مليئة بمثل هذه النقاط. إنها مرحلة كان يحدونا أمل أنه يمكن تغيير الحزب، الاستفادة من قواه وتحويله غلى حزب شيوعي عمالي. لقد كانت نقطتنا في حينه أن مجمل هذه الظاهرة تقبل كلامنا، وأن مجمل إمكانات هذه الظاهرة بأيدي هذا الخط وفي متناوله، لنستفيد منها، ماذا بوسعنا أن نعمل إن كان هناك كثيرون لا تهمهم ولا يحتاجون هذه النقاشات والأبحاث، ويقومون بالأعمال التي في ذهنهم في المطاف الأخير. لنقم بعملنا إلى اليوم الذي لا يزالون يسمحون فيه بالدفع بهذه المواضيع وإرساء تنظيمات المدن وغيرها تحت إطار الحزب الشيوعي الايراني، فلنقم بهذا العمل.

أثبت الواقع أنه لا يمكن هذا، وذلك لأن هذا الموضوع لا يتعلق بأمر معرفي، بل كان وجود تيارات مختلفة ترتبط مع بعض في حزب سياسي، وقد قامت بتأسيس الحزب. وحين حلت أول أزمة مهمة على الصعيد العالمي، انفصلت هذه الخطوط عن بعض، والحقت بتلك الخطوط الهزيمة كذلك على صعيد الحزب الشيوعي الإيراني. سأبلغ هذا الآن. على أية حال جرى جدال داخل الحزب الشيوعي الإيراني، ولفترة طويلة، دورة كتبت فيها مقالات عمالية، مرحلة أملنا وتفاؤلنا بوصفنا خطاً داخل ذلك الحزب. مرحلة اعتقدنا بوجوب قول الحقائق، وإذا قمنا بالدعابة، وإذا وضحنا، سنجمع قوى حولنا بصورة كافية، لكن ظهر عملياً أن هذه القوة كانت تياراً معيناً، ففيما كان يعد جمع هذا الأمر قضيته، لا يعد جمع آخر هذه القضية قضيته، ولا يحكم على مكانته وتقدمه وتراجعه استناداً إلى هذه الأمور.

إن الاجتماع الموسع 13 للجنة المركزية (الحزب الشيوعي الإيراني) مهم من زاويا ما، وذلك لأنه كان أول بداية للمسألة. في ذلك الوقت، كانت مسؤولية إدارة التنظيمات على عاتقي، سلمتها وقلت لا يمكن هذا. ثمة خطوط مختلفة موجودة، أشرت إليها في مراحل بوصفها تيارات رادعة ومعيقة، كيف ينبغي مجابهتها، لدينا ما نقوله حول النزعة القومية الكردية، المحفلية والحلقية ومجمل هذه. ولكن تبين هناك أنك بمجابهة قطب، بالأخص في كردستان، ذي صلة بعدها ببقايا اليسار الذي أتى من خارج كردستان، وإن هذا الموضوع الجديد هو ليس أمرهم الاجتماعي، ويقاوم، أو يرجمه أو يصارعه بصورة سلبية. ماذا كان هذان الخطان؟ أحدهما برأيي كان النزعة القومية الكردية، أناس من منظمة كومه له كانوا ينشدون منظمة تمثل نسخة أكثر راديكالية وثورية من الاتحاد الوطني أو

الحزب الديمقراطي (حزبان قوميان كرديان في العراق برئاسة جلال الطالباني ومسعود البارزاني - م). أناس كانوا ينشدون أن تكون كومه له منظمة شيوعيي كردستان، بالرواية الشيوعية ذاتها التي كانت عليها الشيوعية، أن تكون منظمة الديمقراطيين الثوريين لكردستان التي من المقرر أن يطلق عليهم جمع في العالم اسم شيوعيين. إنه جمع أراد ذلك فعلاً والآن يريدونه كذلك. حين تركنا تلك المنظمة، أصبح بعضهم كذلك. لازالت لحد الآن ثمة مقاومة داخلهم، ولكن قسماً مهماً أصبح كذلك.

إن قسماً منهم هو اليسار ذاته برأيي الذي أسس الحزب، وإن ما كان ينشده ذلك اليسار هو تأسيس منظمة كبيرة وذات اعتبار ومكانة. كان الحزب الشيوعي الإيراني منظمة كبيرة جداً، ذات مكانة كبيرة. جمع من 23 عضو لجنة مركزية، بهذا الحجم من المسؤوليات، من العمل، من الإمكانات المالية، وغدت هذه قصة الحياة السياسية لجزء منهم. يمكن أن يقوموا بهذا العمل لعشرين عاماً أخرى أيضاً. لا يمكن هذا برأيي. لقد بينت التجربة ذلك بسرعة بالغة. حين رفعنا في الاجتماع الموسع 13 للحزب الراية البيضاء، وقلت لقيادة الحزب للأسف لا ينفع هذا، ليس بوسعي أن أعمل، أذهب لأفتح أبواب خطي، يمكن أن نقوم بنقاش علني، بجدل سياسي، بدلاً من أن نتحدث بصورة مشتركة وكلنا سوية، ليتبين ما هو خط كل شخص.

إذا تنظر إلى المؤتمر الثالث (للحزب الشيوعي الإيراني) والذي جرى بعد الاجتماع الموسع 13، ومواضيعه منشورة في مجلة بسوي سوسياليزم (صوب الاشتراكية-م)، سترى أن الخطوط العامة لتلك السجالات موجودة هناك. إن موضوعة الانهماك والاقتصار على الانهماك بالمنظمة وموضوعة الشيوعية قد ترافق وتزامن مع حدث الاتحاد السوفيتي ومجيء غورباتشوف، وإذا قرأتم بالأخص كلامي توضيحاً لتلك الأطروحات الأولية التي قدمناها بصورة مدونة في المؤتمر، ستجدون أنه يقول إن هذه المنظمة لا تبقى بأيديكم، لأن الدنيا في تغيّر، إذ تنهار تلك الشيوعية، أما أن تؤسس حزباً سياسياً على هذا الخط والتوجه الطبقي الجديد أو ينهار هذا الذي بيدك.

ومن هناك بدأت بقية أبحاث الشيوعية العمالية وندواتها وتصوراتها بوصفها تياراً مختلفاً في الحزب. بوسعك، في المؤتمر الثالث، رؤية انتصار طعنة تيار ما لماركس، طعنة للماركسية ونوع من انتصار الحركة القومية الكردية. بوسعك فعلاً رؤية هزيمة اؤلئك الذين أتوا مع الماركسية في ثورة 78-1979 في روحية المؤتمر، في انتخاباته، في الأجواء السائدة على المؤتمر الثالث برأيي. تحت مسميات هزيمة أهل القلم، هزيمة أهل الهذر وانتصار أهل العمل! "عمل" برجوازي صغير، من المؤكد أن أناساً أهل العمل هم برجوازيون صغار برأيي، وذلك لأنه كان الأمر كذلك فعلاً. وكذلك هيجان انتصار الداخل على الخارج. لقد كانت هذه الأشياء التي تم الاحتفال بها في المؤتمر الثالث. ومن المؤتمر الثالث برأيي، غدا الصراع الداخلي علنياً بصورة عملية في ذلك الحزب، بعدها نُظِمَتْ ندوات وكونفرانسات الشيوعية العمالية، تأسس شيء باسم فراكسيون (كتلة-م)، باسم فراكسيون الشيوعية العمالية، هو ماجرى بعد ذلك في تلك المرحلة. ويعرف أغلبكم الجدالات التي طرحت وجرّت التنظيمات إلى أماكن أخرى. لقد أُستَقْطِبَ الجدل. قبل أن نوجه النداء لأحد بترك الحزب، بدأ عملياً التحريض ضدنا قبل أشهر. في كردستان بالأخص، إنهم أقروا أنهم يريدون ترك الحزب، بعدها تم الانفصال. لقد ألحقت بهم الهزيمة في تلك المرحلة، اشتد الصراع في الاجتماع الموسع 16، جرى صدام ولكن أُديمَ الجدل والصراع بصورة أكثر علنية وحدّة إلى أن انهار الاتحاد السوفيتي وأصبحت الماركسية لا تستحق شروى نقير في نظر الكثيرين برأيي.

وبالضبط، حين هوجم العراق (حرب أمريكا على العراق 1991-م) وتبين أنه ربما تتأسس حكومة كردية في كردستان. ربما يرفض أحد ما هذا التفسير ويقول إنك ترى الأمر هكذا، ولكن كان الأمر على هذا الشاكلة برأيي. بالضبط حين لم يمكن لك أن تتطلع من القومية الكردية داخل التنظيمات الاتفاق والتعايش والتوجه المشترك وما يطلق عليه فسح المجال أمام هذا الجدل، استقطب الجدل، وبلغ الانفصال. لم يفهم قسم كبير برأيي من الخط الذي كان بوسعه أن يكون مع هذا التيار ما حدث. برأيي، كانت هناك أطروحة هائلة داخل ذلك الحزب تتحدث عن طبيعة هذا الجدل، لم يفهموا أن تلك المرحلة قد ولت، لقد انقضت المرحلة التي بوسع المرء أن يكون داخل الحزب وهو في مرحلة الحركة المناهضة للشعبوية. بيد أن الأحزاب الشيوعية القائمة في العالم تنحل الآن. وإذا أردت المضي لاستقبال هذه المرحلة، فبوسعك فقط أن تستقبل هذه المرحلة بحزب نظم نفسه للشيوعية. وإن تصوره للشيوعية هو شيوعية عمالية، ليست شيوعية تشكلت تاريخياً بهذا الشكل.

لقد حدث هذا. برأيي، لحسن الحظ حدث هذا الانفصال في وقته، وذلك لأنه ورغم القوى الكبيرة التي ذهبت هدراً، والإمكانات الكثيرة التي ذهبت هدراً، ورغم أن أيادينا غدت لا تطال الكثير من الأعمال، ومن بين ذلك لا تطال الأسلحة ولا الإذاعة، لمرحلة، وهما عاملان مهمان في أي نضال سياسي، إذاعة بوسعها أن تقوم بالدعاية والتحريض وأسلحة بوسعها أن تطلق النار، ولكن منحت لنا الفرصة في مرحلة تحدثت لكم عنها حيث شن هجومهم، بقي هذا الحزب مفعماً بالحيوية في الميدان بدون أي اثر لهذا الشق، بدون أدنى إبهام وتشوش. بقي حزباً شيوعياً عمالياً قاوم في مرحلة نهاية الشيوعية والآن بلغنا هذه المرحلة، ويمكن الحكم عليه وتقييمه بصورة موضوعية. برأيي ان انتهاء الاتحاد السوفيتي ووجود هذا الحزب في إيران كان فرصة صغناها في تلك المرحلة، وإن لدينا هذا الحزب كي نتمكن من أن نواصل حركتنا على تلك الأصعدة والمستويات.

لقد ذكرت هذا من الناحية التاريخية لكي أقول إنها (الشيوعية العمالية-م) حصيلة هذه العملية والصيرورة. أما ما هو السبب وراء أن هذه الشيوعية العمالية، مثلما سأل رفيق، قد تشكلت في إيران وغير ذلك، فبرأيي، إذا عدنا خطوة قبلها، فإن الثورة الإيرانية هي أول تحول سياسي أساسي في إيران قد حدثت في مجتمع رأسمالي. لقد جرت الثورات السابقة في المجتمع أساساً في مجتمع إقطاعي وفلاحي. من الواضح أن هناك قسم حضري، نهضة تأميم صناعة النفط هي زاوية تتعلق بالمدينة والعامل ظاهرة حديثة الظهور في الميدان السياسي. الثورة المشروطية على غرار ذلك أيضا.

من الواضح أن ثمة أحزاب يسارية وشيوعية كذلك، ولكن العامل بوصفه طبقة لم يكن قوة مهمة جداً في ميدان ذلك الاحتجاج. لقد كانت القوة المهمة هي المثقفين الحضريين وحملة الشهادات. إن ثورة 78-1979 هي أول مرة يمثل العامل فيها قوة كبيرة جداً من ناحية القوة الإنسانية لذلك المجتمع، وقد حدثت في مجتمع رأسمالي لم تكن فيه القرية شيئاً مهماً، لم تكن فيه القرية مهمة ولا الإنتاج ما قبل الرأسمالي مهماً ولا ما قبل الرأسمالية مهمة. الرأسمالية مهمة. ذلك المجتمع مجتمع رأسمالي. أزمته من نمط أزمة رأسمالية، ويحل العامل في الميدان ليقيم مجالسه، يقوم باحتجاجه المستقل. لم يأتِ عمال ثورة 78-1979 إلى الميدان بهيئة راية شيوعية مستقلة، بيد أن وجودهم برأيي، وجود حركة عمالية شيوعية بالغريزة، وبعدها حتى شيوعية بصورة صريحة، سمح أن يكون للشيوعيين في إيران في تلك المرحلة يد طولى.

إن كانت المرحلة مرحلة حملة الشهادات القوميين، لألحق ذلك الخط الهزيمة بنا عندها. ناهيك عن أن أناساً كانوا مع خطنا في ذلك المجتمع عجزوا في مراحل سابقة عن جمع 5 أشخاص من حولهم. ناهيك عن أنهم لم يتمكنوا من ذلك في بلدان أخرى. ولكن في تلك المرحلة، إذا تبين أن كلامكم أكثر ماركسية وأكثر طبقية، ستنمون. لماذا؟ إذا تبين في عام 78-1979 أن ما تقوله وتصورك هو أكثر طبقية من الأساس، يخدم استقلالية الطبقة أكثر وأكثر ماركسية ولا يماثل الكلام الماركسي السابق، ستنمون. لماذا؟ وذلك لأنه أينما ينمو العامل الصناعي، يباع البيان الشيوعي هناك. وكنا ممثلي البيان الشيوعي كذلك في تلك المرحلة وفي بلد يمكن التحدث بكلام شيوعي في رحم ثورة، وتناميا.

برأيي، بمعنى أن بإمكان الشيوعية العمالية حتى إذا كنا حزباً ينشد الاقتدار، وإن هذه الموضوعة قد انتصرت وتقدمت، فإنها حصيلة تطور الطبقة العاملة في إيران بعد الإصلاحات الزراعية وظهور طبقة عاملة صناعية عظيمة وحضرية كبيرة لم تسمح في ثورة 78-1979 لاؤلئك الذين حددوا ورسموا حركة (تأميم) صناعة النفط أو اؤلئك الذين رسموا ملامح الثورة المشروطية، أن يحددوا ملامحها من الناحية العقائدية كذلك. من الناحية العقائدية، كان العامل الطليعي الإيراني ماركسياً بصورة عميقة. إذا رآك تتحدث عن ماركس في الشارع، سيدعوك للحديث بكلامك هذا في مصنعه، يقول لك: تعال هنا، وقل هذا في مصنعنا. لا عليَّ مع أي خط هو. دعا العامل الشيوعية للميدان، وإن تلك التيارات التي كانت شيوعيتها أكثر عمالية، أقرب من حيث الاستقلالية الطبقية، شعاراتها أكثر بروليتارية، أساليبها مستقلة أكثر عن البرجوازية، تتصدى لمجمل السلطة الحاكمة ولمجمل أجنحة الحكومة، لها حظوظ أكبر في أن تحقق موضوعاتها اليد الطولى، ومن بين هذه الموضوعات، أدت إلى موضوعة الشيوعية العمالية لاحقاً.

على أية حال، وددت أن أتحدث لكم عن الخلفية الفنية لهذا البحث، يمكن الحديث كثيراً عن هذا الأمر. إذا أردنا، بوسعنا أن نناقش هذه المسألة أكثر.

مكانة الممارسة وحركة الطبقة

في الشيوعية العمالية و"التحريفية"

من الناحية الفكرية، كان أحد الجذور الأساسية لموضوعة الشيوعية العمالية، إحدى المسائل التي كانت نافذة وكوة لموضوعة الشيوعية العمالية، هو نقاش تقييمنا للتحريفية. إذا تتذكرون، بحدود المؤتمر الثاني (الحزب الشيوعي الإيراني) كان هناك نقاش حول وجوب ترميم البرنامج، وينبغي علينا كتابة برنامج آخر، إذ أن هذا لا يصلح. في برنامج الحزب، ثمة بند مهم، وهو بند التحريفية، كان حساساً جداً. ما هي التحريفية؟ إن ما كان بارزاً ببحثنا على وجه الخصوص هو أن الحركة اليسارية كانت تنظر إلى التحريفية بوصفها ردة عن النظريات، ردة عن مدرسة. التحريفية تعني أن حرفاً أو تعديلاً ما قد أُجريَ على شيء ما. التحريفي هو امرؤ أعاد النظر في كلام ما وبأحكام ما ذات حقانية بصورة واضحة، وذات حقانية يعني مقدسة بمعنى ما. نطلق على هذا تحريفية.

لقد أجبرنا على تصنيفها: روسية، صينية، خروشوفية وتحريفية شعبوية. نطلق صفة تحريفي على أي شخص يقول كلاماً غير سليم. وقمنا بإدانة التحريفية! بوصفها ارتداداً عن العقيدة! وإذا تمعنتم، ستجدون أن كلمة مرتد نفسها قد استخدمت بكثرة في الحركة الشيوعية. فلان مرتد! ماذا يعني مرتد؟

أهو دين؟ كان يطلق على الارتداد عن العقيدة تحريفية. إن أول مرة انتبهنا إلى أن شيوعيتنا ذات اختلاف مع هذا البحث، كان في تفسيرنا وتصورنا عن التحريفية. إذا كان الامر ارتداداً عن العقيدة، فالسؤال المطروح: لماذا ظهر هناك ارتداد عن تلك العقيدة؟ أية مصلحة، أية مصلحة واقعية تقف خلف ذلك الارتداد عن العقيدة؟ كان فرقنا في تفسيرنا وتصويرنا هو أننا عبرنا مقولة التحريفية وبلغنا مقولة الشيوعية البرجوازية. وقلنا إن علة إعادة النظر في النظرية هو أن هناك مصلحة اجتماعية ما تستلزم ذلك. إذا كان من المقرر أن تضع، على سبيل الفرض، ديكتاتورية البروليتاريا جانباً، فذلك لأن تلك النظرية لا تفيدك، وأن وجودها يكبل أياديك. يجب أن تكون هناك حركة، ظاهرة في المجتمع لا تحتاج إلى تلك الأطروحة والحكم أو تحتاج إلى إجراء تغيير عليها. وإلا ما الضرورة أن يقوم امرؤ ما بوضح النهار بتغيير الأمر الفلاني في الماركسية؟ إن بلوغ أمر إعادة الشيوعيين النظر بتلك الأحكام الماركسية هو أنهم بحاجة لإعادة النظر تلك. ولهذا، نظراً لكون هناك مصلحة اجتماعية يتعقبها ويضع ذلك الحكم عراقيل أمامها، لا تتناغم مع ذلك الحكم. لقد كانت هذه خطوة كبيرة بالنسبة لنا برأيي، وذلك لأنه دفعنا إلى مستوى البيان الشيوعي.

حين تقرأ البيان الشيوعي، ترى أن ماركس وأنجلس بلغوا في آخره موضوعة الاشتراكيات غير العمالية. إذ يبحثان الاشتراكيين والشيوعيين، الأدبيات الاشتراكية والشيوعية، الاشتراكية الاقطاعية ولم يتحدثوا عنها على أنها إعادة نظر في أمر ما، يتحدثان عن أن الاشتراكية بالنسبة لهم ستار لمصالح إقطاعية. لماذا؟ لأنها تريد عبرها توجيه ضربة لذلك البرجوازي وتريد جذب العامل وكسبه، ولهذا تتحدث لصالح الكادحين، ولكن من أجل الإبقاء على الإرستقراطية. يتحدث (أي الإقطاعي-م) عن أن القديم كان أفضل، ألم يكن القديم أفضل؟!، ألا تتذكر أنك لم تكن مجبراً على نيل أجر؟ ألم تكن لديك أرض؟ يأتي الإقطاعي، ويكون معلوماً ماذا تأكل وكيف تنام. ملقى في الشوارع الآن، ليس لك ملجأ، انظر إلى الفقر، ألا تتذكر تلك الفترة وأمانك الاقتصادي في مرحلة الإقطاع؟ إنه يتحدث عن ذلك، يوجه نقده للبرجوازية والمجتمع الرأسمالي، يتحدث عن الاشتراكية والطبقات الدونية وعن تحررها وذلك لأنه يرى تلك الفئة الجديدة (العمال والكادحين والمسحوقين-م).

يتحدث ماركس عن الإقطاعية وعن السمة الطبقية لنوع معين من الاشتراكية لا عن إعادتهم في نظرة ما أو أكاذيبهم الخاصة بالاشتراكية. اشتراكية أناس على هامش هذا الإنتاج الجديد (الرأسمالي-م)، إما أن يتلاشوا أو يخلقوا أناساً برجوازيين صغار جدد ووقوع طرفهم الآخر في البروليتاريا أو يقذف (الإنتاج الجديد-م) بهم في صفوف البروليتاريا. حين تقرأ لها ترى النزعة الشرقية ذاتها وشرقيينا، أي شبه يسار مرحلتنا تلك. الخوف من الرأسمالية، الخوف من العواقب الضارة للرأسمالية في حياة أقسام فئات هامشية. يتحدث البيان الشيوعي عن الشيوعية الألمانية التي يمجدونها، الاشتراكية الالمانية أو الاشتراكية الحقيقية، ويتحدث عنهم على أنهم مثقفون، بدلاً من أن يأتوا بفرنسا وثورتها الصناعية إلى هنا، إلى ألمانيا متخلفة، أتت عقائدها (فرنسا وثورتها الصناعية-م)، أخذ هؤلاء هذه العقائد وحولوها إلى أفكار توضيح الحكومة المطلقة. تلقفوا أطروحات الاشتراكية وحولّوها إلى حكومات عقلانية يدعون لها ويريدون إرساءها في حكومة استبدادية برجوازية أو برجوازية صغيرة.

بعدها يمضي البيان صوب الطبقة. يتحدث بعدها عن اشتراكية محافظة أو اشتراكية برجوازية، يقول إنهم جمع من البرجوازية فهم أن نظامهم لا تمكن إدامته عبر قسر الكلام فقط، بل ينبغي أن تجري فيه إصلاحات، ينبغي إنقاذ الفقراء، ينبغي أن تكون هناك درجة من الرفاه الاجتماعي، وحين تنظر إلى ذلك الآن، تجده ذيول الليبر بارتي (حزب العمال) أنفسهم وغيرهم. إن الاشتراكية المحافظة أو

البرجوازية هي بالضبط الجذر ذاته الذي يحل مع البرجوازية وبرفقتها. إنهم جدد، ولكن قضية ماركس تتمثل في طبقتهم.

بعدها نظرنا إلى حالتنا، وقلنا إن الاتحاد السوفيتي مرتد، ولكنها شيوعية مَنْ هذه؟ شيوعية نقول عنها إنها ذات رؤى تختلف عن رؤى ماركس بشكل ما، ولكن شيوعية من في المطاف الأخير؟ تنظر، فترى أنها شيوعية قطب اقتصادي معين ينشد في بلد معين أن يدير اقتصاداً معيناً يستند إلى الدولة، يُراكِم، وأن يجلب استناداً إلى شيوعيته دعم وتعاطف فئاته الدنيا والفئات الدنيا العالمية بوجه المعسكر المنافس الذي هو أفضل منه من الناحية التقنية وأفضل منه من الناحية العسكرية، وينشد استناداً إلى هذا أن يكون له نشاط في البلدان التي هي ضمن منطقة نفوذ الطرف المنافس. أريد ماركس كي أنافس به البرتغاليين والأمريكيين. إذا أعطوني موزمبيق، لا أحتاج عندها لماركس. أي أريد ماركس كي يعتقد العامل الروسي أنه قد حقق مكسباً جيداً. أن يبقى على إنتاجه، مع زهد وبخس أجوره ومع تخلف ظروف عمله. يريدون ماركس لإدارة هذا النوع من المجتمع ولإرساء قطبهم هذا.

الشيوعية الصينية، أطروحة العوالم الثلاثة ردة؟ ليستا ردة. يريدان أن يقولا إننا قطب جديد، من فضلكم اجمعوا بلدانكم المتفرقة حولنا، وأن يدافع (القطب الجديد-م) عنكم بوجه القطبين الآخرين! إنهم من يقولون ذلك. إن أطروحة العوالم الثلاثة ليست ردة عن الشيوعية. إن اطروحة العوالم الثلاثة هي أطروحة طرف يخص بدء قطب جديد يدعي اليسار والشيوعية. من فضلكم، نطلب من البلدان النفطية أن تراجع فلاناً، أن تتحالف معنا. أحدهما أسوأ من الآخر، وكلاهما أسوأ من الآخر. لقد كانت هذه صيغهم! قوة عظمى، قوتها العظمى التي هي الأن في صراع كذلك مع السابقة، سحب الروس خبراءهم، ووسعوا حدودهم، وتحولوا إلى منافسي لقمة عيشهم، وتدهور الوضع ما بين ماو تسي تونغ ومولوتوف، وارتفعت راية الشيوعية الصينية بوصفها رؤيا مستقلة.

ليس ثمة إعادة نظر في شيء! إعادة نظر بالنسبة لي ولك لأننا اعتقدنا سابقاً أنهم يشتركون معنا في هذا التيار، ولكنهم يقولون أشياء أخرى. من وجهة نظر أحد ينظر من المريخ إلى الكرة الأرضية يقول أحدهم للآخر: "أنا شيوعي"! بيد أن أحدهم ينشد القيام بعمل ما، فيما يريد الآخر القيام بعمل آخر. وعليه، إن أول وجه لاختلافنا أدخلنا في بداية موضوعة الشيوعية العمالية كان هو أن الشيوعية البرجوازية هي شيوعية برجوازية، ولتوضيح الشيوعية العمالية، عليك أن توضح أولاً محتواك الطبقي المختلف نفسه وأهدافك وآمالك للمجتمع الذي تنشد إرساءه مقارنة بالقطب المقابل. إن اختلاف الشيوعية مع شيوعيات التيارات الأخرى ليس اختلافاً فكرياً، بل اختلاف اجتماعي بالدرجة الأولى.

مكانة صفة العامل في الشيوعية العمالية

إذا تتذكرون، في وقتها، كانت موضوعة الحركة الاجتماعية أمراً مثاراً ومطروحاً. أتينا نحن أيضاً، وبعبارة أخرى، طرحنا الشيوعية العمالية أمام الشيوعية غير العمالية لعصرنا. إنه العمل ذاته الذي قام به ماركس. إن المقتطف الذي أورده صديقنا، كنت قد وضعت علامة عليه كي أقرأه عليكم: "وإذ يسألون لماذا اخترتم اسم الشيوعية لحركتكم، لم نستطع أن نطلق عليها البيان الاشتراكي". في عام 1847، كان هناك نوعان من الناس يطلق على نفسه اسم اشتراكي. أناس كانوا موالين للأنظمة الطوباوية المختلفة، وبالاخص "الاوينيين" في بريطانيا و"الفوريين" في فرنسا، تحولوا جميعاً إلى

فرق صغيرة تسير نحو الزوال والاضمحلال. من جهة أخرى، أقسام وأنواع من الحكماء الاجتماعيين الذين يرمون هنا وهناك بصيغ لشفاء المجتمع. كانوا جميعاً خارج الطبقة العاملة. إنهم جميعاً أقسام من الطبقات المتعلمة وحملة الشهادات.

بيد أن هناك قسماً من الطبقة العاملة يطلب إعادة هيكلة جذرية وراديكالية للمجتمع، ويؤمن أن الثورة السياسية فقط ليست كافية لذلك. قسم أطلق على نفسه كلمة شيوعي. كان هذا التيارغير مشذب جداً، كان غريزياً وأولياً، ولكنه كان قوياً بصورة كافية، ولذلك تشكل نوعان من مدارس الشيوعية الطوباوية الآن في فرنسا تحت اسم كابه وفي ألمانيا فيتيلينك. تشير الاشتراكية في 1947 للحركة البرجوازية، والشيوعية حركة الطبقة العاملة. ونحن وضعنا اسم شيوعي على البيان" (البيان الشيوعي). أي يقولون إننا وضعنا اسم تلك الاشتراكية العمالية لعصرنا على كتابنا. إنه بيان الاشتراكية العمالية. يقولون ثمة اشتراكية أخرى موجودة أيضاً، ولكنها ليست عمالية. أنا أنتمي لاشتراكية عمالية، أنتمي إلى تلك الطبقة المتنامية والمتصاعدة التي تنشد إعادة الهيكلة الراديكالية والجذرية للمجتمع، وتعرف وتقول إن الثورة السياسية ليست كافية لهذا العمل، ينبغي القيام بالتحويل الاجتماعي، كان اسم تلك الحركة واؤلئك الذي كنا نراهم موجودين أقسام من الطبقة العاملة، أطلقت على نفسها اسم شيوعي، ويتحدث ماركس، بدون أي تردد، حيث كنا نؤمن بأن تحرر الطبقة العاملة تقبّل أياديها أضفنا على البيان اسم شيوعي. كان الأمر كذلك بالضبط بالنسبة لنا في بحث الشيوعية العمالية.

إن كان ماركس حياً، إن أتى ورأى الآن أن الشيوعية التي أطلقوا اسمها على البيان في وقتها بوصفها أداة تمييز العامل عن البرجوازي، هي نفسها الآن لا تُحدث هذا التمييز والفصل، فإلى 11 عاما خلت لم تكن تحدث هذا التمييز والفصل، هناك شيوعية صينية، روسية، شيوعية أوربية، شيوعية ألبانية وغير ذلك، لقال عندها ماركس وأنجلس أيضاً: حسناً، لنرى الآن ماذا يطلق العمال على شيوعيتهم؟ للأسف، إذا يأتون الآن، لا يعتبر العمال أي شيء من تلك الشيوعية شيوعيتهم. ينجذبون لذلك المعسكر أو أن يكونوا خاضعين للاشتراكية الديمقراطية أو تلك النقابات. لا تطلق الشيوعية الناصعة والغريزية للعمال أي اسم على نفسها. أتينا وقمنا بهذا العمل. تحدثنا عن أن اسمها الشيوعية العمالية. نطلق الشيوعية العمالية على تلك الشيوعية التي ثمة بينها وبين الشيوعيات الأخرى اختلاف من الناحية الاجتماعية وعلى صعيد الحركة. اجتماعية وعلى صعيد الحركة بأي معنى؟ بمعنى إنها تتعقب أهدافاً اجتماعية مختلفة، وتنظم قسماً اجتماعياً مختلفاً! للهدف البسيط هذا! إذا لديك حركة من المقرر أن تحقق أهدافاً اجتماعية مختلفة، فإنك حركة اجتماعية مختلفة. ينبغي أن تطلق عليها ذلك أيضاً. الشيوعية العمالية حركة مختلفة عن الشيوعية القائمة حالياً.

وهنا أبلغ أهم نقطة في بحثنا، أي صفة العامل في بحثنا. لماذا نستخدم كلمة العامل هذه؟ أن استطعت استكمال هذا البحث، سأترك قسماً منه للشهر المقبل (الندوة الثانية لبحث الشيوعية العمالية-م). لماذا نستعمل كلمة العامل هذه؟ لماذا نستعمل كلمة العامل في هذه النظرية؟ هل الماركسية إيديولوجيا عمالية وذلك لدفاعها عن المضطهدين؟ هل بسبب أن العمال هم أكثر أناس المجتمع استغلالاً؟ هل بسبب أن العمال مستغلون أكثر من الكل؟ ليس جراء أي من الأسباب هذه كان العامل محور اهتمام الماركسية في نظريتها.

إن العامل هو محور اهتمامها جراء تصويرها وتفسيرها للرأسمالية. إن كنت نصير المضطهدين،

فالمضطهدون كثر. كن على يقين أن وضع المرأة حافية القدمين في الإكوادور تقطف الموز لهو أسوأ من عامل في مصنع فورد "دكنام"، تتعرض إلى الأمراض أكثر، تعاني من الجوع أكثر، وتموت بصورة مبكرة أكثر، وتشاهد التلفاز أقل، وتتنزه في الشوارع أقل. إذا كان من أجل الدفاع عن المحرومين، وأتيتم أنتم للميدان بوصفكم اؤلئك الحكماء الحاملين معكم سلسلة من الرقيات لإنقاذ الفئات المضطهدة، ثمة أناس كثر أكثر تعاسة من العامل.

لم يأتِ ماركس بأطروحة الثورة العمالية أو العامل في الماركسية وذلك جراء رؤيته لمآسي العامل. بل وذلك لتفسيره ورؤيته للعالم المعاصر والمجتمع الرأسمالي ومكانة العامل في المجتمع المعاصر. من الواضح إذا كان للعامل هذه المكانة ولكن لا تلبي الأهداف الانسانية والشخصية لماركس، لا يعطيه (ماركس) تلك المكانة الأساسية ويحلل هذه المكانة ويمضي. ولكن حين يسترعي انتباه ماركس أن هذه الظاهرة هي آخرها، أنها آخر مرحلة يمكن أن يُستغل الإنسان فيها، ولهذا فإنه آخر مضطهد بوسعه أن يكون شريط ناقل تحرر البشرية قاطبة من كل هذا التاريخ الطبقي، هنا نرى أن لدينا هذه الظاهرة العظيمة التي يرد اسمها في الماركسية. إذا كان الأمر غير ذلك، فإن أي من هذه المعادلات لم تصبح بهذه العظمة ولا كان قد عرفها أحد، ولم نمضِ أنا وأنت لمطالعتها.

لقد أرسى ماركس نظريته استناداً إلى العالم وذلك جراء مكانة العامل في المجتمع الرأسمالي والمكانة الموضوعية للعامل في واقع العالم المعاصر، لا لأن العامل أكثر معرفة، أو في الواقع أكثر ثورية أو يفهم أكثر ويعاني أكثر من الآخرين، وأكثر إنسانية، أو أي شيء آخر تعتقده. لا لأنه وجد أناساً أفضل، مختارين، ليس الأمر مثلما أن امرأ يعتقد أن حمر البشرة يذهبون للجنة والبيض لجهنم. كما لو أن ماركس اكتشف العامل بوصفه أمة. ليس العامل أمة أو عرقاً عند ماركس، أو إن عرق العامل هو أفضل العالم. يطلق اليهود على أنفسهم أنهم أفضل عرق، شعب مختار، يطلق الألماني أفضل عرق على نفسه. كما لو أن ماركس بدلاً من أن يصنف العالم إلى ملل وأعراق، صنف الأعمال، وتحدث عن أن العمال هم أفضل أقسام المجتمع. لا يقول ماركس هذا. لا يتحدث ماركس هكذا أساساً.

من الملفت للانتباه في إحدى رسائل أنجلس إلى ماركس في ألمانيا، والتي كانت بالنسبة لي مبعث صدمة نوعاً ما، ولا أتفق معها كذلك، ولكن ما أريد قوله هو كيف وبأي شكل ينظر طرف ما للعامل. يتحدث أنجلس عن تصاعد القتل والجريمة والسرقة في هذه المدينة، وإن هذا يدلل على نمو البروليتاريا في هذا البلد. ويظهر نفسه الآن على شكل قتل وجريمة، ولكنه يظهر بعد ذلك فوراً على شكل نضال شيوعي. إنها رسالة أنجلس إلى ماركس. كان ينظر بصورة موضوعية لهذه الظاهرة، يقول ظهر العمال، نزلوا وانتشروا في الشوارع، ساخطين، يتعرضون للظلم، لا يتمكنون من القيام بشيء ما؟ يمضون بسرعة لسرقة بيت ما، وإن هذه الفئة التي ظهرت في المدينة كانت مبعث حركة في المدينة. سابقاً، في المرحلة الإقطاعية ليس بوسعك أن ترى قطة هنا، الآن يسرق الناس بعضهم البعض في الشوارع، يفرغون جيوب بعض، يقول إن هذه مؤشرات ظهور الصناعة وظهور العامل، ولكنه يعبر عن احتجاجه هذا بشكل آخر. مثلما هو الحال مع حركة تحطيم الآلات، حيث عبر عن احتجاجه بذلك الشكل. العامل هو ظاهرة أخرى عند ماركس وأنجلس.

سأوضح لاحقاً من أية زاوية تنظر النزعة التي تلهج باسم العامل بوصفه منقذ المجتمع البشري. سأعود لاحقاً لتناول تلك الرؤية التي تصور العامل على شكل رؤية سكنة شمال المدينة (الاغنياء)

للعامل ومحبتهم للعامل وكيف تبين المحبة البرجوازية للعامل نفسها في حركات الخط الخامس واللهج باسم العامل. أود أن أتحدث في المطاف الأخير عن ما هي مكانة العامل عند ماركس بصورة إثباتية في فلسفته ونظريته؟ سيأتي ذلك في المجلد السادس (لأبحاث منصور حكمت) هذا، لأنه الموضوع ذاته بالضبط والذي قدمته في ندوة السويد قبل 11 عاماً.

اشتراكية المستضعفين،

شيوعية العامل المعاصر للمجتمع الرأسمالي

أتحدث عن فلسفة ماركس، وأقول إن ماركس مادي. يطلقون كلمة مادي على المرء الذي يقول بتقدم العالم المادي على العالم الذاتي، والفكر تابع للواقع والموضوع، ويعكسهما. العالم المادي واقعي. إن كل من يقول هذا فهو مادي. ولكن مادية ماركس هي ليست كذلك في المطاف الأخير. إذ لماركس مأخذ على المادية التي سبقته، وبالأخص الواردة في أطروحاته المتعلقة بفيورباخ، الذي لماديته سمات خاصة: العالم موضوع لا يتغير، وإن العالم الذاتي هو موجود أيضاً ويعكسه.

يقول ماركس إن العالم ليس هكذا. يتحدث عن أن العالم حصيلة الممارسة، وأن العنصر الذي يعكس العالم الموضوعي هو العنصر ذاته أيضاً الذي يغيره. إن القصور التي تراها كانت سابقاً أراضٍ، أتى جمع مع الناس بناها ومضى، يقول إن العالم يتغير. الممارسة عند ماركس هي أساس الواقع الموضوعي. بالنسبة لماركس، يعد تغيير الممارسة جزءاً من الموضوع نفسه. ولهذا فان ماركس لا يقبل أن الذات تعكس الموضوع فقط، يقول وتغيره كذلك، ويدخل عنصر الممارسة. الممارسة عند ماركس ليست ممارسة أشياء، بل ممارسة الإنسان. لقد ألقى المجتمع منذ يومه الأول والنشاط الإنساني من البداية طابعه على العالم الموضوعي. ليس بوسعك أن تعكس شيئاً ليس للمجتمع بصمة للإنسان عليه. العالم الموضوعي موجود في الفضاء والأحياء، ولكن يقول ماركس حين تتحدث عن الموضوع والواقع الموضوعي، عليك أن تأخذ بنظر الاعتبار أن قسماً من هذه الظاهرة هي الممارسة الإنسانية والممارسة الاجتماعية.

كيف يعرّف ماركس المجتمع؟ ينطلق ماركس من المجتمع الذي يبنى على الاقتصاد والعملية الإنتاجية، وبعدها يوضح تقسيم العمل، ويبلغ من تقسيم العمل العلاقات الإنتاجية والطبقات. عند ماركس، المجتمع كان طبقياً دوماً، وإن المجتمع قد تم تعريفه دوماً استناداً إلى الميتابوليزم (الإيض) الاقتصادي والميتابوليزم الطبقي. إن الطبقة هي قسم من نظرة ماركس للمجتمع الذي هو بالنسبة لماركس عالم موضوعي والطبقة جزء من العنصر الفعال للتغيير، وفق ماركس.

حين يعرّف ماركس الرأسمالية يبدأ أولاً من أن آلية هذا المجتمع رأسمالية هي بشكل أوجدت الطبقات القائمة. حين تطالع الرأسمال، وبعد 50-60 صفحة تصل إلى العامل، الإيديولوجيا الإلمانية، بعد 20-30 صفحة تصل العامل، إن أطروحات فيورباخ التي تقرأها، بعد عدة صفحات تصل للعنصر الفعال، وبعدها تصل للعامل. وذلك لأن العامل في العالم الموضوعي المعاصر لماركس، العالم الذي من المقرر أن يغيره ماركس، هو جزء لا يتجزأ من الموضوع وجزء لا يتجزأ من التغيير. العامل عند ماركس ليس صفاً من الناس. العامل هو مكانة خاصة بالنسبة له مرتبط فيها بالإنسان، امرؤ ليس بمالك أدوات إنتاجه بحيث بوسعه أن ينتزع لقمة عيشه من الأرض، ليس مرتبطاً

بالأرض، حرّ في أن يمضي ليرى أين يقدمون له عملاً، ينال أجراً ويعمل. امرؤ حرّ ومجبر على أن يبيع قوة عمله. قبل العامل، إذا ذهب القن أو الفلاح للمدينة، يرسل صاحبه أناساً للإتيان به وإرجاعه، لا يسمح له أن ينفصل عن قطعة الأرض. وذلك لأنه جزء من ممتلكات ذلك الإقطاعي وقسم من ميدان معين.

إن انفصال الإنسان عن الأرض وغياب الحق على قطعة الأرض والخيار في الذهاب لمكان آخر للعمل كان من اكتشاف الرأسمالية. وبالنسبة لماركس، تعد نقطة مثيرة أمر ظهور نوع من الناس لا ينبغي عليهم القول نريد أرضاً، لأن إذا أراد الفلاح في المرحلة الإقطاعية أن يتحرر، سيقول ينبغي أن تكون الأرض لي. ولكن حين يريد هذا العنصر الجديد أن يتحرر، عليه أن يقول: ينبغي أن لا تكون هناك أوضاع بحيث يحتكر جمع ما ملكية وسائل الإنتاج ويكون الآخرون مجبرين على العمل لهم من أجل تدبير معيشتهم وتأمينها، ينبغي تغيير هذه الوضعية.

إن المكانة الموضوعية للعامل تستلزم أن يعود لإجراء تغيير راديكالي وجذري للمجتمع. إذا أراد العامل أن يتحرر، وليس إذا أراد فقط تحسين وضعه، فإن تحرر العامل، الذي هو أمره، يستوجب استئصال تلك العلاقات المحددة، أي إلغاء الملكية البرجوازية. إن هذه هي مكانة العامل عند ماركس! العامل بالنسبة له هو تلك الظاهرة الاجتماعية الذي بوسعه، أي العامل، أن يحرك ذلك الواقع الموضوعي لعالمنا المعاصر صوب الجهة التي يعتقد ماركس أنه يتحقق سبيل تحرر الإنسان من خلالها. هذا هو ما عرّف ماركس به رسالة العامل أيضاً.

ليس بوسع العامل التهرب من هذه الرسالة. في المجتمع الذي تنبأ به ماركس، يقف العامل في مقدمة الميدان، ليس بوصفه ظاهرة يحتاجها المجتمع. لقد تحدثت عن المجتمع الذي تلغى فيه الملكية الخاصة وتصبح معه أدوات الإنتاج تخص الجميع وفي متناول كل من يعيش في ذلك المجتمع. هل يحمل الكسبة وأصحاب المحلات مثل هذه الأهداف معهم؟ هل يحمل الفلاح مثل هذا الهدف؟ هل لأصحاب الأراضي والأشراف مثل هذه الرسالة؟ هل النساء بذاتهن أو أنفسهن مجبرات على تغيير علاقات الملكية من أجل تحررهن؟ (أؤكد على بذاتهن، وإلا من الممكن أن يكن مجبرات بصورة عملية على القيام بهذا العمل). هل النساء بحاجة إلى الغاء العمل المأجور من أجل مساواتهن بالرجال؟ لسن بحاجة لذلك. فمن الممكن أن يفرض عليهن المجتمع أن سبيل الحل هذا، أي الغاء العمل الماجور، هو العمل العملي الوحيد لقضيتهن هذه. هل العبيد بذاتهم بحاجة إلى إلغاء العمل المأجور من أجل تحررهم؟ لا! إن حياة هذه الشريحة الجديدة، هذه الظاهرة التي ينتجها المجتمع الرأسمالي بصورة مليونية، مرهونة بتحرير المجتمع. لا بسبب أن العامل نفسه يتمتع بهذا الحد من التحررية والفكر التحرري بحيث يفكر إن لم أتحرر لا تتحرر البقية؟ دعني أحرر البقية أيضاً!

ليست الماركسية هذا، الماركسية تقول ليس للعامل سبيل حل غير هذا. تتحدث الماركسية عن أنه يكفي أن ينهي العامل العمل المأجور حتى ينهي كل أشكال الاستغلال. ليس الأمر أخلاقياً، يستعمل فرشاة الأسنان أم لا، يعرف أي نوع من الغذاء يأكل أم لا، ضليع بلغات أخرى أم لا، ليس لها تأثير على دور مكانة العامل من وجهة نظر الماركسية. العامل مجبر على أنه: لكي يتحرر فعلاً، ينبغي أن يتحرر الجميع. ولهذا فإن هذه الحركة، وبصورة تلقائية، في مقدمة حركة المجتمع، ونرى عملياً أن الأمر غدا كذلك، نرى عملياً أن الحركة العمالية في كل بلد، وعلى امتداد القرن كله، مقترنة بتحسن أوضاع الفئات الدنيا وكل من فرض عليها الظلم والقسر.

إن هذه الوضعية وهذه المكانة الموضوعية للطبقة العاملة هي جدية وموضوعية ولا مهرب منها بحد حتى ليس بوسع النقابة والاتحاد العمالي أيضاً أن تظهر يمينية. أن أكثر النقابات والاتحادات العمالية يمينية في المجتمع البرجوازي تتمركز في اليسار. حتى إذا كان الاتحاد العمالي قد شكلته مارغريت تاتشر، فبعد ثلاثة أيام، يكون مجبراً على أن يرسل بلاغاً دفاعاً عن الحركة النسوية أو البلد المحروم الفلاني. بسبب من مكانته الموضوعية، فإن العامل مجبر على أن يكون كذلك، وذلك لأنه إذا بقيت صلة استغلال العمل المأجور، فستبقى البقية كذلك معه. لا يمكن أن يكون هناك عمل مأجور، وليس هناك عمل منزلي، لا يمكن لمدة ثلاث سنوات تشتري يومياً كارتاً لتدبير معيشتك، بيد أن نظام التربية قد تم تنظيمه استناداً إلى التحرر، وأن لا يكون فرض الانضباط والقمع جزءاً من التربية والتعليم. وذلك لأن المجتمع قد نظم على أساس تثبيت العمل المأجور وصيانته. في مجتمع مثل هذا، لا يمكن أن يكون هناك عمل مأجور، ولا يوجد فيه جيش وسجون ومحاكم. تستحيل النزعة العنصرية في المجتمع دون وجود العمل المأجور لأن هذه كلها أجزاء تصون بقاء العمل المأجور.

ولهذا، بالنسبة لماركس، العامل ومقدراته يوردان، على الصعيد الفلسفي، الأبحاث النظرية. ليس الأمر كما لو أن ماركس، ومثل حكيم يبحث عن أناس في المجتمع يشفي بهم المجتمع. إن ماركس لم يكن تحررياً أولاً ليجد العامل لاحقاً. لقد واجهت ماركس حقيقة وواقع أن بوسع العامل أن يكون عنصر التحرر في هذا المجتمع. لم يوجد ماركس العامل، بل في نظريته، يظهر العامل فقط بوصفه عامل التحرر. وإن هذا الموقف يختلف مع موقف أصحاب ما يمكن أن نسميه الاشتراكية المخلصة لحال الأهالي، اشتراكية المستضعفين، أو من موقف الدونية، يقومون بالدعاية للاشتراكية.

بالنسبة للماركسية، ليس مهماً أن يكون للعامل أربع ثلاجات وثلاث سيارات أيضاً و"غدا فاسداً"، وفي المساء يتراهن على سباق الخيول. بكل هذا، إن أراد أن يكون حراً رغم كل ممتلكاته أيضاً، عليه أن يلغي العمل المأجور. في الوقت الذي يعد فيه الأمر على العكس، تستلزم اشتراكية المستضعفين مستضعفاً، بيد أن الماركسية لا تحتاج العامل لكي يبقى عاملاً. وبالشكل الذي تتحدث عنه الاشتراكيات الأخرى، حتى حين تستلم السلطة، تتحدث عن حرية الشعب وقمع معادي الشعب.

بالنسبة لماركس لا تكمن مكانة العامل أساساً في حرية هذا، أي الشعب. بالنسبة لذلك النوع من "الثوريين"، العامل حتى في مجتمعهم اللاحق كذلك موجود أيضاً وذلك لأنه إذا لم يكن موجوداً فهم ليسوا ثوريين! إذا لم يبقَ في المجتمع جمع من أناس متشققي الأيدي من المراحل السابقة، بحيث لا يتخذ منهم هذا النوع من الثوريين لوغو (رمزاً، شارة) لهم، ليس بوسعهم أن يروك أنهم اشتراكيون. كما لو أن العامل، وفق رؤيتهم، إنسان ينبغي تحويل جميع ممتلكات المجتمع وسعاداته له والانتقام من الآخرين. إن هذه عقائد دينية برأيي، وهي موجودة في جذور تاريخ الإنسان، وفرضوها للأسف على الاشتراكية كذلك. ليس هناك أي جذر أو أصل ديني في الشيوعية بالنسبة لماركس. إن هذه مكانة العامل بالنسبة لنا.

ولكن دعنا نرى ما هو ليس بمكانة العامل؟ إن هذا الجانب لم أتناوله في موضوعي السابق. لا يُقدس العاملُ في الاشتراكية. في الجدالات التي طرحت في الانشقاقات التي جرت قبل عام أو عام ونصف، إن أحد الممجدين القدماء لموضوعات الشيوعية العمالية، وإن رسائله لدي من حين كنت في طهران، قال إن مواضيع الشيوعية العمالية بالنسبة لنا نحن العمال (علماً هو نفسه ليس بعامل!) ليس فيها جديد، لأن العمال يعرفون كل شيء بسبب عماليتهم، لقد كان هذا أمراً حسناً لـ"المثقفين"!

وفق هذه الرؤية، العامل هو شخص يعرف مسبقاً ماذا قال ماركس، يعرف ما هي إشكالية خروشوف، يعرف ما هي نظرية الاشتراكية العلمية، يعرف فيورباخ، لأنه عامل فإنه يعرف كل هذا! إنه نوع من التقديس للعمال. لأنه أنت عامل، فأنت تعرف، ولا تحتاج إلى أي شيء. أو إن رفيقاً قديماً لنا، أصدر كتاباً في الفترة الأخيرة وذكر فيه "يقول دستوفسكي أي امرئ ليس له إله، ليس له توازن أخلاقي"، طبعا إن هذا لا تسمعه من دستوفسكي فحسب، بل من جميع الدينيين وأعضاء الجمعيات الدينية، إذ يقولون إذا لا تؤمن بإله، فإنك عديم الأخلاق. وبعدها يضيف صديقنا القديم "بيد أني أقول إن لم يكن المرء عاملاً، لا أخلاق له". إذا كنت عاملاً في معمل زمزم أو صناعة السيارات أو أي مكان آخر، وأموالي موجودة على الطاولة، ورأيت أن أحداً ما قد أتى إلى صالة استراحة عمال المعمل ويقول لي أنت تعرف كل شيء، لا تحتاج إلى أي شيء، وإن مكانك مكان الله لدي، فعندها أنا العامل أضع أولاً يدي على أموالي، لأنه كيف وبأية طريقة ينشد مثل هذا الشخص سرقتي! لأن هذا هو سياسي لعوب! ما صلة هذا بالماركسية؟ ليس العامل بحاجة إلى شيء، يكفي أن تذكر اسمه كي يذوب كل شيء! إنه نفس العامل الذي لم يعطوه راتبه في المجتمع، وليس له حول أو قوة، ذلك العامل الذي يقول عليه مثل ذلك الشخص هذا، لم يستلم راتبه منذ ستة أشهر، ولكن في عالمه الصغير (وقصده اليسار-م) تحول إلى إله، تحول إلى علم، إلى المحك والمعيار النهائي للأخلاق. وحين تمحص الجملة اللاحقة لمثل هذا الشخص، تجده عادة ماوياً سابقاً، ويريك صوراً من الثورة الثقافية. في الثورة الثقافية، أتوا بالفلاح الفقير لينتقد عمل الرسامين. فلاح ليس ملماً بعمل الرسامين. إن هذا النوع من الحكم والتقويم، هذا النوع من التعاطف مع الفقراء والمستضعفين هو كذب ورياء. وذلك لأن الحركة العمالية لا تمتلك مثل هذا التصور عن نفسها على أنها تعرف كل شيء. أمسكت بيد الماركسيين وتقول: "لا عليَّ من أين أتيت، تحدث بهذا الكلام الذي نطقت به في الشارع لعمال معملنا أيضاً".

لا يدّعي العامل أنه يعرف كل شيء، بل يبحث عن ردود محدودياته السياسية، يتعقب أنه لا يستطيع أن ينظم نقابة، كيف يرد على مَلّا صغير، في هذا السياق، ثمة مدرسة حوّلت "كاركر كرائي" (التشدق باسم العامل-م) إلى تملق للطبقة العاملة وتحويلها إلى صنف. ليس العامل بصنف! ليس العامل بأمة! ليس العامل عرقاً! لقد قدّست العامل وتملقته. العامل شريحة ذات رسالة تاريخية استناداً إلى مكانته الاجتماعية. برأيي إن التصور الصنفي للعامل، أي امرئ يعطي العامل بيان حقوق الإنسان ويقول إن العمال فقط هم من يمضوا عليه، لا يمكن إلا أن يكون برجوازياً برأيي. بالنسبة لامرئ كان نفسه قبل 25 عاماً عاملاً في إيران، ولا تتمتع هذه الحقيقة الآن لديه بأية أهمية لأنه يعمل في مكان ما، يقول على ورقة كتبها "مثقف" من له الحق أن يوقع عليها؟ أو حتى من يحق له أن يحضر اجتماعه؟ عامل متشقق الأيدي! إنها اتهامات ألحقت بالشيوعية، وإن هؤلاء بالضبط من تناسوا في أحسن الأحوال وأكثرها تفاؤلاً هم أساس تلك الجملة الثانية التي ذكرتها لكم، أي ليس بوسع العامل أن يتحرر دون أن يحرر الجميع.

إن أساس الثورة العمالية هي الإنسانية، وإن أساس تحررية العامل هي الإنسانية، وأساس الماركسية هو تحرر الإنسانية. حين يثور العامل يسعى لأن يغير بالضبط ظاهرة يكون فيها جمع ما عمالاً وجمع آخر لا يعمل، جمع مجبراً على أن يعمل وآخر ليس مجبراً على ذلك. والآن بعد مرور خمسة أعوام على ثورة هذا النوع من المدافعين، فإن التصور للعامل والذي هو مبعث انتقادي يأتي ويقول إن أياديك ليست متشققة. ولهذا لا يحق لك المشاركة في الانتخابات! كانت هذه الرؤية مبعث انتقادنا منذ أمد بعيد.

ما أود قوله هو أن هذا التمثيل العمالي المتخلف هو مؤشر تقدم البرجوازية برأيي. لا يتمثل الأمر بأننا نشهد رؤية بروليتارية متخلفة، بل إن أية رؤية بروليتارية متخلفة تمثل تقدم رؤية برجوازية. إن امرأً يجعل من العامل صنفاً هو امرؤ لا يريد أن يكون العامل طبقة. إن كان من المقرر أن يكون العامل صنفاً، ستديم البرجوازية عملها إلى الأبد لأنه يؤمن كثيراً بأن العامل يشكل نقابة له. وإن أراد امرؤ ما من أجل حريته في مجتمع يتعقب قوة بوسعها أن تقوم بهذه الرسالة فعلاً، ويحدد ويلجم تلك القوة بقضاياها الصنفية، ويخلق شيئاً وهوة ما بين الطبقة العاملة والمجتمع ويبني سوراً صينياً ما بين نضال الطبقة العاملة، فهو برأيي أسوأ أنواع البرجوازية. فيما يخص حَمَلَة هذا التصور المتخلف عن العامل، ماركس يتحدث بشكل صريح جداً بحدٍّ لا أجرؤ على استعمال استعاراته. على أية حال، إن التصور الصنفي للعامل برأيي، وتحويل العامل إلى أمة، إلى أناس ذوي فصيلة دم معينة ليس له صلة بالماركسية. يتحدث ماركس عن البروليتاريا الصناعية، ليست الماركسية تقول: بدلاً من "انتظموا وتنظموا"، "عاش العامل!"، وبهذا تكونون قد اقتربتم خطوة من البروليتاريا!

كان يقرأ أكثر العمال طليعية في مرحلة ماركس أكثر المجلات طليعية، كانوا يقرأون البيان الشيوعي. إذا أردت في تلك المرحلة أن تصدر مجلة فكرية عصرية وطليعية بشكل استثنائي، عليك أن تأخذ بنظر الاعتبار أن تعطيها للحلقات العمالية، وإن معيار نجاحها هو مقبوليتها عند الحلقات العمالية. وإن كانت هذه التصورات المتخلفة وتقديس العامل هي ضعيفة وهامشية جداً، أقول ينبغي أن تكون الشيوعية واعية وذلك لأن مجمل هذه الجدالات تتسلل مرى أخرى في الثورة، الاستراتيجية، مهام الثورة العمالية، تنظيم النضال الطبقي وفي مهام الثورة الاشتراكية. وإن أيّاً من هذه المواضيع المتخلفة نفسها تكفي لإلحاق الهزيمة الاجتماعية بالعامل.

إن العامل الذي ليس على استعداد لرفع راية تحرر المرأة، ليس على استعداد لإعلاء راية الدفاع عن حقوق الأطفال وشعار إلغاء عقوبة الإعدام، لأن هذه الأمور ليست عمالية بحد كافٍ بالنسبة له، لهو من هذا النمط. انظر إلى الأقسام الأخيرة من البيان الشيوعي، سترى أية مطالب طرحت، أو ماذا عمل لينين ورفاقه حين أتوا للسلطة؟ حين استلم لينين السلطة، ألغى كل ادعاءات روسيا القيصرية حول الأرض على البلدان المجاورة.

أوجز وألخص بحثي بصورة مكثفة جداً وأقول:

حركة تحرر الإنسان

للشيوعية العمالية اختلاف اجتماعي مع الشيوعية غير العمالية ألا وهو أن هذه حركة اجتماعية للطبقة، ولها اختلاف نظري مع الشيوعيات الأخرى، وهو أن شيوعيتها هي لتحرر الإنسان، وأن العامل من يقوم بذلك. إن الرؤية الوحيدة التي تتناغم مع الثورة العمالية هي ماركسية تنشد تحرر كل البشرية واستئصال جميع أشكال الاستغلال. لهذا نلاحظ نوعين أو ثلاثة من الشيوعية حولنا. أناس يعتقدون بأن أهدافاً مرحلية وثانوية وبينية للثورة العمالية، أناس لا تمثل الحركة العمالية مركز ثقل احتجاجهم الاجتماعي، على سبيل المثال، أناس تمثل الحركات الإصلاحية التدريجية أساس اشتراكيتهم، أناس يمثل الفلاح أو المتعلم الحضري اساس شيوعيتهم، إنهم أناس انفصلت عنهم شيوعيتنا العمالية.

إن اختلافاتنا هي ليست اختلافات فكرية دينية، بل إن صيغتنا للشيوعية هذه ذات اختلاف، صيغت وعُرِضَت بهذا الشكل، مع صيغ الآخرين للشيوعية، وليس أنها تعرّف دينها بهذا الشكل. إن لم يقر اليسار الجديد في أوربا بشيوعيتنا، فذلك فضلاً عن الجوانب العقائدية والنظرية، لأن أساسه هو الحركة الاجتماعية الطلابية للمتعلمين، بعضهم يريد أن يبعد نفسه عن الكتلة الشرقية كي يجد مكاناً لليسار في البنية الفوقية الديمقراطية البرلمانية للغرب. إن الحركة الشيوعية في الصين هي من أجل تحويل الصين إلى بلد مستقل والتخلص من هيمنة الاستعمار، عاشت! إنه مطلب حسن جداً من أجل تحسين أوضاع ملايين الناس، ولكنه ليس من أجل تحرر الإنسان من أي من أشكال الاستغلال. إنها أكثر تخلفاً عنهم. من الواضح إني أدافع عنها بوجه الإمبريالية، ولكنها ليست حركتنا الاجتماعية. إن اليسار الإيراني الذي أتينا منه، وسأتحدث في حينه عن سماته، وننظر ماذا كانت تنشد هذه الشيوعية من مطالب، كانت حركة أية طبقات، ماذا يريدون أن يعملوا في إيران، وماذا يريد بقاياه أن يقوم بعمل.

إنه موضوع مهم لأنه يحدد استراتيجيتنا في ما يخص التعامل مع بقية التيارات اليسارية الموجودة الآن فعلاً حولنا، ويحدد ما نريد القيام به. إن موضوعتي هي أن هذا اليسار الإيراني هو جزء من الحركة الإصلاحية البرجوازية في إيران، قسم يريد إرساء مجتمع أفضل، أي الاشتراكية البرجوازية المحافظة في إيران ذاتها. إنها، وعبر الاشتراكية، تنشد إرساء مجتمع برجوازي يليق بالحياة، على غرار فرنسا إن أمكن، وإلا فعلى غرار تركيا. بفضل الاشتراكية، تتطور الصناعة، وبفضل الاشتراكية تتحسن الصحة. إن كل هذه هي أعمال جيدة وحسنة، ولكنها تختلف وذات فاصلة عن مطلب قلب المجتمع، إعادة هيكلة المجتمع بصورة جذرية، وهو ذلك المطلب الصريح والواضح الذي يرفعه العمال الألمان. أختتم هنا موضوعي، أتمنى أن يكون لدينا وقت لمواصلة بقية المواضيع.

ملاحظات المترجم:

تمت ترجمة النص عن النص الشفهي للندوة والمنشور في سايت منصور حكمت http:// hekmat.public-archive.net/، ولم تسنح لمنصور حكمت فرصة اعداده للنشر الكتابي. وهذا ماألقي بضلاله على الترجمة الى حد ما سواء شئنا ام ابينا، رغم سعيي الشديد الى تضييق اثر كون الموضوع شفاهي الى اقل حد ممكن. واشكر بهذا الخصوص الرفيق والصديق عمار شريف الذي راجع النص النهائي لهذا القسم.

من جهة اخرى، وبهدف تسهيل قراءة البحث، قمت بتقطيع المقاطع الطويلة في النص ونشرتها بشكل مقاطع اقصر. وان مايعطيني الحق في هذا هو كون النص شفاهي بالاساس.
كل اسماء الابحاث والمقالات التي وردت في ندوة منصور حكمت ودونتها بالحرف المائل تعني انها مترجمة ومنشورة باللغة العربية.

خسرو سایة

الليبرالية الجديدة، من الفكرة الى عولمة الرأسمالية!

مقدمة:

قبل ان نشرع بموضوع مثل هذا، ولكي نطرح بوضوح وبصورة واقعية موضوعة الليبرالية الجديدة في اطارها الواقعي، ربما كان من الافضل تناول عدة موضوعات قبلها. من بينها موضوعات من مثل، اولا: الحديث عن الامبريالية كأعلى مراحل الرأسمالية، وهو ما تجسد في فهم لينين، وذلك لان طيف واسع من التيارات اليسارية التي تتحدث عن الليبرالية الجديدة، يتحدث عنها كشيء مختلف عن الامبريالية وخارجها، سواء بوصفها أعلى مراحل الرأسمالية أو نظام اقتصادي سائد على العالم، ويطرح تصويراً لليبرالية الجديدة على انها تتخذ مكان الرأسمالية والاقتصاد الرأسمالي العالمي في مرحلته العليا.

ثانياً، كان من المفترض ان نتحدث قبلها عن نظرية المراحل الاجتماعية ومرحلة الرأسمالية الرأسمالية عند ماركس، لان الليبرالية الجديدة اتت من مسار تقدم مرحلة الرأسمالية والاقتصاد العالمي، ولاتختلف من حيث المحتوى عن مرحلة الامبريالية واعمالها. اذ يتحدث ماركس بوضوح عن الراسمالية، عن مراحل نهوضها وتشكلها بوصفها علاقة ونظام اقتصادي ذا قوانين خاصة بها، وبعدها يتحدث عن مرحلة ازدهار الراسمال وتناميه واتساعه، وبعدها يتحدث عن مرحلة الركود والازمة. وفي هذا المسار، اضاف لينين موضوعة الامبريالية بوصفها اعلى مراحل تطور

الراسمالية، اي مرحلة نزول وهبوط ودمار الرأسمالية الى مرحلة نظرية المراحل لماركس. ومن الواضح ان في كل هذه المراحل، فان القوانين والاعمال السائدة للراسمالية لها خصوصياتها، وينبغي في اطار كهذا ان نتناول الليبرالية الجديدة. وذلك لان الاخيرة لم تاتي سوى من تيار تقدم الامبريالية بوصفها اعلى مراحل الراسمالية، وانها ليست سوى تيار برجوازي ذو سمة سياسية واقتصادية وايديولوجية و له اعماله الخاصة ويعكس المسارات العالمية الرأسمالية الراهنة في نفسها.
ثالثاً، كان ينبغي ان نتحدث قبل ذلك عن الرأسمالية الرأسمالية في كردستان وخصائصها. حيث يمكن الحديث عن انعكاس واعمال الليبرالية الجديدة ومكانتها الواقعية في اقتصاد كردستان، ان حديثنا سيدور عن الرأسمالية في كردستان الى الحد الذي بلغته الان ، بوصفها رأسمالية تابعة للامبريالية، وخصائص نهوضها وتشكلها، وبعدها مراحل تناميها والعوائق التي تقف امامها. كذلك سيدور حديثنا عن ماهية اليات عمل الرأسمالية الان، وماهي مكانتها في الاقتصاد العالمي والشرق الاوسط. على النقيض من ذلك، لا نستطيع ان ننقل الليبرالية الجديدة بصورة ميكانيكية لكردستان ونتحدث عنها. آمل ان نستطيع ان نعقد ندوات خاصة حول المواضيع التي ذكرتها بعد هذه الندوة. لنمضي الى موضوع الندوة.

بدءاً، ماهي الليبرالية الجديدة؟

يعتقد البعض ان الليبرالية الجديدة هي ايديولوجيا، فيما ينظر البعض الاخر لها بوصفها سياسة، ويعتبرها اخرون مشروعاً اقتصادياً. يحصرها الاغلب في اطار سياسة الخصخصة فقط، ويطلق عليها البعض "الامبريالية الجديدة"، او "الكولونيالية الجديدة". لاتزودنا اي من هذه التعاريف بتعريف صحيح برأيي. الليبرالية الجديدة هي تحرك خاص للطبقة البرجوازية المعروفة سابقاً بالليبرالية، والتي طرأت عليها تغييرات جراء تأثيرات التيار الرأسمالي وانسداد افاق البدائل البرجوازية الاخرى، تغييرات شملت مجمل تلك المباديء والاسس والمصادر الفكرية والسياسية والتصورات الاقتصادية التي كانت تحملها الليبرالية ووضعتها جانباً. واختارت مراجع اخرى تتناسب مع حاجات قيادة اقسام البرجوازية والرأسمالية العالمية، في مرحلة واجهت ازمات وانعدام وضوح وتشوش ونقاط ضعف. وعلى هذا الاساس، الليبرالية الجديدة مسار خاص لتحرك الطبقة البرجوازية الذي يعد الليبرالية اساسا له، وحامل لجذره الفكري والايديولوجي، السياسي والفلسفي المختلف في العالم المعاصر. لتوضيح هذا الامر، من الافضل القاء نظرة على تيار الليبرالية، لنرى مالذي تغير عن الليبرالية الجديدة؟

مالذي تغير بين الليبرالية والليبرالية الجديدة؟

تعود افكار الليبرالية، بوصفها تحرك الطبقة البرجوازية الى القرن الثامن عشر والتاسع عشر، الى مرحلة ظهور الرأسمالية والنضال من اجل كنس الاقطاعية والعوائق التي تحول دون تنامي الاقتصاد الرأسمالي، مرحلة كانت الطبقة البرجوازية حاملة لسمة ثورية. ومن اجل تامين حرية السوق وحرية حركة الرساميل وازالة العوائق السياسية، القانونية، الثقافية والاقتصادية الباقية من الاقطاعية، اقتضى من الطبقة البرجوازية آنئذ احداث تغيير جذري في الافكار، السياسة، الثقافة، الدولة ونظام الحكم، بدرجة بحيث تجر لسوق العمل القوى المستعدة للعمل في المجتمع من الرجال والنساء وحتى الاطفال بوصفه حق.
ان الليبرالية هي ذلك التيار الذي تمكن من احداث ذلك التغيير. فالليبرالية (طبقاً لجون ستيوارت ميل،

المفكر الراسخ والمعروف لليبرالية) حاملة نظرية الحق وحق الفرد، حرية الفرد والحقوق المدنية، حرية العمل والسكن، ابعاد يد الدين عن حياة الفرد وفصل دور الكنيسة عن شؤون الدولة، العلمانية ومساواة المواطنين امام القانون؛ وفي ميدان السياسة، الدولة الديمقراطية والبرلمانية وحق التصويت والترشيح والانتخاب بوصفها اسلوب لتدخل الفرد في امور الدولة. ومن الناحية الاقتصادية رفع الرسوم الكمركية والسلطات المحلية والسياسة الحمائية عن التجارة وتبادل وانتقال البضائع، الغاء الامتيازات المالية للملوك والباشوات والمسؤولين وخلق التوازن والعدالة الاجتماعية... ان جميع هذه الحقوق والمباديء كانت ذا سمة عالمية وشاملة مقارنة بالنظام الاقطاعي والسلطة المطلقة. كان هذا تغييراً ثورياً. وعلى هذا الاساس، فان الليبرالية وافكارها بوصفها تحرك وحركة الطبقة البرجوازية، هي انعكاس لعصر نضال تلك الطبقة من اجل ازالة السلطة الاقطاعية وترسيخ النظام الراسمالي، ومن هنا استمدت ضرورتها.

بيد ان الليبرالية الجديدة بالدرجة الاولى، هي تتمة وامتداد لمرحلة وعصر يختلفان كلياً عن الرأسمالية والطبقة البرجوازية على صعيد عالمي، اي مرحلة تنامي الازمة وانسداد الافاق الاقتصادية والسياسية للرأسمالية. ان اكثر السمات اساسية لهذا التيار البرجوازي في العالم المعاصر هي التخلي عن جميع المباديء والقيم والحقوق التي رسختها الطبقة البرجوازية والليبراليون في المجتمع والتاكيد على بقاء مفهوم حرية السوق وحرية تشغيل الرأسمال والاضطهاد عديم الرحمة لقوة العمل فوق اي عائق. الى حد توجب فيه ان يصب اي عمل سياسي، اقتصادي، قانوني وثقافي في مصلحة ونيل الربح الرأسمالي.

ان موضوعة الحرية التي هي مفهوم مركزي لدى الليبراليين الجدد لا تتعدى معنى ضمان وتأمين حرية الرساميل والشركات، حرية السوق وحركة البضائع كي يكدس الرأسماليون الارباح بحرية. وعليه، يُقيّم المصلحة ونزوع الربحية على انه اب لتقدم المجتمع وتطوره وعنصر تحقيق العدالة والتوازن مابين الفرد والمجتمع. حتى من اجل ان يبلغ الرأسمال هدفه ويكون حراً، ينبغي عدم الانصات الى انهيار الانسان ودماره، والى ظلم المرأة، او سوق الاطفال للعمل، او اهمال كبار السن، او الغلاء والبطالة، الحرب والمجاعة والدمار في المجتمعات، كل هذه ليست مهمة، ان ما هو مهم هو ان يتمكن الرأسمالي والغني واصحاب الشركات من نيل ارباحهم. لايتمتع تيار مثل هذا، الذي هو الليبرالية، باي سمة ثورية مقارنة بماضيه، ليس هذا وحسب، بل هو رجعي ومعادي للانسان من رأسه حتى اخمص قدميه، تيار ظالم وعنيف ومضطهِد، يفتقد للمسؤولية وطفيلي و وحشي، وعنصري الى ابعد الحدود. اذ أرسيت الليبرالية الجديدة التي هي تيار برجوازي بعد انقضاء مرحلة طويلة من النمو وتراكم الرأسمال وبروز الازمات المتعاقبة، وسيّد نفسه على العالم المعاصر. ولكن لنرى كيف تشكل هذا التيار وماهي الموجات التي عبرها؟

الموجة الاولى:

الليبرالية الجديدة من الفكرة الى السلطة:

تعود الافكار الاولية لليبرالية الجديدة الى ثلاثينيات القرن المنصرم ومابعدها؛ اذ عرّفت عن نفسها في اطار التأكيد على الحرية والتحرر التام للرأسمال ومناهضة تدخل الدولة في شؤون الاقتصاد والتجارة. بعدها في عام 1947، اجتمع جمع من الاقتصاديين والفلاسفة والمفكرين السياسيين والاجتماعيين في احد مدن سويسرا، وشكلوا جمعية اعلنوا فيها "بيان الحرية"، وجوهره هو

المحتوى ذاته الذي اشرنا اليه، اي تعريف حرية الفرد وتطور المجتمع وبلوغ العدالة الاجتماعية من زاوية حرية الراسمال والسوق.

من بين المشاركين في هذه الجمعية، كانت هناك شخصيتين معروفتين: احدهما ميلتون فريدمان، اقتصادي ومؤسس مدرسة شيكاغو، والاخر كارل بوبره، احد مؤسسي فلسفة مابعد الحداثة. وبهذا، وضعت الليبرالية الجديدة اقدامها في المرحلة الاولى والتي هي تمحيص افكارها ومعتقداتها، ولكن من الواضح ان معتقدات الليبرالية الجديدة لم تقف عند بيانها. وعلى امتداد عدة عقود، توجهت لميادين الاقتصاد، السياسة، الفلسفة، علم الاجتماع، الدولة و..الخ، ورسخت افكارها في كل من هذه الميادين في اطار نظام سياسي وايديولوجي، الى سبعينيات القرن المنصرم. اذ مع وصول مارغريت تاتشر في بريطانيا ورونالد ريغان في امريكا للسلطة، دخلت الليبرالية الجديدة مرحلة اخرى، وظهرت في موجة ثانية، اذ تحققت افكارها عملياً ويمسك ممثلوها بالسلطة. وبهذه الطريقة، استلمت الليبرالية الجديدة زمام الامور بوصفها بديلاً سياسياً واقتصادياً وحكومياً عملياً وتيار اداري للدفع بالنظام الراسمالي وناغمت نفسها معه، ووجهت النظام الرأسمالي حسب افكارها السياسية والاقتصادية والفلسفية.

ومن الافضل هنا ان نقف قليلاً عند المصادر والميادين الفكرية والسياسية لهذا التيار كي نوضح اختلافاته مع الليبرالية، ولكي نعرف ماهي التغييرات التي حدثت.

1/ من الناحية السياسية:

اضعاف دور الدولة (1) وازاحة دورها في اقتصاد البلد، ، بشكل تلعب فيه دورها بوصفها لجنة عاملة للرأسماليين واصحاب الشركات والمشاريع الاقتصادية، وان تؤمن جملة القرارات والقوانين التي تطرحها مستوى عال من الحرية امام حركة الرأسمال والسوق. حتى على الصعيد العالمي، تظهر بوصفها سمسار لعقد الاتفاقات والبروتوكولات الاقتصادية والتجارية مع السوق العالمي. ان تحطيم الدولة المركزية واللجوء الى اللامركزية ، وكذلك فدرلة الدولة على اسس قومية ودينية، طائفية واثنية، وحتى القبول بسلطة مليشياتية وعائلية وجماعات مسلحة وقوى الكونترا، بوصفها مؤسسة للحكم والدولة، هو قرار عادي بشرط ان يكون هذا النوع من السلطة حامي لحرية الرأسمال وفي خدمة السوق والتجارة والشركات ولايخلق عوائق امامهم.

ان الديمقراطية هي مفهوم جوهري في الليبرالية، بيد ان الليبراليين الجدد لا يبقون لها اي محتوى اساساً، ويفرغوها من اي شكل من اشكال الحقوق، ويتم تدمير حق التصويت الذي ينظر له بوصفه احد معايير واركان الديمقراطية واستناداً الى اساس حق المواطن المتساوي ويربط بهويات قومية ودينية واثنية و"كوتا" (2) وتتحول الى "ديمقراطية اجناس"، ومن جهة اخرى يحل "التوافق السياسي" للممثلين السياسيين للجماعات والعصابات القومية والدينية والاثنية المشاركة في اللعبة الديمقراطية، والتمسك بها بوصفها اساسا للقرار وادارة الديمقراطية ونتيجة عملية التصويت والانتخاب، ويعني هذا اتفاق مجموعة شركات تجارية ورأسماليين تجمعوا في تلك الاحزاب المسيطرة على السوق باكمله.
بموازاة ذلك، فان نظرية التطويق و"الفوضى الخلاقة" التي طرحتها كوندليزا رايس وكولن باول والتي اكتسبت مفهوم "تغيير النظام" في عصر بوش، تحولتا ايضاً الى سبيل لتصفية الحساب مع

الخلافات الداخلية للدول البرجوازية في العالم لاجراء تغيير في تلك المجتمعات على السواء، التي حكوماتها تتعارض مع سياسة امريكا الخارجية، وان هذا الاسلوب يتناقض تماماً مع التقليد الذي يسير عليه الليبراليون(3).

2/ من الناحية الفلسفية:

ان مابعد الحداثة والتعددية الثقافية هما اتجاهان بيد الليبراليين الجدد للوقوف بوجه اي هوية وحقيقة انسانية وطبقية، لتوجيه ضربة لكل سمة عالمية انسانوية وداعية للحقوق. ان الدوس على الحقوق العالمية للانسان واعلان افول الافكار العالمية والتمسك بتلك الفكرة التي تعد "الفكر الشمولي" منبع الديكتاتورية، والعدمية ورفض الحقيقة على اي صعيد كان، الى التخلي عن الثقافة العصرية والمدنية واتباع "النسبية الثقافية"، وما تنطوي عليها من احترام الثقافات المحلية المتخلفة، الثقافة الاسلامية والقومية والفئوية، ومن جهة اخرى توجيه الحراب للعمل الجماعي والروحية المشتركة والمصير المشترك للانسان بوصفه "نوع مختلف" والتاكيد على الفرد والفردية مثل "رامبو البطل" الذي يقف فوق المجتمع والطبقات ويحسم اعمال الخير والشر. جر "منظمات المجتمع المدني" للسمسرة مابين الدولة وصاحب المطلب، هو بالضبط من اجل توجيه ضربة وتدمير العمل الجماعي للاتحادات والمنظمات الراديكالية الجماهيرية. ان التعددية الثقافية التي، من جهة، تهين وتحقر الانسان اللاجيء وتفصله عن مدنية المجتمع وتبقيه على ثقافته وعاداته القومية والدينية، ومن جهة اخرى، تغذي العنصرية والفاشية ضد "الاجانب"، تعصف باساس الاتحاد والمصير المشترك لمجتمع متمدن وتجعل من انعدام السكينة والطمانينة الاجتماعية امر مستمراً.

3/ من الناحية الاقتصادية:

ذكرنا سابقاً ان حرية الرأسمال والسوق الحرة واضعاف دور الدولة في الاقتصاد والسوق هي مبادئ أساسية رسمت الليبرالية الجديدة على ضوئها سياستها الاقتصادية. ولكن لتفصيل هذا المبدا اكثر، من الافضل ذكر بعض خطوط العقيدة الاقتصادية لملتون فردمان. يتحدث الاخير عن ان" ليس السوق سبب اندلاع الازمة الاقتصادية، بل ان الدولة هي من تقف عائق امام حرية السوق والرساميل، ومن هناك تخلق الازمة. نحن لسنا بحاجة الى دولة قوية تعطي اوامرها الى كل فرد وتتدخل في المسار الاقتصادي للافراد، بل اننا نحتاج الى الدولة فقط الى الحد الذي ترفع العوائق فيه امام حرية الرأسمال المنفرد و التحرك الخاص للملكية الخاصة، ولاتسمح لاي عامل ان يقف عائقاً امام حريتهم. اذن ان كل رأسمال حر، وله الية خاصة للتعامل مع السوق. "ان عرض الراسمال في السوق يخلق الطلب، ويخلق الاقتصاد التشغيل والاستخدام التام للقوة المستعدة للعمل، مما يتبع ذلك الارتقاء بشعور ووعي الفرد وبلوغه حاجاته. وبهذه الطريقة، فان طرح الرأسمال وتامين حركته الحرة، يرتقي باقتصاد البلد ويخلق فرص عمل كذلك. وبالتالي، وحسب درجة تحرك الفرد للسوق، سواء من خلال العمل او توظيف راسماله، فانه سيتمتع بالامكانيات المادية للمجتمع وفقاً لذلك. وفي عملية مثل هذه، يرسى فيها التوازن مابين الافراد وتقسيم العائدات، يتم تأمين فرصة العمل، وبالتالي، توفر العدالة الاجتماعية نفسها بصورة تلقائية وترسخ مساواة الافراد امام القانون. ان التمييز والفصل ما بين الافراد يحدث فقط اثناء عدم فسح المجال لحرية السوق والرأسمال والملكية الخاصة للافراد.
لقد تحدثنا عن مجمل هذه الجوانب باختصار، وهي تبين لنا ان الليبرالية الجديدة هي حركة برجوازية معادية للانسان وللعامل ورجعية وخالية من اي محتوى ثوري من رأسها لاخمص قدميها. انها حركة

نتاج مرحلة الازمة الرأسمالية واشتداد التناقص مابين الاقسام المختلفة للرأسمال والطبقة البرجوازية بهدف اعادة ترتيب الاقتصاد الراسمالي العالمي، بشكل يوفر فيه وضعية مناسبة لجمع ربح "استثنائي" امام الرأسماليين والشركات. ولكن لنعرف ماهي ارضية وصول الليبرالية الجديدة للسلطة وكيف مضت صوب عولمة الرأسمالية ؟

ارضية وصول الليبرالية الجديدة للسلطة:

ذكرنا سابقاً انه في رحم الازمة الاقتصادية في السبعينات، برزت مارغريت تاتشر في بريطانيا ورونالد ريغان في امريكا بوصفهما نموذجين من نظام سلطة الليبرالية الجديدة، بعدها تعممت طريقتهما الى بقية بلدان العالم. ولكن لنرى ماهي ارضية صياغة وتشكل هذين النموذجين؟

بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى والثانية، جوبهت الرأسمالية والطبقة البرجوازية في اوربا عموماً والليبراليين على وجه الخصوص بهذا السؤال: هل يمكننا ارساء عالم رأسمالي دون ازمات وحروب؟ اذا كان الامر كذلك، فكيف؟ وعبر أي نموذج يمكن تنظيم المجتمعات على اساس رأسمالية متنامية دون ازمات وحروب؟

ان نموذج "دولة الرفاه"، الذي طرحه الليبراليون على نمط الاشتراكية الديمقراطية، كان بديل ورد الطبقة البرجوازية في اوربا على هذا السؤال. انه بديل استند الى ارضية تقسيم العالم ما بين الدول الامبريالية، وكذلك طرد جزء كبير من المونوبولات وفشل الكارتلات الاقتصادية، وبالتالي، تركيز الرأسمال على صعيد اعلى، بيد الدول الامبريالية المنتصرة في الحرب، في الوقت ذاته وجود قوى واسعة للعمل، وتنامي القدرات التكنولوجية المعاصرة، من بينها المنتجات الاوتوماتيكية، الكومبيوتر واكتشاف الطاقة الذرية (المسماة بالثورة التكنولوجيا الثالثة). ان مجمل تلك الانجازات قد تحققت بعد حربين عالميتين، ووفرت امكانية لظهور وبروز نموذج "دولة الرفاه"، نموذج يستند الى افكار "كينز" في الاقتصاد والسياسة والدولة. وعلى خلاف افكار فردمان ومدرسة شيكاغو اللذان ينطلقان من مفهوم "عرض الرأسمال" لتنظيم الاقتصاد والسوق، تنطلق افكار كينز من مفهوم "الطلب" صوب دور الدولة في ميادين الاقتصاد والتجارة. اذ يعتقد كينز ان الطلب ورغبة المواطن هما من يطرحا الرأسمال وتحرك السلع، وكلما قام الرأسمال والسوق بتأمين هذا الطلب والرغبات والحاجات، يتطور اقتصاد البلد وينمو، وبنسبة كبيرة ايضا يوفر فرص عمل و "مجتمع توظيف تام" امام القوى المستعدة للعمل، ولايبقي على بطالة وفقر. من جهة اخرى، ان "الدولة المسؤولة" هي دولة مسؤولة، وعليها ان تتدخل في الاعمال الاقتصادية والسوق، ولاتضع اي محدوديات امام انتاج وتجارة السلع، ولا تسمح للرأسماليين ان يتحكموا بالانتاج والتجارة وفق اهوائهم، بل على الدولة ان تنهض ببرمجة انتاج واستهلاك السلع والخدمات والهندسة الكمية والنوعية بشكل يقتضيه طلب الناس وحاجاتهم ورغبتهم. وعبر هذا السبيل، تؤمن الدولة عبر الضمانات الاجتماعية والخدمية العامة وتامين درجة من الرفاه الاجتماعي التوازن الطبقي وترسخ المعطى الاجتماعي مابين الافراد.

بموازاة ذلك، خلقت الاتفاقات مابين القوى والاقطاب الامبريالية حول الصراعات العالمية والاقليمية واتفاقها حول الابتعاد عن اللجوء للحروب والصراعات، هدوءاً نسبياً في العالم. ان هذه الافكار وذلك الوضع الهاديء الذي امتد لمايقارب 20 عام، واللذان وفرا الارضية لدولة الرفاه، بلغ بالمفكرين والسياسيين الليبراليين قناعة بامكانية ارساء رأسمالية دون ازمات، وتحدثوا عن افكار ماركس حول

الرأسمالية وازماتها على انها لاتتعدى خيالات ويوتوبيا فيلسوف. وبهذه الطريقة، وعبر تدخل الدولة في الاقتصاد والسوق، استطاعت "دولة الرفاه" عملياً ولفترة طويلة من الهدوء والتوازن بين الدول الامبريالية، وفي الوقت ذاته، الازدهار والنمو الاقتصادي امام الرساميل والرد على حاجات السوق والرأسمالية العالمية، ومن هناك، ان تجلب انتباه الدول الامبريالية الاوربية وحتى امريكا بوصفها، اي دولة الرفاه، "نموذجاً مقبولاً" وتقره الدول المذكورة. ولكن بروز الازمة الاقتصادية للرأسمالية العالمية في اوائل سبعينات القرن العشرين، رمى اقتصاد دولة الرفاه في ركود وانسداد افاق لايمكن تحاشيهما، ومن جهة اخرى، فان تاثيراته على الطبقة البرجوازية والهيئة الحاكمة في بلدان اوربا وامريكا قد امتدت لازمة سياسية، وفرت الامكانية لوصول مارغريت تاتشر في بريطانيا ورونالد ريغان في امريكا للسلطة. وان هذا فتح الابواب امام الليبرالية الجديدة لان تنتقل من مرحلة الافكار والعقائد الى مرحلة السلطة وارساء نموذج سياسي واقتصادي وثقافي برجوازي يسود على المجتمع باسم الليبرالية الجديدة، ومن هناك تدخل مرحلة جديدة.

الموجة الثانية:

سجل اعمال الليبرالية الجديدة في مرحلة سلطتها:

ان سجل الاعمال السياسي والاقتصادي لحكومة تاتشر استهل بالهجمة على دولة الرفاه واسترداد مكاسب الجماهير والغاء الضمانات الاجتماعية والخدمات العامة، واتخذ تدريجياً سياسة التقشف الاقتصادي ورمي اثار الازمة الاقتصادية للرأسمالية على كاهل الطبقة العاملة والمواطنين. الهجمة على النقابات والمنظمات العمالية وتضييق الحريات ودورها في عقود العمل والصلات ما بين اصحاب العمل والعمال، وكذلك زيادة ساعات العمل، تخفيض الاجور الى مديات هابطة جدا عن المستوى الحقيقي لمعيشة الطبقة العاملة، رفع سن التقاعد و... تنصل الدولة عن مسؤوليتها تجاه حياة ومعيشة وامان العمل وخصخصة الامور الخدمية ومشاريع الدولة، وكذلك اغلاق المعامل الصغيرة وتقليص اقسام الدولة والغاء قسم من مؤسسات الدولة، ونتيجة لذلك، الشروع بسياسة البطالة. كانت هذه هي الخطوط الاساسية للبرنامج الحكومي الليبرالي الجديد لتاتشر التي كانت قد امسكت تواً بالسلطة.

ان هذا السجل وهذا البرنامج الليبرالي الجديد لتاتشر قد اتخذته حكومة ريغان بشكله الامريكي دون شك. بيد ان حكومة ريغان شرعت بالحملة على اي نفحة لـ"دولة الرفاه" التي كانت تحت تاثير ونفوذ الاشتراكية الديمقراطية في اوربا، واية معالم لها في امريكا. بهدف نيل المكانة الامريكية المتزعمة، والتي شملت اوربا منذ البداية، وبعدها على صعيد العالم اجمع. كانت هذه النقطة المركزية التي حولت معها الليبرالية الجديدة الامريكية الى حلم واستراتيجية عالميتين ووضعتها امام انظار مجمل تيارات الطبقة البرجوازية ودولها. حلم واستراتيجية عولمة الرأسمالية بشكل يؤمن لها قيادة وهيمنة امريكا على العالم. اذا كانت الليبرالية الجديدة لتاتشر تهدف الى تحرير الرأسمالية وخلاصها من الازمة الاقتصادية في بريطانيا قد اتخذت طابع محلي واحادي البلد، فان الليبرالية الجديدة الامريكية قد مدت اياديها ومن البداية بصورة عالمية، وكانت تتعقب ان تكون لها اليد الطولى وتحقق هيمنتها على العالم. بانهيار الكتلة الشرقية وانتهاء عالم الثنائية القطبية، اتخذ حلم واستراتيجية الليبرالية الجديدة لامريكا بعد عالمي وجرها لوضع جديد، نتحدث عنه لاحقاً.

ان الليبرالية الجديدة الامريكية التي على يد ريغان، وعبر الاستفادة من وضعية الازمة الاقتصادية التي رسفت بها الدول الاوربية، وفي الوقت ذاته، عبر سياسة "منح القروض" والسيطرة على جملة من المؤسسات الدولية التي كانت مستعدة مقدماً من قبيل صندوق النقد الدولي، منظمة العمل الدولية، الامم المتحدة، البنك الدولي، منظمة التجارة العالمية و... . كذلك، لم تضع البلدان الاوربية الواحدة تلو الاخرى تحت مظلتها وهيمنتها وثبتت الليبرالية الجديدة بوصفها نظام اقتصادي وسياسي وادارة الامور فحسب، بل وفرضت على امريكا اللاتينية واسيا وافريقيا مطاليب وشروط يستلزمها برنامج عمل، بل والاعمال السياسية والاقتصادية لليبرالية الجديدة لامريكا.

خلقت هذه اوضاع جديدة على صعيد هذه البلدان. في البداية، طرأت على شيلي الامريكية اللاتينية في عصر ريغان تغيير سياسي واقتصادي وحكومي بحيث تم اخراجها من نطاق نفوذ روسيا. بعدها، في بلدان مثل البرازيل، اسرائيل وسنغافورة قد تم سحبها لتعمل تحت افق الليبرالية الجديدة.
لكن هذا لا يجعلنا نغفل ان اعمال وسياسات الليبرالية الجديدة الامريكية قد جرت في اوضاع كانت فيه الرأسمالية في بلدان "العالم الثالث" (وتحديداً في المرحلة ما بين بداية الستينات واواسط السبعينات القرن المنصرم) قد تخطت المرحلة لاولى لتأسيسها، وقد شقت كل منها البنية التحتية الاقتصادية وشبكة النقل والبنية التحتية لها وفق حاجات الرأسمالية وكذلك تقسيم عمل العالم الرأسمالي بين الدول الامبريالية/ المتروبولية والبلدان التابعة للامبريالية. حتى ان تقسيم مناطق نفوذ الرأسمالية بين الكتلة الشرقية والغربية كان قد بلغ غايته. كانت فيه نماذج رأسمالية الدولة ورأسمالية السوق الحر بوصفهما نموذجين مختلفين وحتى معاديان لبعض حسما الملامح والمحتوى الاقتصادي والسياسي والايديولوجي لتلك البلدان. وفي وضعية مثل هذه، لم يستطيع ريغان والليبرالية الجديدة لامريكا ومن البداية من اجراء التغيير الذي رسخته في بلدان اوربا بالقدر نفسه على صعيد "العالم الثالث"، وذلك لان عالم القطبية الثنائية ووجود النفوذ السوفيتي بوصفه كتلة امبريالية يقفان على النقيض تماما من البرنامج والاجندات العالمية لليبرالية الجديدة. كان هذا الوجود والنفوذ سبب رئيسي وعائق امام مثل هذا التغيير. وبهذه الطريقة، وابان الحرب الباردة وعالم الثنائية القطبية، بقيت الليبرالية الجديدة لسنوات في حالة انتظار كتيار تدريجي (او يقوم باعماله بشكل تدريجي) امام تقدم وتوحيد العالم الرأسمالي وفق اعمال وبرنامجه الليبرالية الجديدة.
في اواخر الثمانينات ومع انهيار الكتلة الشرقية، انفتح باب جديد امام الليبرالية الجديدة وافكارها، وهو اعادة ترتيب العالم والرأسمالية العالمية.

الموجة الثالثة:

الليبرالية الجديدة وعولمة الرأسمالية:

ادى سقوط جدار برلين وخروج روسيا السوفيتية، ككتلة امبريالية، من الميدان الى فتح الابواب امام سوق واسع ومنطقة مهمة امام نفوذ الرأسمالية الامريكية والاوربية. ووضع وجود الكتلة الغربية ذاتها وضرورة ومبررات بقائها تحت طائلة السؤال. في وضع مثل هذا، دفعت امريكا والليبراليون الجدد مشروع اعادة صياغة العالم وعولمة الرأسمالية، بشكل بحيث يؤمن اليد الطولى لامريكا على العالم، ودفعها، مرة اخرى، وارتباطا بمشروعها، الى اعادة تعريف الاقتصاد والسياسة والعلاقات ما بينهما وكذلك مستلزمات وهيئات ادارة العالم من جديد. ان مشروع النظام العالمي الجديد الذي اتخذه في البداية كل من بوش الاب والابن، يحمل الحلم والاستراتيجة ذاتها التي كان يسعى لها ريغان اول

مرة.
ان النظام العالمي الجديد يعني تأمين هيمنة امريكا على الصعيدين السياسي والعسكري وسيطرتها على العالم، ومن الناحية الاقتصادية، صياغة العالم الرأسمالي بشكل بحيث تكون الرساميل، الكارتيلات والشركات الامريكية محوراً فيه. ان ذكرناها بصورة عامة وموجزة، فان الخطوط الاساسية للنظام العالمي الجديد تتجسد بالنقاط التالية:

اولاً، اللجوء الى الحرب والحصار الاقتصادي في اطار وبهدف فرض هيمنة امريكا وقيادتها للعالم، وفي الوقت ذاته، تركيع الدول المخالفة لامريكا على صعيد اوربا والعالم والابقاء على القوى الدولية في ظل التوازن والنظام السياسي الدولي احادي القطب الذي رسمت الليبرالية الجديدة لامريكا خارطته وخطته. اي بعبارة اخرى، اللجوء الى سياسة الحصار الاقتصادي لتركيع تلك الدول التي لا تتماشى سياساتها مع امريكا، وكذلك اللجوء للحرب بوصفها عاملاً لتثبيت التوازنات العالمية والانظمة الامنية (سواء بمعنى الامن العالمي او على الصعيد الامني للمنطقة) كي يوفر اجواء هادئة لحرية الرساميل والتجارة العالمية بالشكل الذي تقتضيه اليد الطولى لامريكا. اذ ان حروب امريكا في العراق، افغانستان، ومرة اخرى في العراق، قد جرت بهدف اعادة تنظيم عالم ما بعد سقوط الكتلة الشرقية باتجاه هذا المسار.

ثانياً، ديمقرطة العالم وفق التعريف الذي لدى الليبرالية الجديدة لامريكا (بالشكل الذي ذكرناه فيما سبق). السعي لتغيير "الدول الديكتاتورية"، سواء اكانت منها تلك التي تدور في مدار الكتلة المسماة بالشيوعية الروسية على صعيد اوربا (وروسيا من ضمنها دون شك) او تلك التي في اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية، بوصفها مناطق نفوذ تلك الكتلة وبقاياها، الى "دول ديمقراطية". ظهور وبروز "الثورات البرتقالية" في بلدان اوربا الشرقية، منها بلغاريا، رومانيا، اوكرانيا و... كذلك حل وتقسيم جيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا و... وتغييرها الى دول ديمقراطية بدعم من امريكا واوربا هي نماذج لسياسة دمقرطة العالم. ان الاطاحة بنظام صدام وديمقرطة دولة العراق نموذج اخر بهذا الصدد، اذ كلنا شهود على نتائج وعواقب هذا الامر واي مستنقع ومتاهة رمي به المجتمع.

ثالثاً: من الناحة الايديولوجية، اعلان انتهاء الشيوعية واي افكار ومعتقدات عالمية وكونية وانسانية، ومن ثم، الهجمة والحملة على اية افكار ومباديء اشتراكية ويسارية وراديكالية تستند الى موضوعة الطبقات والصراع الطبقي في السياسة.

رابعا: ترسيخ اقتصاد السوق بوصفه النموذج الوحيد المعتبر على المنظومة والاعمال الاقتصادية والتجارية. بشكل بحيث يسير كل بلد في سوقه المحلي وفق هذه التوجهات الاساسية:

1/ تقليص يد الدولة. ليس هذا بمعنى تقصير ايادي الدولة من التدخل او ان لا تكون عائقاً امام العمليات الاقتصادية والتجارية، بل تحرير أياديها من الامساك بالمشاريع الاقتصادية والتجارية واحالتها الى الشركات الخاصة. وبهذه الطريقة، السعي لخصخصة مجمل المشاريع الاقتصادية والتجارية التي كانت بيد الدولة من قبل والمعروفة باسم القطاع الخاص.
2/ تقليص تركيبة وهيكلة الدولة وتنظيمها بهيئة دولة غير مسؤولة، وان هذا يعني تخفيض انفاق الدولة و....، وتعتبر الدولة نفسها غير مسؤولة عن تامين الخدمات العامة (من مثل الماء، الكهرباء، النقل، الصحة، التعليم و...) والغاء ذلك القسم من أجر العمال الذي يمنح للمواطنين على شكل خدمات

وضمانات اجتماعية.

3/ تبني سياسة التقشف الاقتصادي بوصفها نقطة اساسية في خطة وبرنامج عمل الدولة، ومن هنا رهن الدولة بقرارات المؤسسات العالمية وسياساتها، والتقيد والتبعية لها، من بينها قرارات صندوق النقد الدولي، البنك الدولي، منظمة التجارة العالمية، منظمة العمل الدولية والامم المتحدة.
4/ الهجمة على مكتسبات الطبقة العاملة، الغاء كل تلك الاقسام التي تمنح للعامل على هيئة ضمانات وخدمات. وكذلك الهجوم على حرية التنظيم والاضراب العمالي والغاء الحقوق النقابية للعمال. وان نتيجة هذا هو تخفيض القيمة الحقيقية لمستوى الاجور ومعيشة العمال وتبخيسها.

5/ الغاء السياسة الحمائية والسيطرة على السلع الاستهلاكية واتخاذ سياسة "الباب المفتوح" بوجهها، بحد بحيث يتم تأمين السلع الاستهلاكية الضرورية للحياة اليومية للعمال والمواطنين بسعر رخيص وبصرف النظر عن النوعية.

6/ التهرب من نظام العقود، العمل المستمر والثابت، واتخاذ نهج "صفر العقود " و"العمل غير الثابت"، بحيث تصبح المنافسة بين العمال العاملين والعاطلين للحصول على العمل حدا يبلغ فيه العمل مستوى يرضخ فيه كلا القسمين من العمال لمطاليب رأسماليي القطاع الخاص. ومن هنا، الحفاظ على الابقاء المتواصل على المعدلات المتنامية لنسبة البطالة.

...../7
ومثلما بينت احداث العالم في بداية التسعينات من القرن المنصرم الى الان، ورغم ان الليبرالية الجديدة لامريكا رمت البشرية في مستنقع انعدام الامان، الحرب والدمار والارهاب، ورغم جعلها الفقر والتشرد يعم العالم والسيناريو المظلم نصيب المجتمعات، ولكنها عاجزة عن تنظيم العالم وفقاً لـ"النظام العالمي الجديد" وان تجعل من المكانة القيادية لامريكا ويدها الطولى على العالم محور تنظيم قوى الطبقة البرجوازية في العالم. وبالاخص صعود تيار الاسلام السياسي والارهاب بوصفه تيار عالمي في اجواء ما بعد انهيار الكتلة الشرقية، وكذلك اندلاع الازمة الاقتصادية العالمية عام 2008، ثورات العالم العربي، الحرب في سوريا وظهور اقطاب امبريالية جديدة (من بينها: روسيا، الصين والاتحاد الاوربي)، وكذلك اندلاع الحروب الاقليمية في الشرق الاوسط وليبيا واليمن والصومال و... دور الحكومات الامبريالية والقوى الاقليمية فيها... ان هذه هي مجمل اهداف واستراتيجية الليبرالية الجديدة بالشكل الذي صوره مشروع "النظام العالمي الجديد"، والتي واجهت الاخفاق. وعليه، فان عملية عولمة الرأسمالية المعاصرة في الوقت الراهن بقيت مفتوحة، تغط في غموض وضبابية وعديمة البديل، منتظرة نتائج الحرب في الشرق الاوسط والصلات مابين القوى الامبريالية واتفاقهم على تقسيم العالم فيما بينهم.

*****

وكاستنتاج عام من البحث الذي قدمناه لحد الان، ينبغي القول: ان الليبرالية الجديدة بوصفها حركة للبرجوازية المعاصرة، بدءاً من افكار الى نظام ادارة المجتمع الرأسمالي، وبالاضافة الى كونها ردا على الازمات الاقتصادية والسياسية من زاوية الرأسمال والرأسمالية، نظمت في الوقت ذاته تغييراً كبيراً في العالم صوب "اللبرلة الجديدة" للعالم. وتحديداً، استطاعت تغيير الصلات والتوازنات ما بين الكتل والدول الامبريالية من جهة، وفتحت امامهم ابواب مرحلة جديدة، ومن جهة اخرى تمكنت من

تغيير صلات وتوازنات تلك الدول والمونوبولات مع مناطق النفوذ والدول التابعة للامبريالية، وتجرها لمستوى تتطلبه مرحلة جديدة من التطور الاقتصادي والسوق الرأسمالية العالمية. وعلى اساس هذه الاستراتيجية، تغيير الصلات مابين العمل والرأسمال سواء على صعيد السوق الداخلية او على صعيد عالمي لصالح الطبقة البرجوازية، ومن هنا تدفع السياسة والحكومة الطبقية للرأسماليين بوجه مجمل الطبقة العاملة العالمية والجماهير الكادحة. ان هذا مقصدنا من عولمة الرأسمالية التي اتخذها تيار الليبرالية الجديدة. اي، من حيث المحتوى، ليس بشيء يختلف او اكثر من التصورات والافكار التي طرحها لينين فيما يخص الامبريالية بوصفها اعلى مراحل الراسمالية، اي "تنظيم الاقتصاد العالمي، على اساس انتاج نسبة متصاعدة للربح الامبريالي من الانتاج عبر اضطهاد قوة العمل الرخيصة للطبقة العاملة العالمية".

البرجوازية الكردية والليبرالية الجديدة:

وعلى العكس من الطبقة البرجوازية الليبرالية الغربية، فان البرجوازية الكردية، سواء من حيث تشكلها او فيما يخص صعود الرأسمالية في كردستان، لم تكن حاملة راية حرية الفرد والمجتمع المدني، ولم تقف ضد الرجعية الاقطاعية والتقاليد والثقافة الدينية والعشائرية، بل ظهرت وعرّفت نفسها بمجمل تلك الظواهر التي هي على النقيض وعائق امام ارساء مجتمع عصري ومتقدم. وعليه، لم تكن تاريخياً ولا في المرحلة الراهنة، حاملة اي سمة راديكالية وثورية واي حد من التقدم الاجتماعي. ان اشتداد ساعد هذه الطبقة الذي تزامن مع وجود الامبريالية وتقسيم الامم والحاقها، يبدأ من حيث نشأ الظلم القومي على الامة الكردية، ومنها اصبحت حاملة راية جذر و تيار سياسي وفكري، وهي حركة "الكردايتي" او "الحركة الكردية" والنزعة القومية المتخلفة للشرق الاوسط. وعليه، فان الليبرالية الجديدة، بوصفها تيار وجذر فكري وسياسي للطبقة البرجوازية، ليس لها اى موقع واقعي في هذه الطبقة. حتى ان الليبرالية وعقائدها ليستا موضوع لاظهار وبروز هذه الطبقة بوصفها طبقة موحدة على صعيد المجتمع، في الوقت ذاته، انها ليست مؤسسة واداة لحشد صفوفها و صفوف امتها. ولهذا، فان مجمل الاحزاب التي ولدت من احضان هذه الطبقة تقريباً، وبالرغم من اختلاف مساراتها، هي احزاب تنتمي لتحرك النزعة القومية الكردية، وصانت هذا الحد او ذاك من الافكار والتقاليد وثقافة هذا التحرك فيها وعكسته، وهو ماعرفته باسم "الكوردايتي".

ان قضية الارض والكرد، بوصفهم اثنية خاصة، الاقتصاد الريفي والنزعة الذكورية واصالة ثقافة الاجداد وتقاليدهم واعرافهم، تقديس الشخصيات الدينية ورؤساء العشائر والقبائل والشيوخ والملالي، الولع بالماضي وتقليد البيشمركة... كل هذه مفاهيم وعقائد نزعة قومية للبرجوازية الكردية ابان ظهور الرأسمالية، وتشكل المجتمع العصري والمديني لكردستان لتبرير حروب التحرير من ايادي المحتلين، بوصفها راية بيدها وقولبت التاريخ السياسي لكردستان بهذا الاطار. في مسار مثل هذا، من المؤكد ان مفاهيم مثل الحرية الفردية، المدنية، العلمانية وغيرها ليس لها مكان فيها. انظر لموضوعة الديمقراطية والبرلمان، انها لاتتعدى مواضيع شكلية وكارتونية. ولكن بعد الاطاحة بالنظام البعثي، ووصول الطبقة البرجوازية الكردية للسلطة، تبنت النزعة القومية الكردية واحزابها اعمال الليبرالية الجديدة (وخصوصاً فمايتعلق بالاقتصاد)، وغدو نوعاً ما ليبراليين جدد. من الواضح ان هذا لم يكن ولا يعني انهم اصبحوا "غربيين" او انهم تبنوا المباديء والثقافة العصرية الاوربية فيما يخص السياسة وادارة الدولة وتسيير المجتمع، بل نابعاً من ضرورة التحكم بالسوق الداخلية لكردستان وكيفية تسيير الرأسمال على اساس قوى العمل الرخيصة واقامة نوعاً من نظام وسلطة

عديمتا المسؤولية تجاه حياة المواطنين ومعيشتهم. وبهذا الخصوص، يعد التناغم مع السوق الرأسمالية العالمية واعمالها دون شك، والتي لليبرالية الجديدة اليد الطولى، ضرورة حياتية ومستمرة. بالاخص ان تنشيط السوق واقتصاد كردستان يستند بالدرجة الاولى الى التنقيب واستخراج النفط والغاز والمواد التي في باطن الارض وكيفية ارسالها الى الاسواق العالمية، يستلزم جلب الرساميل والشركات الاجنبية والوصول الى مصادر الدين، التنشيط التجاري واستيراد السلع الاستهلاكية باسعار رخيصة، وان مجمل هذه لا يمكن القيام بها خارج اطار وحلقة اقتصاد السوق وتحت الية عمل وشروط الليبرالية الجديدة ومؤسساتها الدولية. ان قانون " استثمار الشركات الاجنبية في كردستان"، "قانون وارشادات فيما يخص تخصيص وتأجير الاراضى للاستثمارات الانتاجية"، "ارشادات وقرارات التنقيب والبحث عن النفط والغاز"، "قانون اصلاح الضمانات الاجتماعية والتقاعد" و... مجملها والعديد من القوانين والقرارات الاخرى التي جرى اقرارها والعمل بها، انما تمت على ضوء وتاثيرات الليبرالية الجديدة.

الادهى من هذا، ظهور الازمة الاقتصادية في اقليم كردستان والبرنامج الذي اعلنته الحكومة تحت اسم "الاصلاح الاقتصادي من اجل المشاركة في التنمية وحماية المعوزين" من اجل عبور هذه الازمة، فوفق الاسلوب ذاته، فان الخطوات والسياسات الاقتصادية التي تسير في كردستان والتي تفرضها الليبرالية الجديدة وصندوق النقد الدولي على الحكومات الرأسمالية المتازمة في العالم للرد على عواقب تلك الازمة على جماهير العمال والكادحين، والتي يتم اتخاذها بوصفها سبيل للخلاص من الازمة الاقتصادية، تتلخص بما يلي :

تقليص تركيبة الدولة وتخفيض مصاريفها (وان هذا يعني زيادة نسبة البطالة)، احالة المشاريع الاقتصادية للدولة الى القطاع الخاص، وفي مقدمتها قطاع الخدمات (وهذا يعني خصخصة الماء والكهرباء والتعليم والصحة والنقل والنظافة و...)، تبني سياسة التقشف الاقتصادي وتنصل الدولة عن اي دعم للسلع الغذائية والوقود والضمانات والامتيازات للمواطنين (وهذا يعني الهجوم وخفض المستوى المعيشي للمواطن)، اصلاح قطاع الملكية العامة والبنوك، على اساس السيطرة والتحكم بالنقد و تجميعه في ايدي الحكومة والابقاء على القيم منخفضة (وهذا يعني الابقاء على قدرة شراء السلع الضرورية منخفضة والابقاء على الاجور والرواتب منخفضة ورخيصة و...)

ان تلك الحقائق التي اشرنا لها في اعلاه، توضح لنا بان البرجوازية الكردية عاجزة عن ان تكون برجوازية ذات نمط ليبرالي او ليبرالي جديد. ولكن على غرار الاقتصاد العالمي الذي يستند الى توسيع العلاقة مابين العامل والرأسمال واستغلال قوة العمل، تسير للامام بوصفها ظاهرة وممارسة عالمية. وان الاقتصاد والسوق الداخلية لكل بلد، ومن بينها الاقتصاد والسوق الداخلية لكردستان، يمكن اقامتهما والدفع بهما فقط في هذا الاطار، بل ويسودا حتى على ازماتها، فان البرجوازيين الكرد والنزعة القومية وسلطتها لامناص لهم من السير وفق اليات وقرارات هذا النظام الاقتصادي العالمي. ومن الواضح ان هذا يجري في زمن اصبح فيه اقتصاد السوق والليبرالية الجديدة عالميان.

الليبرالية الجديدة والخصخصة واتخاذ الموقف منها:

بدءاً لنفهم ماذا تعني الخصخصة والى مَ تهدف؟

الليبرالية الجديدة والخصخصة تعني تحرير هذا القسم من الميدان التجاري الاقتصادي، والذي بيد

الدولة وتديره بصورة مباشرة واحالته الى رأسمالية القطاع الخاص، والتي في بعض الاحيان يتم بعدها بيعه وتحويل ملكيته. ان هذه السياسة والاليات التي نماذجها رأسمالية الدولة واقتصاد السوق، قد تم تبنيها بهدف خاص في مراحل مختلفة، وبصورة عريضة او ضيقة. ولكن هذه السياسة والالية يتم السير وفقهما بالدرجة الاولى في اوضاع الازمة الاقتصادية، وتوجه اساساً للميدان الاقتصادي والتجاري. وهي ذات صلة بحياة المواطن ومعيشته (وبالاخص في ميادين الخدمات مثل الصحة، الماء والكهرباء، النقل، التربية والتعليم، والنظافة واستيراد تلك البضائع الاستهلاكية التي ذات صلة بالغذاء والمعيشة اليومية للمواطن)، والتي تتجه اساسا صوب هدف تركيز العائدات والرأسمال بيد الدولة، والتي من المؤكد يعقبها بطالة، غلاء، فقر، هبوط مستوى حياة ومعيشة المواطن.

ان كانت الدول التي يعد نموذج رأسمالية الدولة هو السائد فيها قد لجأت الى سياسة الخصخصة ابان عالم الثنائية القطبية فان ذلك من اجل اقامة توازن مابين القدرات الانتاجية لاقسام الرأسمالية (الرأسمالية الخاصة ورأسمالية الدولة المعروفتان بالقطاع الخاص والعام) بهدف تقليص مصاريف الدولة، وعبر هذا السبيل، الحصول على عائدات اكبر بيد الدولة كي تخلّص اقتصاد البلد من الركود. ولكن في العصر الراهن، وبالاخص خلال العقدين الاخيرين، حيث كانت الليبرالية الجديدة واعمالها تياراً سائداً على الاقتصاد العالمي، فان سياسة الخصخصة كانت تهدف بصورة مباشرة الى ترسيخ اقتصاد السوق وطرد نموذج رأسمالية الدولة من حلقة الاقتصاد الرأسمالي العالمي. وفي هذا الاطار، كانت الية لاجراء تغيير على المنظومة الاقتصادية للبلدان التابعة للامبريالية بشكل بحيث تساعد هذه التغييرات على خروج بلدان اوربا وامريكا من الازمة الاقتصادية التي تمسك بخناقهما.

اما "سياسة الخصخصة" في كردستان، فقد شرع بها ويتم دفعها بشكل مرتبط من رأسه الى قدميه بالفساد والنهب وسرقة العائدات والثروات الاجتماعية. ان غياب الدولة، وعدم الاستقرار السياسي، وفي الوقت ذاته وجود سلطة وحكم مناطقيين (للحزب الديمقراطي والاتحاد الوطني الديمقراطي) للاحزاب المليشياتية وسيادتهما على مجمل الاعمال والجوانب الاقتصادية والتجارية والثرواتية، جعلت مجملها الوضع الاقتصادي يرسف في حالة فوضى وتشابك وتداخل وتشوش عام. في وضعية مثل هذه، لايهدف من الخصخصة ان يصبح اقتصاد كردستان سوقاً وتحرير الحكومة نفسها من ادارة وتفعيل بعض الجوانب والميادين الاقتصادية والتجارية، وان تجمع في يدها نسبة من العائدات والرأسمال للرد على النهوض بالبنية الاقتصادية للبلد، بل الية لجمع نسبة خيالية من الرأسمال وفرض سلطة غير مسؤولة فيما يخص حياة المواطنين ومعيشتهم. وان هذا يتضح ويكشف عن نفسه على صعيدين:

اولاً: "الخصخصة" هي اسم لسياسة بيع المواد التي في باطن الارض (نفط، غاز، السمنت، الجص والحديد و...) بمزاد علني وتصديرها للسوق العالمية. وان هذه تحت غطاء قوانين وقرارات الحكومة، بشكل تمضي فيه للامام عملية عقد الاتفاقيات مع الشركات الاجنبية والاتفاقات الاقتصادية والتجارية مع الدول. وبهذا الخصوص، ان مجالات التنقيب واستخراج النفط والغاز وتصديرهما، هي مصدر اساسي لجمع عائدات وراسمال هائل بصورة " تأجير الحقول-اي الريع" (وبعض الاحيان حصول على اموال نقدية تحت اسم "هدايا" للشركات، قل رشوة). او على شكل "منح والحصول على حصة"، وبعض الاحيان، منح نسبة للشركات الاجنبية ودولها التي احيل لها انتاج هذه المواد وبيعها.

ثانياً: "الخصخصة" الية ظهور سريع لشبكة من الشركات تحت اسم "اهلية"، يكون مالكيها هم من افراد السلطة الحاكمة، المسؤولين الحزبيين والحكوميين ورأسماليين ظهروا من حلقة صلات الحزب والسلطة. تُسيّر هذه الشبكة مراكز السوق وانتاج السلع والخدمات على صعيد داخل كردستان، ومدت نفوذها وتدخلها داخل المشاريع الاقتصادية والتجارية الصغيرة والمتوسطة وتلعب دوراً احتكارياً بكل معنى الكلمة. تجرى العقود مع الشركات المسماة بالاهلية للقطاع الخاص لتسيير الجوانب الخدمية، او عبر التأجير او الاحالة. ان تلك المشاريع الاقتصادية والتجارية التي تسيرها الرساميل الصغيرة والمتوسطة، من مثل استيراد المواد الغذائية، الادوية، المواد الضرورية للمصانع، بناء البيوت... تمد اياديها الى اخر حلقة صغيرة لجمع النسبة المطلوبة من العائدات وانتزاع حصة من الشركات.
والى جانب شبكة شركات القطاع الخاص هذه، فان مشاريع ومؤسسات "القطاع العام" قد تركت منسية بوصفها بقايا "هياكل ديناصورية" بالنسبة لاقتصاد البلد.

في اوضاع خصخصة مثل هذه، بالاضافة الى كونها سياسة والية لجمع عائدات ورساميل خيالية للطبقة البرجوازية والرأسماليين واصحاب الشركات، فانها في الوقت ذاته رمت عمال وكادحي كردستان في اوضاع اقتصادية وخيمة وصعبة الى ابعد الحدود. اي ان خصخصة المشاريع الاقتصادية للدولة واحالة الشؤون الخدمية الى القطاع الخاص هما الية وسياسة التقشف الاقتصادي والهبوط بمستوى حياة ومعيشة المواطنين وفرض الفقر والبطالة اكثر واكثر. اذاً، ماهو الموقف من هذه السياسة والالية؟

طالما ان سياسة الخصخصة هي مبعث فقر وبطالة وتقشف على صعيد حياة ومعيشة المواطنين، فان على العمال والكادحين ان يتصدوا لها دون شك وينظموا نضال لا يكل ضدها. ولكن لا ينبغي ان يتمثل هذا النضال وهذه المناهضة بالدفاع عن اقتصاد الدولة والقطاع الحكومي المعروف باسم "القطاع العام"، لان هذا يعني الدفاع والابقاء على الوضع الاقتصادي المفروض على المجتمع والذي يمثل الفقر والبطالة وانعدام الخدمات اللائقة زاوية رئيسية منه.

ولان العمال والكادحين لم ينتزعوا بعد سلطتهم ولايعيشون في مجتمع اصبحت فيه وسائل الانتاج ونقل المكية العامة، فانه ليس مهماً من هم مالكي الرساميل والمشاريع ومن يديرها! الدولة ام القطاع الخاص؟ بل ان ماهو مهم بالنسبة لهذه الطبقة هو: في اي تحول للملكية او اي سياسة تحيل فيها الحكومة المشاريع الاقتصادية والخدمية الى الشركات والادارات الاهلية والقطاع الخاص هو متابعة الحقوق والحريات، الدفاع عن ضمانة العمل ومستوى الاجور والضمانات والامتيازات، اي الدفاع عن معيشة لائقة وضمان تأمين خدمات لائقة. الاكثر من هذا، تضع سياسة الخصخصة الجماهير العمالية والكادحين بين فكي حرب ومنافسة الاقسام المختلفة من الراسمالية. ينبغي ان لا يرى العمال انفسهم مجبرين على اتخاذ جانب احد منهما، اي اتخاذ جانب القطاع العام ام الخاص، والاختيار مابينهما. على العكس من ذلك، عليهم تنظيم نضالهم الطبقي ضد مجمل اشكال واقسام الرأسمال لتحطيم النظام الرأسمالي وارساء مجتمع اشتراكي.

مستقبل الليبرالية الجديدة ونضال الطبقة العاملة:

تكشف لنا احداث العقدين المنصرمين للعالم سجل اعمال الليبرالية الجديدة والعولمة، اذ رمت المجتمع البشري في نفق مظلم، واشاعت الفقر والعوز، الحرب والدمار، الارهاب والانفجارات، وتنامت

النزعات العنصرية والرجعية، وبالتالي، تدمير وطرد قوى انسانية عظيمة من ميدان العمل والانتاج وفرض اوضاع التشرد واللجوء عليهم، بلوغاً الى دمار البيئة والاف المصائب والماسي التي تواجه المجتمع البشري اليوم... ان هذه جميعاً دلائل وبراهين على ان البرجوازية وتيار الليبرالية الجديدة وحكوماتهما ليسا عاجزين عن احلال السلام والسكينة والسعادة في العالم، ليس هذا وحسب، بل انهم على استعداد لخنق مجمل الكرة الارضية مرة و للابد بالغموض والتيه والركود وانسداد الافاق السياسية والاقتصادية للنظام. وعلى قول ماركس، "حين يدب انسداد الافاق والموت بالراسماليين، فان اصحاب الرساميل على استعداد لقبر عبيدهم". ومن جهة اخرى، ان هذا الغموض وانسداد افاق الليبرالية الجديدة، بوصفه نتيجة وانعكاس لتاثيرات الكثير من العوائق والمحدوديات التي لامفر منها والتي استقطبت امام تطور وتقدم صلات العمل والرأسمال وسياسات الليبرالية الجديدة، وضعت، بصورة لاندحة منها، مستقبل تيار الليبرالية الجديدة والنظام العالمي في محك الهزيمة والدمار. يمكن ان يكون نموذج اكثر هذه المحدوديات والعراقيل اساسية هي التالي:

اولاً: ان استمرار وتواصل الحروب وعدم استقرار القوى والاقطاب الامبريالية في توازن جديد (من المقرر ان يقسم العالم)، يتحول نفسه الى سبب لفقدان امان السوق والرأسمال ودمار قسم كبير من البنية التحتية، ونتيجة لذلك، يقف قسم كبير من الرأسمال العالمي بوضعية انتظار "الهدوء والاستقرار" وان هذا يترك تاثيرة على انخفاض مؤشر الربحية للرأسمال على الصعيد العالمي.
ثانياً: اتخاذ سياسة التقشف الاقتصادي والحملة على مستوى معيشة المواطنين والتخفيض الواقعي للقيمة الحقيقية لقوة عمل العمال، وهي الية لنيل فائض قيمة، ومنه رفع نسبة ربح الرأسمال، له حدود، وليس بوسع هذه العملية ان تتجاوز بقاء "الحياة الفيزيقية" للعمال، ولهذا تتغير بالعكس وتواجه سياسات الليبرالية الجديدة بالاخفاق.

ثالثاً: تقلص حيز ربح الرأسمال، والاستفادة من انتاج فائض القيمة النسبي. وهذا بوصفه نتيجة لتضخم المكونات العضوية للرأسمال (ازدياد الرأسمال الثابت بمستوى عال، مقارنة بالرأسمال المتغير) واحباط دور التكنولوجيا في بلدان المتروبول.
رابعاً: بروز وتصاعد الاحتجاجات الاجتماعية، وذلك نتيجة لحضرية المجتمعات، وظهور موجات التهجير وسياسة التقشف الاقتصادي، والحملات المستمرة على المواطنين والثورات فى العالم العربي، احتجاجات الجزائر والسودان، تحركات السترات الصفراء، احتجاجات مدن العراق وكردستان ...كلها هي نماذج على هذه الحقيقة التي مبعث تهديد متواصل للطبقة البرجوازية وسلطتها.

ان وضع مثل هذا، بالاضافة الى جعل النضال الطبقي للعمال والشيوعيين على صعيد العالم امر صعب ومعقد، ولكن لم يترك سبيل اخر امام هذه الطبقة سوى النضال صوب الكسب الفوري لاستعدادات ومستلزمات اللجوء للثورة الطبقية للعمال وارساء مجتمع اشتراكي. بالاخص ان الشيوعيين قد اعلنوا منذ امد بعيد بوجه الحرب والازمة الاقتصادية للبرجوازية: "اما الاشتراكية واما البربرية!"
من جهة اخرى، جعلت هذه الوضعية من الخصلة الاممية والثورية لنضال العمال ومحرومي المجتمع والمصير المشترك لحياة ونضال هذه الطبقة واقسامها على صعيد عالمي خصيصة اساسية للنضال من اجل الدفع بمهام سبيل الثورة العمالية اكثر من اي وقت مضى. اي بعبارة اخرى، بالاضافة الى وجوب سعيها لان تحسم امرها مع الطبقة البرجوازية على صعيد بلدها وانتزاع

السلطة، ينبغي عليها ان تدفع بافق واستراتيجية اممية في ميدان الدفع بمهامها في اي بلد كان.
في الوقت ذاته، تقول الوضعية العالمية الراهنة لنا ان النضال من اجل الدفاع عن امان وتحسين اوضاع حياة المجتمع هو احد الميادين الاساسية لمجابهة الطبقة البرجوازية وتيارها الليبرالي الجديد ببعد عالمي. يجب ان تقف الطبقة العاملة والشيوعية على هيئة او بقامة طبقة اجتماعية وتنظم تحرك عالمي ضد الحرب والدمار وحملات السلطات الرأسمالية من اجل استرداد الامان والهدوء ونيل حياة انسانية افضل، وتتصدى لهذه البربرية. ان هذه احد ميادين وجبهات النضال الطبقي. انه عصر العمال والشيوعيين صوب الاشتراكية.

***اعد هذا الموضوع استناداً الى ندوة.**

(1) ان هذا لايعني ان لايبقى دور للدولة امام المجتمع والتحركات الاحتجاجية او يضعف، بل يعني ان يؤمن الحرية للرساميل ويرفع العوائق التي امامها، من جهة اخرى، ان الدولة هي تلك المؤسسة التي تهجم وبلاحدود على مستوى حياة ومعيشة الناس، ترعى البطالة وسياسة التقشف، الحملة على الاتحادات العمالية ومكتسبات المجتمع وخدماته. على صعيد الخارج، الدولة هي تلك المؤسسة التي تنظم حربا ومستعدة لعقد اي اتفاق وحلف مع اكثر الدول والقوى رجعية ووحشية على شرط ان يخدم المشاريع الرأسمالية والشركات والكارتيلات المشتركة. بكلمة ما، يريد الليبراليون الجدد الدولة ان تكون قمعية ومقتدرة باقصى شكل بوجه الطبقة العاملة.

(2) تحديد نسبة كوتا للنساء و"الاقليات". ان هذا المصطلح اخترعه الليبراليون الجدد. على سبيل المثال 5% او 10% من مقاعد البرلمان لتمثيل تلك المكونات، ليست نفي حقوق المواطنة المتساوية في عملية التصويت والترشيح، بل جعلهم مواطنين من الدرجة الثانية.

(3) الحصار الاقتصادي ومصائب الحرب والدمار في العراق، سوريا، ليبيا واليمن ورمي تلك المجتمعات في نفق مظلم للسيناريو الاسود وهو الامر الذي قامت به امريكا والناتو هي نماذج عملية لاطلاق "نظرية الفوضى الخلاقة وتغيير الانظمة" التي اتخذها الليبراليون الجدد والتي جعلت الملايين طعم البارود والتشرد والهجرة.

ترجمه عن الكردية: فارس محمود

توما حميد

اراء حول مقولة

"إعادة تشغيل الصناعة الوطنية"!

المقدمة

لقد نشر في السنوات الاخيرة كما هائلا من الكتابات حول سبب توقف الصناعات "الوطنية" في العراق وسبل اعادة احيائها. تطرح في هذه الكتابات مسائل مهمة، أجد من الضروري مناقشتها.
بنظري، تنقص بعض المفاهيم والأفكار التي تطرحها تلك الكتابات الدقة، ولا تتفق مع الواقع الحالي، وهي قد سادت، بشكل عام، بسبب سيادة التيار القومي. هناك حاجة الى توضيح ما نقصده بالكثير من المصطلحات والتعابير والمفاهيم، ليس من منطلق أكاديمي، بل من زاوية ضمان الدقة في صياغة السياسات والمواقف من الظواهر المختلفة.

هل الغزو الامريكي للعراق هو استعمار؟

يربط واقع الصناعة " الوطنية " العراقية بالغزو الامريكي للعراق بوصفه استعمارا "جديدا". اريد ان اوضح، قبل كل شيء، انا لا اتفق مع وصف غزو أفغانستان والعراق بالاستعمار سواء أكان استعمارا قديما او جديدا.

بغض النظر عن ادعاءات أمريكا حول غزو أفغانستان والعراق والحروب الأخرى، ان السبب الرئيسي وراء حروبها الاخيرة هو حاجة أمريكا الى الحرب من اجل عرض القوة العسكرية مقابل

الأقطاب الأخرى، وفرض هيمنتها العسكرية على المستوى العالمي، وخاصة ان مكانتها في تقهقر مستمر وسريع، وأسرع مما يعتقد الكثير. ومن جهة اخرى، تقدر الميزانية الحقيقية للمجمع الصناعي العسكري في أمريكا ما يقارب التريليون دولار سنويا، وهناك الكثير من المصالح مرتبطة بهذه الصناعة، فلابد من إيجاد تبرير لهذه الميزانية، وتصريف ما تنتجه، لذا فان اختلاق عدو وإيجاد مبررات لحرب دائمية هي حاجة حياتية لهذا المجمع.

ان الغزو والاحتلال قد يكون لأسباب كثيرة، وليست دائما لأسباب استعمارية. أكثر من هذا، في وقتنا المعاصر، ولأسباب موضوعية، لا يعد الغزو والاحتلال، باي شكل من الاشكال، وسيلة جيدة لتحقيق مصالح الرأسمال في الدولة الغازية والمحتلة. وعادة ما يصبح الاحتلال والغزو نقمة على الدولة الغازية، وافغانستان هي أفضل مثال على ذلك. في المقابل، يمكن تحقيق الكثير مما كان يحققه الاستعمار من خلال العولمة والاتفاقات التجارية، دون الدخول في حروب وعمليات احتلال مكلفة. فمثلا، بينما تقوم أمريكا بأنفاق المليارات على غزو أفغانستان والعراق، تقوم الصين كقطب امبريالي، باستثمار المليارات خاصة في افريقيا وامريكا اللاتينية واسيا بما فيه العراق والتي تحقق الى حد كبير ما كان الاستعمار يحققه قبل قرن من الزمن.

ليس بإمكان أي قوة، حتى وان ان كانت دولة مثل أمريكا، في عالمنا الحالي، من غزو بلد وفرض سيطرتها بدرجة يمكن تحقيق الاستقرار المطلوب لاستغلال البلد المستعمر (بفتح التاء)، كما كان يحدث قبل حروب التحرير الوطنية اواسط القرن العشرين.
لقد انفقت أمريكا منذ 2001 أكثر من نصف ترليون دولار على تدخلها في أفغانستان دون ان تجني دولارا واحدا في المقابل ودون ان تنهب أي من المواد الأولية وتستغل القوة العاملة في افغانستان الخ، لذا فان هذه الحروب ليست لها علاقة بالاستعمار كوسيلة لتشديد التراكم البدائي وفرض ظروف العمل والعيش الامبريالية على جماهير الدولة المحتلة (بفتح التاء) ونهب إمكاناتها الاقتصادية والبشرية والسيطرة على أسواقها. ان اهم هدف يمكن تحقيقه من خلال الحرب والغزو هو تسليم السلطة الى قوى موالية للدولة المحتلة، ولكن الحروب الأخيرة اكدت بان حتى هذا الهدف ليس سهل التحقيق.

لقد كان تدخل أمريكا في أفغانستان، حتى من الناحية السياسية والعسكرية، مصدر اذلال لأمريكا وتحطيم جبروتها. فهي تتفاوض مع طالبان مؤخرا من اجل تحقيق انسحاب يحفظ ماء وجهها، وحتى هذا لا يتحقق بسهولة، بسبب تغطرس طالبان في مواجهة امريكا.

مفهوم المركز والاطراف ودمج الاقتصاد في السوق الرأسمالي!

يقال بان الحرب على العراق، كانت من اجل اعادة دمج اقتصاده، ضمن محاولة دمج اقتصاد الدول "النامية" ودول "المحيط " في السوق الرأسمالي العالمي. ولكن بنظري لم يكن لاحتلال أفغانستان والعراق وحتى الحرب على ليبيا وسوريا أي ربط باعادة دمج اقتصاد هذه البلدان في السوق الرأسمالي العالمي. ولو كان هذا هو الهدف من هذا الاحتلال وهذه الحروب، فانها لم تحقق أي من أهدافها. يعني دمج اقتصاد دولة في السوق الرأسمالي ان يصبح اقتصاده مفتوحا امام استثمارات الرأسمال الاحتكاري العالمي. في الحقيقة لقد كان الغزو والحرب عائق امام دمج أفغانستان والعراق في السوق الرأسمالي العالمي، ونفس الشيء ينطبق على ليبيا وسوريا. ان سبب استهداف العراق

وليبيا وسوريا هو ليس لان اقتصادياتها هي مختلفة عن اقتصاد مصر او الأردن مثلا واقل اندماجا في السوق الرأسمالي العالمي، بل لأنه لم يكن بالإمكان ضمان ولاء حكومات هذه البلدان للمعسكر الغربي، وهي دول اما تعتبر ضمن نفوذ المعسكر المقابل أي المعسكر الروسي-الصيني او على الأقل لا يمكن ضمان ان لا تكون ضمن نفوذ هذا المعسكر. كما ان الانظمة الحاكمة في هذه البلدان كانت معادية للغرب على الاقل في فترة من فترات من حكمها. الغرب بات يرتعش من المحور الروسي-الصيني ومن صعود الصين كقوة عالمية بشكل خاص وله الاستعداد للقيام باي عمل من اجل منع او تأخير هذا الصعود. من جهة أخرى، يعتبر الشرق الأوسط وشمال افريقيا، لأسباب موضوعية، أفضل منطقة لخوض حروب بالوكالة بين القطبين الغربي والقطب الروسي-الصيني. و يبقى السبب الرئيسي لغزو العراق بالذات هو خلق فرصة لعرض امريكا لقوتها العسكرية والمحافظة على هيمنتها.

و يدعى مرارا بانه من اجل دمج اقتصاد العراق والدول الاخرى بالسوق العالمي، تقوم امريكا بتدمير "الخصوصية الاجتماعية والثقافية" لهذه الدول. ولكن في الواقع، ان مجمل سياسات الغرب، تستند الى سياسة الهوية وتقوية "الخصوصية الاجتماعية والثقافية بما فيها الدين والعشيرة والعادات الرجعية الخ"، لذا فان تحطيم الخصوصية الاجتماعية والثقافية للمجتمعات هي ليست جزء من سياسة أمريكا في الوقت الحاضر.

ويجب ان نعيد النظر حتى بمسالة تقسيم العالم الى المركز والأطراف التي هي مسالة مهمة في الدراسات التي تتناول "الصناعة الوطنية" . لقد كان العالم الرأسمالي بالفعل منقسم الى المراكز الرأسمالية الامبريالية المتمثلة بأوروبا وامريكا الشمالية واليابان، والأطراف الخاضعة للسيطرة الاستعمارية ولنمط الإنتاج الامبريالي، ولكن الصين التي كانت تعتبر دولة من دول الأطراف، هي اليوم مركز رأسمالي عالمي وأكبر مركز لتصدير الرأسمال في العالم. وتقريبا نفس الشيء ينطبق على دول مثل كوريا الجنوبية وتايوان وسنغافورة والبرازيل وامارات الخليج مثل السعودية والامارات العربية وقطر. رغم افتقار بعض هذه الدول الى القوة العسكرية التي تمتعت بها الدول الاستعمارية التقليدية، الا انها تعتبر مراكز للرأسمال الذي يفرض ظروف عمل وعيش إمبريالية على عدد كبير من العمال. من جهة اخرى هناك مناطق ومدن واحياء بكاملها في الغرب وخاصة امريكا تشبه في كل شيء "دول الاطراف".

ومن المقولات الشائعة في الدراسات التي تتطرق الى " الصناعة الوطنية" هي مسالة وصف العلاقات الإنتاجية في العراق بانها "علاقات مزدوجة ما قبل رأسمالية اقطاعية وبطريركية وعلاقات رأسمالية". مثل هذا الوصف لا يخدم قضية الطبقة العاملة وهو جزء من محاولات انكار وجود الطبقة العاملة والصراع الطبقي، ولكن هذا ليس موضوعي هنا.

النيوليبرالية وتدمير الصناعة " الوطنية"!

ان التحليل الاساسي لدعاة " اعادة تشغيل الصناعة الوطنية" هو ان السياسة النيوليبرالية بقيادة اميركا وادواتها صندوق النقد والبنك الدوليين تهدف الى تدمير "الصناعات الوطنية" وايقاف المصانع والمعامل وتوسيع رقعة البطالة وابقائها مصدر للمواد الأولية والبترول.

رغم انني اتفق ان السياسات النيوليرالية ومؤسسات مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي هي تماما بالضد من مصالح الطبقة العاملة، لكن معارضتي لها هي من منطلق غير منطلق "تدمير الصناعة الوطنية". ان هذا الحكم باعتقادي هو حكم أخلاقي غير واقعي. فهدف السياسيات النيوليبرالية وادواتها مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدوليين هو تحرير الاقتصاد من كل القيود وجعل الظروف مناسبة للاستثمار في كل مكان. لايهتم الرأسمال الاحتكاري اين تتركز الصناعات بل يهتم اين يحقق اكبر قدر من الربح. اذ أفادت السياسات النيوليبرالية في اخر 20-30 سنة الصين بدرجة كبيرة، واضرت بالدول الغربية الى حد كبير، وهذا هو سبب بروز ترامب وبورس جونسون وقادة على شاكلتهم يدعون الى الحمائية. تتغير الظروف بشكل كبير، وليس كل ما كان ينطبق على الاقتصاد العالمي في النصف الأول من القرن العشرين ينطبق عليه في وقتنا الحاضر. فعلى سبيل المثال اليوم، أمريكا نفسها هي دولة مصدرة للنفط وتنافس "دول المحيط" "التي تحاول ان تبقيها مصدر للمواد الأولية والبترول".

بنظري موضوع الدعوة الى تشغيل " الصناعة الوطنية" قد حسم من قبل الرفيق كورش مدرسي في الحوار الذي أجرته معه إذاعة برتو المعنون "الطبقة العاملة وتضليل "الاستيراد غير المنظم" و"حماية الصناعات المحلية":

الحمائية والعولمة!

قبل ان اتطرق الى أسباب معارضتي لمطلب "تشغيل الصناعة الوطنية" تحت النمط الرأسمالي للانتاج، يجب ان اشير بان الحمائية وفرض التعريفات الجمركية هي سياسة قديمة قدم النظام الرأسمالي. فمنذ قيام النظام الرأسمالي، كانت هناك منافسة بين أنصار سياسة فتح الحدود والتجارة المحررة من القيود، وبين أنصار سياسة الحمائية وخاصة فرض التعريفات الجمركية، ببساطة لان كل سياسة من هذه السياسات تخدم مصالح قطاعات برجوازية معينة. فمن جهة تخدم سياسة الحمائية مصالح المنتجين الزراعيين وبعض المنتجين الصناعيين المحليين وخاصة الأقسام التي لا تتمكن من منافسة البضائع الاجنبية، بينما تخدم سياسة التجارة المفتوحة مصالح قطاع الشحن البحري والبري والجوي وقطاع التوزيع مثل سلاسل المتاجر والمحلات المختلفة واقسام من قطاع التصنيع التي تحتاج الى قطع غيار او المواد الاولية من الخارج. ولم تكن التجارة في ظل النظام الرأسمالي يوما من الأيام حرة. ولا يوجد دولة واحدة، لم تلتجأ في مرحلة معينة، وفي قطاع معين، الى فرض الإجراءات الحمائية.

فرضت الاجراءات الحمائية على مر تاريخ الرأسمالية للأسباب التالية 1- حماية "الصناعة الفتية" المحلية في فترة نموها وبشكل مؤقت من منافسة الصناعات الأجنبية واعطائها فرصة للنمو وتمكينها بالنهاية من المنافسة على المستوى العالمي، 2- حماية الصناعات المحلية من سياسة اغراق الأسواق، والتي تعني قيام المنافسين ببيع بضائع معينة بأسعار اقل من سعر الإنتاج، 3- حماية الوظائف المحلية، 4-حماية الصناعات المحلية ضد الدول التي فيها الايدي العاملة رخيصة ، 5-حماية معايير ومواصفات البضائع من الناحية الصحية و البيئية الخ، 6-استخدامها كوسيلة لخلق موارد للدولة، 7- لتصحيح العجز في الميزانية التجارية وتحفيز النمو الاقتصادي 8- تفادي التخصص العالي في صناعات محددة والاعتماد على عدد صغير من الصناعات مما يجعل الاقتصاد غير محصن وسريع التأثر بالتحولات في الاقتصاد العالمي. 9 حماية الصناعات التي تعتبر مهمة لحماية " الامن القومي".

و تشمل الحمائية وضع عوائق امام الواردات الى البلد المعين مثل التعريفة الجمركية والكوتا والتي تعني تحديد كمية البضائع المستوردة والحصار الاقتصادي الذي يقوم بمنع الواردات بشكل كامل والدعم الحكومي للصناعات المحلية الذي يأخذ اشكال كثيرة والعوائق الإدارية مثل معايير الصحة والسلامة وأخيرا عن طريق التلاعب بشكل مقصود بسعر صرف العملة الخ.

أحد الأسباب البارزة لفرض التعريفة الجمركية هو حماية " الصناعة الفتية" في الاقتصاديات الصاعدة. اذ لجأ اليابان في السبعينيات الى فرض التعريفة الجمركية لمساعدة قطاع السيارات. كما لجات أمريكا في فترات معينة من مرحلة صعودها كقوة اقتصادية الى فرض التعريفات الجمركية لحماية صناعاتها من منافسة الصناعات البريطانية والاوربية بشكل خاص، ونفس الشيء ينطبق على المانيا والصين. يجب ان يكون واضحا بان التعريفة الجمركية، حتى من وجهة نظر البرجوازية تكون مفيدة عندما تفرض لفترة محدودة وفي قطاعات محدودة، وخاصة من قبل اقتصاديات صاعدة. لم ولن تنجح اجراءات الحمائية في حماية صناعة آيلة على الاندثار مثل الصناعة العراقية.

تبريريات" اعادة تشغيل الصناعة الوطنية"!

يتم الاشارة الى الاحصاءات التي تقول ان " 70 بالمئة من المصانع في القطاع العام و 95 بالمئة في القطاع الخاص في العراق قد توقفت". يقول سلام عادل، وهو خبير اقتصادي، أن "الصناعة العراقية تتعرض لمؤامرة دولية ينفذها بعض الساسة في العراق، لأنه لا يعقل أن تدخل سلع استهلاكية بقيمة 74 مليار دولار في عام 2013 بينما موازنته المالية تبلغ 118 مليار دولار". وأردف أن "الدول التي يستورد العراق منها لا تريد نهوض صناعته، خصوصا أن السوق العراقية ممتلئة بالسلع الرديئة وبأسعار مرتفعة قياسا بالدول المجاورة"، مشيرا إلى أن "أسباب خسائر الشركات العراقية يعود إلى عدم فرض تعرفة جمركية على السلع المستوردة ما يجعلها أرخص من العراقية عند طرحها في السوق". يؤكد بعض المتخصصين في الاقتصاد ان للأحزاب الحاكمة وميلشياتها دورا هاما في تعطيل المصانع وذلك للمتاجرة مع الدول الاقليمية كإيران والتربح السهل والسريع من وراء تلك التجارة .(المصدر صحيفة العالم الجديد الالكترونية).

رغم ان التيار القومي في كل مكان يتحدث باستمرار عن وجود مؤامرات دولية ضد الاقتصاد "الوطني" الا ان قوانين الرأسمالية تجعل وجود مؤامرة ضد أي اقتصاد في وقتنا الحاضر امرا صعبا وغير واقعيا. فالتيار القومي حتى في أمريكا التي وضعت اغلب القوانين والمعاهدات التجارية يتحدث عن تعرض الاقتصاد الأمريكي الى مؤامرة، وهذه هي الحجة وراء السياسات الحمائية التي يلجأ اليها ترامب. في الحقيقية كل هذه هي محاولة لحرف الأنظار عن مسالة فشل النظام الرأسمالي في خدمة مصالح الأغلبية الساحقة من الجماهير والقاء اللوم على الاخرين وخاصة الأجانب.

ان توقف المصانع والمعامل في العراق ايضا، بعكس هذا التصور هو في معظم الاحيان لأسباب الاقتصادية. لا اتفق مع الرأي القائل بكون سبب عدم تشغيل الصناعة المحلية هو وجود مؤامرة دولية ينفذها بعض الساسة في العراق. فهناك دليل واضح وبسيط على عدم صحة هذا الرأي، الذي يكمن في الإحصاءات التي يلجا اليها اصحاب هذه الاراء وهي توقف 70 بالمئة من المصانع في القطاع العام و 95 بالمئة في القطاع الخاص. اذ ان هذا التبرير لا يفسر لماذا يقوم القطاع الخاص بغلق نسبة أكبر من المعامل والمصانع بالمقارنة من القطاع العام. فاذا كان القطاع العام، له دعم الدولة في الكثير

من الأحيان التي قد تتحمل صناعة غير مربحة لحين، فان الحافز الوحيد امام القطاع الخاص هو الربح. إذا لم يكن بإمكان الصناعة المحلية التي يديرها القطاع الخاص من المنافسة مع الواردات وتحقيق ربح، لا يبقى أي حافز امام اصحاب المصانع والمعامل المحلية لتشغيلها، لذا فانهم ينقلون رساميلهم الى الصناعات المربحة سواء داخل البلد او خارجه.

لو كانت للصناعات العراقية إمكانية المنافسة على المستوى العالمي، ولو كانت مصدر ربح، فأنها كانت ستجذب الرأسمال المحلي وحتى العالمي، ولكن الصناعات العراقية لا تقدر على المنافسة، وهي ليست مصدر ربح، لذا يطلب اصحاب هذه الاراء الى فرض التعريفة الجمركية.

وإذا كان القصد من المؤامرة، هو قيام الدول الأخرى بتصدير بضائع رخيصة الثمن الى العراق، فليس في هذا أي مؤامرة. ان التصدير وسيادة البضائع الرخيصة هي من خصائص الرأسمالية وليس لهذا الموضوع ربط بالمؤامرة. كما يقول كورش مدرسي " ان موضوعة تصدير واستيراد البضائع الرخيصة هي قديمة بقدم النظام الرأسمالي نفسه. على هذا الأساس تُدار الرأسمالية وتعمل. انها حقيقة الإنتاج الرأسمالي"

كما ان "تأكيد بعض المتخصصين في الاقتصاد بان للأحزاب الحاكمة وميلشياتها دورا هاما في تعطيل المصانع وذلك للمتاجرة مع الدول الاقليمية كإيران والتربح السهل والسريع من وراء تلك التجارة"، هو رأي لايفسر واقع الصناعة العراقية. ان تعطيل مصانع مربحة هو ليس التوجه السائد الذي يوجه الاقتصاد. في كل دول العالم هناك قطاعات تحقق الربح من خلال التجارة وقطاعات من خلال الاستثمار في التصنيع وقطاعات من خلال المقامرة وأخرى من خلال اشعال الحروب الخ. فمثلا، سلسلة متاجر وول لمارت الامريكية وهي واحدة من أكبر الرساميل الامريكية تحقق الربح من تسويق البضائع الصينية في أمريكا، وليس موضوعها فشل او نجاح الصناعات الامريكية، ونفس الشيء ينطبق على كل الدول. ان هذا الامر ليس حكرا على البرجوازية العراقية.

من جهة أخرى، كما قلنا من قبل، ان دور صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية يكمن في الضغط على الدول لتحرير الاقتصاد من كل العوائق امام التجارة والاستثمار، وليس هذه السياسة خاصة بالعراق. ان جزء أساسي من سياسة إعادة الهيكلة التي يفرضها صندوق النقد الدولي هي عدم تقويم صناعات غير مربحة، تقليص دور الدولة في تقديم الخدمات ورفع دعم الدولة عن البضائع وإزالة القوانين التي قد تحد من الاستثمار، أي دع السوق يؤدي وظيفته. ولو كانت هذه المؤسسات التي يتحكم بها الغرب فعلا تهدف الى تدمير الصناعة العراقية وتحويل العراق الى سوق للبضائع فأنها لا تقوم بعمل جيد، فيجب ان نعرف ان أكبر المصدرين الى العراق هم الصين وتركيا وإيران، وهي ليست من الدول التي تحدد السياسات النيوليبرالية العالمية وبرامج صندوق النقد الدولي والبنك الدولي. ولا تعتبر الواردات من أمريكا والدول الغربية الا جزء صغير من واردات العراق. اذ لا تتعدى واردات العراق من أمريكا مثلا 4%. لذا فان اعتبار هدف حرب أمريكا على العراق هو تعطيل الصناعة العراقية، هي دعاية من دعايات التيار القومي العروبي. ان الرابط بين احتلال أمريكا للعراق وبين وضع الصناعات في العراق في وقتنا الحاضر، هو جعل العراق بيئة غير امنة للاستثمار وتسليم مقدرات البلد الى مليشيات هي ليست مؤهلة للحكم.

يتوجب على الطبقة العاملة والشيوعيين معاداة سياسات أمريكا وادواتها ولكن ليس من وجهة نظر

التيار القومي ومنطلق بناء الصناعة "الوطنية".

ان الصناعة العراقية الحالية وبالتكنولوجيا الموجودة كانت ستتوقف، اذ لأيمكن ولا يعقل في ظل قوانين العالم الرأسمالي (منطق الربح) ، ادامة صناعة غير مربحة الى الابد.

قد يبدو مطلب إعادة تشغيل الصناعات الوطنية للوهلة الاولى مطلبا جميلا، بديهيا وواقعيا اذ حسب الاحصاءات هناك أكثر من 13328 مصنع ومعمل متوقف عن العمل ونسبة البطالة تصل 40% في وقت ان العراق يستورد البضائع بعشارات المليارات من الخارج، الى انه يجب ان يكون واضحا بان هذا المطلب في الواقع هو مطلب غير عملي، وغير تقدمي ويسوق الطبقة العاملة وراء مصالح فئة من فئات البرجوازية العراقية وهي الفئة التي تتغذى من النزعة القومية للأسباب التالية:

" اعادة تشغيل الصناعات الوطنية" مطلب غير تقدمي!

أولا: ان مطلب تشغيل الصناعة "الوطنية " هو مطلب " فوق طبقي" شعوبي ومخادع.

كما قلنا، منذ ان أصبحت الرأسمالية النظام السائد، كان هناك دائما صراع مرير بين اجنحة البرجوازية ومصالحها. فمصالح قطاعات معينة من البرجوازية هي في تحرير التجارة الدولية من كل القيود، في حين ان مصالح فئات برجوازية أخرى هي مع الحمائية وتقييد التجارة الخ. هذا الصراع هو صراع قائم في كل البلدان الرأسمالية، وهو يتمحور حول سبيل حل ازمة الرأسمالية التي تكمن في ميل معدل الربح نحو الانخفاض وإعادة تقسيم الربح وفائض القيمة بينهم. تخفي البرجوازية نزاعاتها الداخلية حول تقسيم الربح عن طريق تصوير هذا النزاع كونه يتمحور حول مصلحة المجتمع، ويقوم كل جناح من اجنحة البرجوازية المتصارعة بكم هائل من التنظير الاقتصادي والأيديولوجي يهدف الى جر دعم اكبر قسم من المجتمع وخاصة الطبقة العاملة معه.

يعرض الجناح الذي تتماشى مصالحه مع الحمائية، هذه المصالح باعتبارها مصلحة المجتمع. ويوظف هذا التيار كل مخزون النزعة القومية وحتى العنصرية، وكره الأجانب في تسويق مصالحه باعتبارها مصالح " الشعب". يجب ان نكون واضحين بان هذا الجناح، لا يمثل كل البرجوازية، ليس هذا وحسب، بل حتى لا يمثل كل البرجوازية التي تستثمر في الصناعة وفي انتاج البضائع. فمثلا، الضرائب التي فرضها ترامب على الصلب والألمنيوم المستورد قد خدمت مصالح المستثمرين في صناعة الصلب والالمنيوم في أمريكا، ولكنها اضرت بمصالح قطاع السيارات والطيران والمأكولات والمشروبات المعلبة والإنشاءات وقطاع الطاقة وصناعة الأدوات المنزلية الخ، لان كل هذه الصناعات تستخدم الصلب والألمينيوم التي ارتفعت أسعارها، وهو الامر الذي يؤدي الى زيادة أسعار كل البضائع التي تستخدم الصلب والألمنيوم، ويقلل من ربحها ومن قدرتها على المنافسة.

ولا تلتقي مصالح جناح البرجوازية الذي يسعى الى الحمائية مع مصالح الطبقة العاملة اطلاقا للأسباب التي سنذكرها. باختصار السياسة الحمائية التي يدعو اليها هذا الجناح من البرجوازية تؤدي الى رفع الأسعار وتقليل حصة الطبقة العاملة من مجمل ثروة المجتمع وبالتالي تقليل رفاهيتها، وهي عادة ما تؤدي الى فقدان الوظائف على المدى الطويل.

اراء حول مقولة "إعادة تشغيل الصناعة الوطنية"!

عندما لا يكون بإمكان الصناعة "الوطنية" انتاج بضائع رخيصة وجيدة قادرة على منافسة البضائع الأجنبية، وتحقيق الربح لصاحبها، يعني فرض الإجراءات الحمائية جعل البضائع الأجنبية غالية وبالتالي منعها من دخول البلد وتمكين الصناعة "الوطنية" من المنافسة والاستمرار في تحقيق الربح والديمومة. لذا بالنسبة للبرجوازي، يعني الحفاظ على الصناعة "الوطنية" وتطورها تامين ربحية رأسماله وتحسين وضعه. لهذا بالنسبة للبرجوازي، تطور الصناعة هو هدف بحد ذاته. فمن مصلحته فرض الإجراءات الحمائية ووضع الشرطة والكمرك على الحدود حتى إذا كانت النتيجة حرمان السكان من بضائع زهيدة وجيدة، فهو من يحتفظ بالفرق في السعر بين البضاعة الاجنبية والبضاعة المحلية بعد فرض التعريفة الجمركية.

ولكن لا يشكل تنامي وحماية الصناعة في إطار الرأسمالية بالنسبة للعامل موضوع، بل ان درجة استغلال الرأسمالي هي جوهر قضيته ويعتبر حرمانه من بضاعة زهيدة الثمن من اجل حماية الصناعة "الوطنية" جزء من هذا الاستغلال. فما يضمن استمرار الصناعة "الوطنية" وتحقيق ربح يعادل السوق العالمي عند فرض الإجراءات الحمائية هو جعل حياة العامل أكثر تكلفة بدرجة كبيرة. من المعروف بان الالية الاهم لتنامي الصناعة "الوطنية " في إطار الرأسمالية هي اخضاع الطبقة العاملة وتشديد درجة استغلالها وخلق جيش هائل من العاطلين.

لذا فان تسويق مطلب حماية الصناعة "الوطنية" الذي يخدم مصلحة أحد اجنحة البرجوازية على انه مطلب يمثل مصالح كل الجماهير والطبقة العاملة هو دعاية شعبوية وزج الطبقة العاملة معصوبة العينين في الصراع بين الاجنحة البرجوازية وسوقها وراء الدعاية القومية. يجب ان يكون واضحا هنا انني لا أقول بان على الطبقة العاملة الدفاع عن مطالب جناح البرجوازية الذي يدعو الى "التجارة الحرة" والاتفاقات التجارية العالمية. لان "التجارة الحرة" والاتفاقات التجارية التي تبرم من قبل الحكومات التي تمثل مصالح الشركات الاحتكارية ليست هي الأخرى تلتقي مع مصالح الطبقة العاملة. لقد وجدنا مرة بعد أخرى رياء وكذب أنصار "التجارة الحرة" بانها ستجلب الرفاهية والوظائف.

تخلق الظروف، التي تترتب على "التجارة الحرة" التي تؤدي الى رخص الأسعار، نشوب سباق نحو القاع بين الدول والمناطق المختلفة فيما يخص أجور العمال ومستحقاتهم وظروف العيش والعمل التي تفرض عليهم وفيما يخص خفض الضرائب على الشركات الاحتكارية وتقديم الدعم الحكومي لها واشكال التنازلات الاخرى من اجل جذب الاستثمار والتي كلها تسرق من مائدة العامل.

كما انني لا أقول بانه لا يتوجب على أي دولة تبني إجراءات حمائية، باي شكل من الاشكال، او لن يكون هناك وجود للإجراءات الحمائية في حال وصلت الطبقة العاملة الى الحكم في بلد معين. ما اود التأكيد عليه، هو ان الصراع بين أنصار "التجارة الحرة" وأنصار الحمائية هو صراع بين الاجنحة المختلفة للبرجوازية حول تقاسم الربح ومصمم لخدمة مصالح هذه الاجنحة، وليس من مصلحة او واجب الطبقة العاملة الاصطفاف مع أي جناح، وليست وظيفة الطبقة العاملة تمكين الرأسمالي من تحقيق الربح.

ان نضال الطبقة العاملة يجب ان يكون منفصل عن هذا الصراع وهذين البديلين. ان بديل الطبقة العاملة لحل المشاكل التي تواجه المجتمع يجب ان يكون مختلف عن سبل الحل التي يطرحها جناحي

البرجوازية. فدعم أي من الحلين سوف يؤدي الى خسارة الكادح والعامل. يجب ان يكون سبيل حل العامل، بالإضافة الى استيراد السلع الرخيصة من أي مكان كان، هو ضمان بطالة كافي، تخفيض ساعات العمل وتحسين الخدمات وضمان التقاعد وتحسين ظروف العمل وإلغاء العمل بالقطعة والفصلي والوقتي الخ.

كما يقول كورش مدرسي "ان نزاع الرأسماليين حول استيراد البضائع او عدم استيرادها ليس من اجل تحسين حياة الطبقة العاملة. بل يتعلق الامر اساساً بتقاسم الربح. انه نزاع حول مفاهيم هامشية في المجتمع الرأسمالي، تسعى من خلاله الاقسام المختلفة للبرجوازية ان تلفت انتباه الطبقة العاملة لها، وان تحشدها وتعبئها خلف ظهرها. ينبغي فصل هذه المناورات السياسية وهذه النزاعات عن واقع الرأسمالية نفسها".

ليس بإمكان العراق الذي يفتقر الى استقرار سياسي وأمني والى الكثير من البنية التحتية الأساسية بما فيها حتى الكهرباء كمصدر للطاقة من جذب الاستثمارات والصناعات الجديدة، وفي الوقت ذاته، لا يمكنه منافسة البضائع الاتية من الصين وتركيا من خلال تكنولوجيا عقد السبعينيات من القرن العشرين. ان بناء الصناعة في العراق في ظل الرأسمالية، يتطلب خلق بيئة ملائمة للاستثمار من امن وبنية تحتية وإبقاء الأجور منخفضة بما يعنيه من تكثيف الاستغلال وخلق جيش من العاطلين والتركيز على الصناعات والميادين التي للعراق افضلية على الدول الأخرى، وليس فرض التعريفة الجمركية. هذه كلها أمور تعرفها البرجوازية وخبرائها ومشاوريها.

ولكن ليست مهمة الشيوعيين وفعالي الطبقة العاملة ابداء المشورة للبرجوازية حول بناء الاقتصاد الرأسمالي، ولا مهمتهم النضال من اجل تنمية او حماية الصناعة "الوطنية". ان مشاركة البرجوازية في تحقيق هذا الهدف من خلال اليات مثل الحمائية يعني التخلي عن حقوق العمال. فالشيوعيون يناضلون من اجل الرفاه وضد الاستغلال. واي نجاح يحققوه لصالح الطبقة العاملة، سياتي من النضال في هذا الميدان، وليس بناء الاقتصاد الرأسمالي والصناعة "الوطنية".

من جهة أخرى، يؤدي الاصطفاف مع جناح من اجنحة البرجوازية من اجل حماية الصناعة " الوطنية" بنا في المطاف الأخير الى احكام أخلاقية، فيما يخص رأسمالية جيدة تستند على الصناعة " الوطنية" والتصدير ورأسمالية سيئة تستند على التجارة والاستيراد.

لايمكن ادامة الحمائية!

ثانيا: الحمائية اجراء غير عملي وتخلق وضع لأيمكن ادامته. ان أحد عناصر قوة الإنتاج الرأسمالي هو قدرته على انتاج بضاعة رخيصة. فالمنافسة بين منتجي البضائع والخدمات المحليين، اي داخل بلد معين او على المستوى العالمي تؤدي الى افلاس الصناعات التي لا يمكنها المنافسة في انتاج بضائع رخيصة، طبعا قبل الوصول الى مرحلة الاحتكار والذي ليس موضوعنا هنا.
تؤدي الية السوق الى توازن الأسعار في المطاف الأخير على مستوى البلد او المستوى العالمي، الا إذا وضعت عوائق امام عمل هذه الالية. فاذا لم يكن بإمكان الصناعات المحلية من بيع البضائع بنفس أسعار البضائع الأجنبية وتحقيق الربح سوف لن تدوم. يعتبر التصدير والاستيراد الالية التي تؤدي الى توازن الأسعار على المستوى العالمي. ان محرك الاقتصاد في أي مجتمع يعيش في إطار

العلاقات الرأسمالية هو الربح. ويتم الاختيار بين الإنتاج المحلي او الاستيراد على أساس ايهما يحقق ربح أكثر.

في ظل النظام الرأسمالي، يأمن الانسان معيشته من خلال الية السوق. طبعا هناك من يشتري البضاعة على أساس مكان صناعتها او فيما إذا كانت تتوافق مع المعايير البيئية الخ، ولكن عادة يفرض نمط المجتمع الرأسمالي على العامل، لكي يتمكن من العيش بشكل أفضل، بان يشتري ما هو أرخص من البضاعة بغض النظر عن مكان انتاجها، وهذا ما يحدث في الواقع في اغلب الأحيان. فرغم هستيريا البرجوازية الغربية واعلامها ضد الصين تجد ان الغالبية العظمى من البضائع التي يتم اقتنائها في هذه الدول هي صينية الصنع لان هذه البضاعة هي اما أرخص او بنوعية أفضل او الاثنين. يجب ان اضيف ان "كون البضاعة في الأسواق العراقية من نوعية رديئة" هي من متطلبات السوق في هذا البلد، وليس لان الإنتاج الصيني او التركي هو من نوعية رديئة. ضمن نمط الإنتاج الرأسمالي، الحصول على بضاعة رخيصة الثمن هي مسالة حياتية. قيام الفرد في المجتمع الرأسمالي بشراء ما هو أرخص من البضائع هو ما يحدد من هو القادر على تحقيق الربح والنجاح، الصناعة المحلية او الأجنبية.

ان فرض التعريفة الجمركية في ظل النظام الرأسمالي، هو العمل عكس الية من اليات عمل النظام الاقتصادي الرأسمالي التي تعتبر عنصر قوته والتي تخفف من قسوة حياة العامل وهي انتاج بضائع وتوفير إمكانات الرفاهية بأسعار رخيصة لان التعريفة الجمركية تؤدي الى ارتفاع الأسعار وزيادة المعاناة. إزالة هذه الالية التي تعمل لصالح العامل والكادح عادة ما يرافقها تشديد استغلال العامل او على الاقل بقاء الاستغلال بنفس الدرجة مما يجعل حياة العامل والكادح جحيم لا يطاق.

تعتبر الحمائية وفرض التعريفية الجمركية جزء كبير من شعار ترامب "أمريكا أولا" الذي يفترض ان يعيد التصنيع الى أمريكا. من المعروف ان الرأسمالي يترك أمريكا والدول الغربية الأخرى التي فيها الأجور عالية وينتقل الى دول فيها أجور منخفضة مثل الصين. جاء ترامب لعكس هذه الظاهرة، وبعكس قوانين الرأسمالية، لذا التجا الى خفض الضرائب لجذب الاستثمارات والحروب التجارية الخ. وقد اثبتت الوقائع بان أمريكا بضخامة اقتصادها وكل عناصر القوة التي لديها لا تتمكن من تحقيق هذا الهدف. فقد كان الاقتصاد الأمريكي والعالمي على وشك الدخول في ازمة اقتصادية حتى قبل جائحة كورونا وسياسات ترامب الحمائية هي احدى الأسباب.

الاقتصاد الرأسمالي اليوم معولم ومتشابك الى حد كبير، وأكثر من أي وقت اخر، لذا يصبح عكس هذه العملية أصعب من أي وقت مضى، ويجعل عملية بناء اقتصاد خارج السوق العالمية للرأسمالية امرا غير ممكنا. لا يمكن ادامة اقتصاد قائم على منع الاستيراد، وانتزاع ربح كبير على حساب الطبقة العاملة.

للاقتصاد الرأسمالي قوانينه. ومن هذه القوانين هو سيادة البضائع الرخيصة. لا يمكن تحقيق تقدم اقتصادي ونمو عن طريق العمل بالضد من هذه القوانين. لقد أصبحت الصين مثلا مصنع لكل العالم عن طريق العمل ضمن قوانين النظام الرأسمالي نفسه. لقد عرضت الصين على الرساميل الأجنبية فرصة الاستثمار في الصين التي تتمتع باستقرار سياسي وأمني والوصول الى سوقها الكبير والنامي وطبقة عاملة منضبطة ورخيصة مقابل الدخول في شراكة مع الرساميل الصينية وما يعنيه من نقل

للتكنولوجيا. لان الحمائية اجراء اقتصادي يعمل بالضد من الاليات الطبيعية للاقتصاد الرأسمالي، لم يتمكن مجتمع رأسمالي من النجاح وتحقيق نمو اقتصادي والديمومة لمدة تذكر عندما حاول عزل نفسه عن العالم وحماية إنتاجه المحلي قليل الربحية. ليس هناك اي مستقبل، لاي نظام رأسمال، خارج السوق العالمية للرأسمالية. فبالإضافة الى خلق كارثة اقتصادية، تؤدي الحمائية الى زيادة السخط على السلطة نتيجة غلاء المعيشة مما يحد من قدرتها على الاستمرار على هذا النهج.

ألحمائية وخلق الوظائف!

ثالثا: الحمائية لا تؤدي الى خلق الوظائف.

ان أحد الأسباب وراء الحمائية، او على الأقل احدى الحجج التي تسوقها البرجوازية للدفاع عن مطلب الحمائية، هو انها تؤدي الى خلق الوظائف. ولكن في الاقتصاد العالمي المعولم، من الصعب التنبؤ فيما إذا كان اجراء حمائي سيؤدي الى خلق الوظائف ام لا. ليس بمقدورافضل خبراء الاقتصاد معرفة فيما إذا كانت المحصلة النهائية لأجراء اقتصادي مثل فرض التعريفة الجمركية في مصلحة اقتصاد البلد ام لا، لسبب لانه هناك عدد هائل من العوامل التي تحدد النتيجة النهائية والكثير منها ليس تحت سيطرة حكومة البلد الذي يفرض مثل هذا الاجراء. فرضت ادارة ترامب تعريفة جمركية على الصلب والالمنيوم اعتقادا بانها ستؤدي الى خلق الوظائف، ولكن المعطيات الموجودة في الوقت الحاضر تشير الى ان هذه التعريفة أدت الى فقدان خمسة وظائف في قطاعات مثل صناعة السيارات والانشاءات والزراعة والقطاعات الاخرى مقابل كل وظيفة في قطاع صناعة الصلب والالمنيوم. وهذه ليست النتيجة النهائية لهذه التعريفة، اذ ان النتيجة النهائية ستأخذ سنوات قبل ان تصبح واضحة. ان التعريفة الجمركية لا تؤدي فقط الى زيادة سعر الألومينيوم والصلب مما يؤثر على أسعار الكثير من البضائع مما يجعلها غير قادرة على المنافسة فحسب، بل ان الدول الأخرى ترد بإجراءات مماثلة، فمثلا الصين فرضت ضريبة على المواد الزراعية الامريكية، مما يؤدي الى فقدان الوظائف في هذا القطاع، وبعض هذه الوظائف قد لا تعود حتى في حال توقف الحرب التجارية، لان المشتري الصيني قد يجد بائع صويا مثلا في البرازيل، او أي دولة اخرى. ليس بعملية بسيطة بالنسبة للدول تغيير الممولين والزبائن.

من جهة أخرى ان ارتفاع الأسعار نتيجة التعريفة الكمركية تؤدي الى افقار الطبقة العاملة وتقليص قدرتها الشرائية، وبذلك يقل الطلب على البضائع والخدمات الأخرى، وبالتالي تؤدي الى فقدان الوظائف.ان صعوبة التنبؤ بنتائج السياسات الحمائية في ظل الاقتصاد الرأسمالي العالمي المترابط وخاصة فيما يتعلق بخلق الوظائف هو سبب اخر ان لا تكون السياسة الحمائية مطلب من مطالب الطبقة العاملة.

التجارب السابقة تشير بان الحمائية لا تؤدي في اغلب الأحيان الى خلق او حماية الوظائف في المحصلة النهائية، وفي الحالات التي تؤدي الى حماية او خلق الوظائف، فأنها عادة ما تكون بشكل مؤقت، لأنها في النهاية تؤدي الى إزالة الحوافز للتطور والابتكار.
وهناك مئة طريقة وطريقة بإمكان الدولة ان تتبعها من اجل خلق الوظائف، ولكن يجب ان لا يكون منع الاستيراد من اجل دعم "الصناعة الوطنية" أحد هذه الطرق او على الأقل يجب ان لا تحظى بتأييد الطبقة العاملة لأنها بالضد من مصالحها.

ان غلق المصانع والمعامل في العراق لابد ان يلقي بألاف العمال الذين يعملون في هذه المعامل والمصانع في البطالة، الا ان حماية هذه المصانع والمعامل سوف يؤثر بشكل سلبي على المحصلة النهائية لعدد الوظائف في هذا البلد.

الحمائية وحصة الطبقة العاملة من ثروة المجتمع!

رابعا: الحمائية يعني زيادة حصة البرجوازية من ثروة المجتمع على حساب الطبقة العاملة.

ان إعادة تشغيل الصناعة "الوطنية" في العراق التي لا يمكنها مجاراة الصناعة الأجنبية في انتاج بضاعة رخيصة وبجودة عالية يكون ممكنا من الناحية العملية اما عن طريق منع الاستيراد او فرض تعريفة جمركية عالية على البضاعة المستوردة من الدول الأخرى مثل الصين وتركيا. ان الأجور في العراق ليست مختلفة عن الأجور في الصين بدرجة كبيرة، لذا فان الفارق الكبير في سعر البضائع يعود الى حقيقية ان الصناعة في الصين هي كثيفة الرأسمال أي تستخدم تكنلوجيا متطورة بأضعاف المرات إضافة الى الاستفادة من ضخامة الإنتاج، أي انها تنتج لسوق عالمي ضخم جدا. المصانع والمعامل العراقية تستخدم تكنولوجيا السبعينيات من القرن العشرين وتنتج كميات محدودة لسوق محدود. لا يوجد أي وجه مقارنة بين الصناعتين واي فرصة للمنافسة، لذا فان تعويم الصناعة المحلية يعني فرض تعريفة جمركية بمقدار يجعل البضائع الصينية أغلى من البضائع المنتجة في العراق، وهذا سيعني رفع الأسعار بشكل جنوني. ان من يدفع التعريفة الجمركية هم المواطنون في الدولة التي تفرض التعريفة، أي العراق، وليس المنتجون في الصين. اي ان التعريفة الجمركية هي في الأساس ضريبة على مواطني البلد. وهي ضريبة تنازلية أي تضر بالفقراء أكثر مما تضر بالأغنياء.

وفيما يتعلق بالقطاع العام، بإمكان الدولة ادامة صناعة غير مربحة عن طريق إبقاء الأسعار منخفضة بشكل مصطنع من خلال دعم هذه الصناعة من الأموال العامة، الا ان هذه الأموال في المطاف الاخير تسرق من العامل والكادح، ولكن تظهر على شكل خدمات اقل وبالأخص التي تقدم للطبقة العاملة مثل التعليم والصحة والضمانات الاجتماعية وهدر أموال كان يفضل صرفها في مجالات اخرى.

كما يمكن تمكين الصناعة العراقية الخاصة من المنافسة عن طريق تقديم دعم مالي لها من قبل الحكومة. يعني هذا الاجراء استخدام الأموال العامة سوء كانت أموال النفط او الضرائب وتحويلها الى جيوب الرأسماليين على شكل أرباح من اجل ان يقبلوا بتشغيل رساميلهم واستغلال الطبقة العاملة. وهي أسوأ طريقة يتم صرف هذه الأموال. يجب بدلا من ذلك ان تصرف على ضمان بطالة وتقاعد وخدمات وتعليم وحل المشاكل الأخرى التي تواجه الطبقة العاملة والكادحين. تاتي كل أنواع الدعم التي يقدم للصناعة المحلية من جيب الطبقة العاملة.

لذا فان دعم الصناعة " الوطنية" يعني زيادة حصة الرأسماليين من ثروة المجتمع وتقليل حصة الطبقة العاملة من مجمل ثروة المجتمع بما فيه على شكل أجور وخدمات اجتماعية وضمانات، وتفرض الفقر، غياب الأمان والاستغلال المتعاظم للطبقة العاملة .

من جهة أخرى، لمواجهة ارتفاع الأسعار الناتج عن السياسة الحمائية سوف يتم شن هجمة على

العامل لإجباره على خفض اجوره، إطالة ساعات عمله، والتنازل عن الضمانات والمستحقات والخدمات التي حصل عليها. هذا ما يحدث يومياً في كل مكان.

قد تساعد الحمائية على الحفاظ على قدر من الوظائف وتحقيق ربح للقطاع الخاص في العراق، وتحسين وضع البرجوازية المحلية بشكل مؤقت، الا ان هذا سيكون على حساب الطبقة العاملة. سوف يؤثر بشكل سلبي على المستوى المعيشي للعامل في العراق على شكل ارتفاع الأسعار، قلة خدمات، رداءة نوعية البضائع وقلة الخيارات. ان الربح الذي سيحققه البرجوازي العراقي من خلال التعريفة الكمركية سوف يسرق من مائدة العامل والكادح في العراق بشكل او باخر.

ويؤدي هذا الامر الى تنشيط التهريب عبر الحدود مع الدول المجاورة مع كل ما يرافق هذه الظاهرة من سلبيات والتي ستحتاج الى أموال وموارد لكبحها نتيجة الفارق في الأسعار بالمقارنة مع الدول المجاورة. هذا يعني ان منع الاستيراد او تقيده بحاجة الى أموال، اذ يتطلب شرطة وقوات امنية على الحدود وصرف أموال على مكافحة التهريب.

من جهة أخرى، لن يتم إعادة تشغيل الصناعة العراقية في الفضاء الخارجي، فالتعريفة الجمركية التي تفرضها الحكومة العراقية سوف يتم الرد عليها من قبل الدول الأخرى من خلال تعريفات مماثلة، حتى وان كانت صادراته محدودة، او من خلال وسائل أخرى كأن لا يعامل بتفاضل في التجارة والاستثمار الخ. في الحالات القصوى، قد تؤدي الحمائية هي الهجرة الى الخارج، وحتى فقدان البلد إمكانية ان يكون مركز للعلم والثقافة والتكنلوجيا.

الحمائية والنضال الطبقي!

خامسا: يؤدي دعم الصناعة المحلية الى اضعاف النضال الطبقي:
عندما تصبح مسالة حماية الصناعة "الوطنية" التي بالكاد يمكن ابقائها على قدميها من خلال إجراءات حمائية هدف الطبقة العاملة، عندها لن يكون بإمكان العامل المطالبة بأبسط حقوقه وسيسلب من العامل إمكانية النضال بأي شكل من اشكال، لان حقوق العمال تتعارض دائما مع مصالح الرأسمال بما فيها فرصة بقائه. فأي نضال من اجل تحسين وضع العامل يعني تقليل ارباح صاحب الرأسمال وحتى زيادة فرصة افلاس مشروعة الصناعي. على الأقل سيتم استخدام احتمال افلاس المشروع كسلاح ضد العامل. في الحقيقة تستخدم مسالة حماية او خلق الوظائف بشكل فعال من قبل البرجوازية لشن هجمة قوية على مكتسبات الطبقة العاملة خاصة في الدول الغربية. فمقابل إبقاء المعمل والمصنع مفتوحا ومحافظة العامل على فرصة عمله يطلب منه التخلي عن معظم مكاسبه وتقليل اجوره واطالة ساعات عمله. هذا كان اهم سبب أدى الى اضعاف النقابات العمالية في الغرب. ليس بإمكان النقابة وضع أي ضغط على أصحاب العمل اذ ان أي ضغط يواجه بنقل الإنتاج الى دول أخرى او الأقل بتهديد على القيام بذلك. أي اصبح خطر نقل الإنتاج الى مكان يحقق ربحية اعلى وفقدان الوظائف احد اليات تشديد درجة الاستغلال وجعل الإنتاج اكثر ربحية.

ان أداة الضغط على الرأسمالي هو الاحتجاج وخطر إيقاف العمل، وبالتالي إيقاف الربح. ان العامل الذي يصبح حماية الصناعة " الوطنية" هدفه يتخلى عن هذا السلاح لتحسين وضعه وحتى المحافظة على مكاسبه وتسلب منه كل امكانية النضال وبالمقابل تطلق يد الرأسمالي لإدامة صناعته على

حساب اجور ومعيشة وظروف عمل العامل. كما يقول كورش مدرسي

"ان رأسمالية تحافظ على صناعتها عبر نفي نضال العمال ومساومة المجتمع له، سترد مع اول احتجاج عمالي "ساغلق المصنع"، "لا اجني ربح منه"!" ويضيف " ان عامل لا ينتج ربح في صناعته ليس بوسعه ان يناضل. ان هذه الوضعية تضع العامل غير العاطل بمكان أسوأ للاحتجاج. مع اول بادرة عدم رضا في العمل حتى يقولوا له عليك ان تشكر الله لان لديك عمل!"
"لماذا ينبغي علينا ان ندفع الضريبة من مائدتنا لرأسمالي يهدد بنقل رأسماله الى مكان اخر يستطيع ان ينال ربحاً اكثر فيه؟ ماهي الخطوة اللاحقة؟ كي تزداد أرباحه، علينا ان نزيد ساعات العمل بشكل طوعي؟ نخفض اجورنا؟ ان نقبل بان تخفض الدولة الصحة ومجمل الخدمات حتى يحقق الرأسمالي ربحاً كافياً؟ ان السبيل الذي يضع العامل بهذا الشكل مع الرأسمالي، يدفعه للخضوع الكامل. انه عامل على استعداد للعمل بنصف الاجر، وان يدفع للسكر او قطعة القماش او حجر القبر ضعف ثمنه كي يكون له عمل. ليس هذا هو سبيل الخروج من هذه المعمعة ومن العبودية التي فرضها الرأسمالي على الطبقة العاملة. انه سبيل تأبيد عبوديتها"

من جهة أخرى، تعني الحمائية اصطفاف الطبقة العاملة العراقية مع الرأسمالي العراقي ضد مصالح طبقتها في الدول الأخرى، في حين ان مصلحة الطبقة العاملة العراقية هي مع الطبقة العاملة في الصين وتركيا وايران وبالضد من مصلحة كل البرجوازية بما فيها البرجوازية العراقية. ان سبيل حل الطبقة العاملة للمشاكل التي توجه المجتمع هي متمايزة عن مجمل البرجوازية، ويعتبر النضال الاممي مع الطبقة العاملة جزء أساسي من سبيل الحل هذا.

لقد اثبت التاريخ ان مضار السياسة الحمائية على الطبقة العاملة تفوق بأضعاف المرات الفائدة التي تقدمها. لذا ان الدعوة الى تشغيل الصناعة "الوطنية " بغض النظر عن الخلفية الاقتصادية هو موقف أخلاقي يرى في التصدير امر جيد، ويرى في الاستيراد امر سيء.

سمير عادل

الشيوعية العمالية والمنهجية الثورية

قدم هذا الموضوع في ندوة اقيمت في بغداد على قاعة نازك الملائكة بمناسبة اسبوع منصور حكمت في حزيران 2018

مرحبا بكم ايها الصديقات والاصدقاء والرفيقات والرفاق الحضور في هذه المناسبة ، مناسبة اسبوع منصور حكمت.

قبل البدء في تقديم موضوعي الذي هو بعنوان "الشيوعية العمالية والمنهجية الثورية"، اود ان اوضح مسالة مهمة، اثيرت من قبل بعض الاصدقاء حول هذه المناسبة والهدف من اقامتها. فليس صحيحا ابدا ان نقيم هذه المناسبة السنوية لأننا امتداد لذلك التيار الذي اشير اليه باننا نؤمن بعبادة الشخصيات وتأليههم. ليس هذا ابدا غايتنا ولا هو مرتبط بتيارنا لا من قريب ولا من بعيد. نحن ننظم هذه المناسبة للتعريف بتمايز خطنا عن بقية الخطوط على الصعيد النظري والسياسي والاجتماعي والعملي التي تدعي تبنيها للشيوعية اولا، وايضا للتعريف بإسهامات المفكر والقائد الشيوعي وحقا احد معلمي الطبقة العاملة بعد ماركس وانجلز ولينين، وهو منصور حكمت. فكما ذكرت في نفس المناسبة التي اقيمت العام الفائت لو قدر للحركة الشيوعية العمالية الانتصار مثلما انتصر البلاشفة في ثورة اكتوبر لكانت اسهامات منصور حكمت معروفة ومشهورة وتلاقي الانتشار الواسع عبر العالم مثل اسهامات

لينين النظرية والسياسية والاقتصادية في الفكر الشيوعي.

ان الشيوعية العمالية كما يقول قائدها ليست هي العودة الى الماركسية الاصيلة ، بل هي الماركسية. وكل شخص مطلع على البيان الشيوعي والايديولوجية الالمانية وراس المال يدرك ببساطة صحة كلام منصور حكمت بأن الشيوعية العمالية هي الماركسية.والشيوعية العمالية ليست مدرسة فكرية كما يحاول البعض تعريفها، بل هي موضوعة العامل في قلب نظرية الاستغلال اي ان العامل ظاهرة اجتماعية وهذا هو اساس الماركسية التي تحدثت عنها الشيوعية العمالية.

ان ماركس لم يدرس المجتمع بدون طبقات ، وان كل الظواهر الاجتماعية مثل الدين والاستغلال والفقر ليست منعزلة عن صراع الطبقات. ولذلك فان تحويل ماركس الى عالم اقتصادي وتجريد جميع اطروحاته التي تقول وتؤكد على نقد النظام الرأسمالي وبعد ذلك العمل على تغييره هو عمل منظم واستغرق عقود من الزمن من قبل الأكاديميين والجامعيين والكتاب والاقتصاديين والفلاسفة البرجوازيين . اي تجريد العامل من فهم اوضاعه الاقتصادية وانحطاط مكانته الاجتماعية وبالتالي تجريده من سلاح التغيير. ذلك هو اساس الماركسية الذي انفق منصور حكمت كل حياته من اجل تبيان هذه الحقيقة.

ان منهجية منصور حكمت الفكرية والسياسية والاجتماعية وعلى الصعيد العملي هي نفس منهجية ماركس في نقده لموضوعات فيورياخ، والتي تؤكد على العنصر الانساني ودوره بالتغيير. ومن جانب اخر ان هذا التغيير مناط بدور الطبقة العاملة الثوري. اي بعبارة اخرى ان منهجية منصور حكمت هي المنهجية الماركسية في نقد النظام الرأسمالي ، ونقد بنائه الفوقي من ايديولوجية ودين وفلسفة وسياسة واقتصاد واخلاق وقانون..الخ. ولكنه لم يكتف بالنقد بل بالفعل الثوري اي التغيير وتقديم البديل للنظام الذي يولد كل لحظة مصائب من حروب ودمار وفقر. وان هذه المنهجية هي اساس مقولته الشهيرة بأن الاشتراكية ليست حتمية.اي ان الثورة العمالية من الممكن ان تنتصر ومن الممكن الحاق الهزيمة بها ، وان دور الممارسة الثورية ، اي دور حزب الطبقة العاملة والعوامل الذاتية الاخرى سيكون حاسما في عملية الانتصار والهزيمة.

ان هذا المنهجية تقودنا الى نقطة مهمة وهي ان الشيوعية العمالية او الماركسية ليست منهجية لا تتجاوز التحليل او كما يقال عنها، عقلانية ومعرفة، بل منهجية لدور العامل الانساني في التغيير. اي نحن لسنا مجموعة من المثقفين المحللين الجيدين وينظر الينا على اننا من النخب وعلية القوم ، وانهم بسبب ثقافتنا ومعلوماتنا يكنون لنا الاحترام والتقدير، ولسنا اناس منعزلون عن الحياة اليومية للعمال والنساء والشباب. البرجوازية تحترم ذلك النوع من الشيوعيين وهذا النوع من الماركسيين المنظرين فحسب ، والبرجوازية على استعداد لازالة العوائق لظهورهم الاعلامي وفتح ابواب مجلاتها وصحفها لهم طالما هم لا يقولون بان الماركسية هي نقد للنظام الرأسمالي ويجب تغيره بشكل ثوري. نحن لسنا حزب المثقفين ، او حزب المحللين الجيدين فقط ، بل ينبغي ان نمتلك هذه الرؤية وهذا التحليل كي ندرك ما هي العوائق الرئيسية التي تقف حائلا امام الدور التاريخي للطبقة العاملة في قلب هذا النظام البرجوازي الطائفي والاسلامي – القومي الى نظام اخر يكون فيه الانسان عندما يسير او يمشي في شوارع بغداد او البصرة او الموصل او كركوك لا يساله احد هل انت شيعي او سني، كردي او عربي او تركماني، مسلم او مسيحي او ايزيدي او صابئي، تشعر المرأة بأن انسانيتها غير مستلبة وانها متساوية الحقوق مع الرجل على صعيد القوانين وعلى الصعيد السياسي والاجتماعي،

يعيش العامل وهو مطمئن على مستقبله ومستقبل اسرته ويحصلون على التعليم والصحة المجانية، ويعيشون في مسكن لائق، ولا يخافون من غد العوز والحاجة ، يشعر الطالب والشاب بأن هناك فرصة عمل ينتظره عندما يتم دراسته، او انه يستطيع ان يمارس حقوقه وحرياته الانسانية دون ان يكون هناك متطفل عليه او من يترصد له.

لذلك تحدث منصور حكمت على ان الشيوعيين يجب ان يدخلوا الميدان السياسي، من خلال الصراع على السلطة السياسية ، وان يكونوا جزء من المعادلة السياسية. دون هذه المنهجية لأي حزب ماركسي او شيوعي ، من الممكن ان يكون ذلك الحزب مجموعة من الواعظين اوالمحللين السياسيين او فرق اصدار البيانات والمواقف ، ولكن لا يمكن ان يكون حزبا سياسيا، يمتلك ثقة واعتبار العمال الذين يربطون مصيرهم بمصير الحزب، محل ثقة واعتبارالاقسام الاجتماعية المسحوقة والمحرومة في المجتمع. هذا ما يعلمنا منصور حكمت وهذه هي المنهجية الثورية لماركس التي تلخصها مقولته الشهيرة ان الفلاسفة قاموا بتفسير العالم لكن المهمة تقوم على تغييره.

ان منصور حكمت عندما قام بنقد التجربة السوفيتية والتحليل النظري والسياسي للثورة الايرانية والطبقات الاجتماعية المتصارعة فيها ودور ومكانة الدولة ، ودور وتدخل الشيوعيين فيها، ونقد حرب الخليج الثانية والنظام العالمي الجديد الذي انبثق على جماجم الاف من العمال والكادحين في العراق وتحدث عن مكانة "الديمقراطية في عالم اليوم والمسالة القومية ونقد الحركات الاجتماعية الاخرى، وعلاقة الحزب بالطبقة العاملة وعلاقة الحزب بالحركات الاجتماعية الاخرى، انما انطلق من موقع الطبقة العاملة، مثلما انطلق ماركس في تحليله للمجتمع الرأسمالي ولينين في نقد مجمل الحركات التحريفية والبرجوازية في المجتمع الروسي.

ولذلك عندما نقول ان الماركسية هي الراية النظرية لحركة العمال الاحتجاجية ، تنقلب الدنيا وخاصة نفس اولئك الذين بدلوا راية ماركس من راية الحركة العمالية الى راية محاربة الاستعمار وراية الدفاع عن الصناعات الوطنية والمساومة مع البرجوازية بحجة انها وطنية من اجل الوطن والوطنية ، الى راية حركات اجتماعية اخرى. نفس اولئك ينكرون اليوم وجود الطبقة العاملة في العراق، وبأن العراق غير مهيأ للتحول الاشتراكي،او يذكرون قلتها العددية، او يبررون بأن تطور التكنيك سيحل محل العمال..واخيرا ان الغاية من هذا التحليل كي يصل بالعامل الى أن الشيوعية العمالية وحزبها متطرفون ولا يعبرون عن الواقع او لا يعترفون به. بهذا المنطق يتحول ماركس الى طوباوي ومجمل طروحاته الفكرية والسياسية والاقتصادية هي ايضا طوباوية او في أحسن الاحوال الى عالم اقتصادي او فيلسوف.

ولذلك كما يؤكد ماركس في البيان الشيوعي على عالمية الطبقة العاملة وعالمية النظام الرأسمالي، يؤكد منصور حكمت على دور الطبقة العاملة الحاسم في انهاء النظام الرأسمالي. اذ لا ينظر الى الطبقة العاملة من الناحية العددية ولا من زاويتها المحلية، بل من خلال ان علاقات الانتاج الرأسمالية اصبحت علاقات انتاج عالمية وان الطبقة العاملة هي طبقة اممية.

اليوم اذا سمحتم لي اود استغلال هذه المناسبة كي ارد على مسالتين بخصوص اولئك الذين يتهجمون على الشيوعية العمالية وحزبها، فهم نوعان ولكن بمحتوى واحد، الاول الذي اشرت اليه قبل قليل يصفوننا بأننا متطرفين وغير واقعيين، وبأن الماركسية يجب ان تتغير وان الاتحاد السوفيتي انهار

وفشلت التجربة الاشتراكية ولذلك يجب النظر الى الماركسية، ان العالم يتغير، والماركسية تحب التجديد، وعليه يفبركون ويسفسطون هذه التنظيرات كلما اشتد النقد الشيوعي العمالي الى كل المفاهيم والحركات الاجتماعية، وفضح محتواها ، كي يصلوا بالتالي؛ يجب المساومة او التصفيق للجيش في الحالة المصرية عندما قام بالثورة المضادة بحجة الثورة ومطالب الشعب والتخلص من الاسلاميين، او والدخول بصفقات مع الاسلاميين والقوى القومية عبر صياغة مقولات طنانة مثل الكتلة التاريخية وغيرها مثل الحالة العراقية، او الحالة في سورية ووجهنا نقدنا لكل تصور بشكل مادي وسياسي حول ما حدث ومنذ الايام الاولى، اذ قلنا ان ما يجري ليس له علاقة بالثورة لا من بعيد ولا من قريب، انهم ليسوا اقل من عصابات الكونترا. وان جذرهم الاجتماعي يعود الى البرجوازية الصغيرة التي لعبت دورا تاريخيا مجيدا في الدفاع من الناحية السياسية عن (البرجوازية الوطنية) ، وفي مرحلة لاحقة عندما امست حتى البرجوازية الوطنية لا تقر بوطنيتها، وان رأسمالها اختلط بالرأسمال العالمي ، تحولوا الى مطبلين ومزمرين لماضي تلك البرجوازية التليد. وفي عصر عالمية النظام الرأسمالي، ابدى هذا التيار مقاومة عنيفة للحيلولة دون انزلاقه طبقيا الى صفوف الطبقة العاملة ، وفي نفس الوقت حاول سياسيا التعلق بالبرجوازية عسى ولعل ان يطرا تغييرا على مواقعهم الطبقية من الناحية الاقتصادية.

ان اولئك البعض من مدعي الماركسية لا يتجرؤن علانية على التخلي عن الماركسية والاعلان بأنها كانت خاطئة، بل يقفون مطأطئين الرؤوس امام عظمة الصرح الفكري والسياسي والاقتصادي لماركس، وكذلك يدفعهم حسهم الانتهازي الذي يتلخص بحاجتهم الى الماركسية الفارغة من من محتواها الاجتماعي الطبقي، عسى ولعل انه يمكن الاستفادة منها كسلاح في نضالهم الفكري والسياسي في ايام القحط كما كانوا في بداية القرن العشرين وحولوها الى راية حركة ليس لها علاقة بماركس ولا بالطبقة العاملة.

اما النوع الثاني فهو الاخر يعود جذره الطبقي الى مثقفي البرجوازية الصغيرة، الذي يزعق ويزمجر ومن موقع ادعاءهم بأنهم ماركسيين، بأن الشيوعية العمالية فشلت. اولئك ليس لديهم اي عمل ولا اي شغل شاغل بجميع التحولات الاجتماعية والسياسية في المجتمع، وتحول كل نضالهم، واوقاتهم ليلا نهارا ، بالدعاء على الحزب الشيوعي العمالي كي يستقيل هذا العضو او ذاك الكادر او ينشق منه اشخاص او حتى يموت من اعضاءه اشخاص ، بدل "اطلاق الدعوات" كأحد اشكالهم النضالية المبتكرة والجديدة كأضعف الايمان على البرجوازية وقذاراتها في كل مكان التي حولت العالم الى جحيم لا يطاق.. ان هؤلاء بهذا القدر من الانحطاط يرثى لحالهم وفقرهم الفكري والسياسي وما الت اليها اوضاعهم، بنفس القدر هم ايضا يخفون معاداتهم السافرة للتحزب. ان عقدة هذا الطيف هو التحزب.لان هذا الطيف او لنقل حتى هذا التيار يدرك جيدا ان الشيوعية العمالية تعني الماركسية ، وتعني البيان الشيوعي والايديلوجية الالمانية وراس المال كما أشرنا في بداية هذا الموضوع ، وتعني شيوعية متدخلة في الاوضاع السياسية وفي المجتمع ، وبدون التحزب لا يمكن الحديث عن أحداث تغييرات جدية لصالح الطبقة العاملة وعموم المحرومين في المجتمع. ان تحزب التيار الاشتراكي بالنسبة لهذا الطيف، بمثابة سلاسل تخنقهم كما يخنق تحزب الطبقة العاملة البرجوازية.لذلك فهم يحاولون لي عنق الماركسية عبثا ويقولون بأن الشيوعية العمالية هي ليست الماركسية.

ان ما يجمع محنة هذين النوعين من البشر هو جذرهم الاجتماعي الطبقي اي انحدارهم من

البرجوازية الصغيرة وعدم امتلاكهم الجرأة السياسية . اذ انهم ليسوا قادرين على الإجهارعلنا بان الماركسية غير صحيحة وولى زمانها، ولا بإمكانهم الدفاع عن الماركسية، مثلما فعل لينين ومنصور حكمت. الا ان الفارق بينهما هو ان النوع الثاني لا يتخلى عن الماركسية ، لان مكانته الاجتماعية واعتباره نابع من تعريف نفسه وتبنيه للماركسية، فتخيلوا ماذا يبقى لهم لو تخلوا عن الماركسية، والجواب لن يبق وجود اعتباري لهم ابدا. ان الماركسية بالنسبة لهؤلاء مثل بدلة وربطة عنق تغطي خوائهم الفكري والسياسي ومعاداتهم السافرة للطبقة العاملة، لانهم يريدون مع سبق الاصرار والترصد تجريد العمال من سلاح قلب النظام الرأسمالي وانهاء كل مصائبه ومآسيه ، عالم الاستثمار والاستغلال.

وفي الختام اريد ان الخص الموضوع الذي قدمته، ذلك ان الشيوعية العمالية تعني الماركسية، تعني لا مساومة مع البرجوازية في الحقل النظري والسياسي والاجتماعي. ان الماركسية ليست هي مثل الدواء، يمكن تخفيفها قليلا الى 4 مل او 20مل كي تتناسب مع المريض وصحته. ليس هناك ماركسية مخففة كما يطالب السادة مثقفي البرجوازية الصغيرة.

ان الشيوعية العمالية تعني اقتدار العامل بالدخول في الصراع على السلطة السياسية، تعني حقانية المرأة بمطالبتها بمساواتها المطلقة والكاملة مع الرجل في جميع الميادين الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، تعني صيانة وعدم مس الحقوق الفردية والحريات للشباب.

ان الشيوعية العمالية تعني انهاء عالم الاستثمار والاستغلال وعدم مساواة البشر. ان الشيوعية العمالية تعني تحزب الطبقة العاملة فلا معنى للشيوعية العمالية دون التحزب العمالي . من هنا يمكن رؤية منصور حكمت ومنهجيته في اعادة البريق الى الماركسية.

اننا ايها الحضور الاعزاء وفي عراق اليوم بأمس الحاجة الى هذه المنهجية الثورية. فمخالب وانياب القوى الاسلامية بجميع اشكالها الشيعية والسنية والقومية تنهش كل يوم جماهير العراق على الصعيد الامني والمعيشي والخدمي والصحي والتعليمي، ولا بديل امامنا اما انتظار الموت البطيء او بقلع هذه الانياب والمخالب.

نادية محمود

حقوق المرأة

و ضرورة النضال ضد التيارات الشعبوية

لمعرفة ماهي حقوق النساء، لماذا تتمتع النساء بقدر معين من الحقوق يختلف عما يتمتع به الرجل؟ وكيف حدث هذا التفاوت في الحقوق؟ يجب ان نعرف اولا كيف جرى تحديد هذه "الحقوق" و استنادا الى اي شيء جرى تحديدها؟

انطلاقا من تفسيرنا الطبقي فان الحقوق تحددت على اسس طبقية اقتصادية. حيث ان المجتمع الذي نعيش فيه هو مجتمع رأسمالي يقوده رجال لهم ايديولوجية سياسية وفكرية تريد الابقاء هذه الطبقة وان يكون لها السيادة والهيمنة . تبعا لذلك، فان النساء- باعتبارهم اناث- العمال، الاجانب، المعاقين جسديا، هم الفئات الاضعف، والاكثر تهميشا واقل حقوقا مقارنة بالرجل.

في هذا المجتمع الطبقي، جرى تقسيم العمل بين الرجال والنساء في انتاج ما يحتاجه البشر. الرجل انيطت له مهمة الانتاج، اما المرأة فاوكلت لها مهمة "اعادة الانتاج" او" تهيئة مستلزمات ألانتاج". اي ان يكون للرجل الدور في العمل خارج المنزل، مثلا في الصناعة، الزراعة، الخدمات، او اية مهنة اخرى، اما المرأة فقد عيّن لها ان تكون مسؤولة عن العمل المنزلي. اي ان تكون مسؤولة عن العناية بالزوج، اشباع حاجاته من طعام، ومنام، انجاب الاطفال وتربيتهم واعدادهم ودعمهم الاجتماعي والعاطفي. اي تهيئة قوة عمل حاضرا ومستقبلا للانتاج الرأسمالي. وبهذا اعتبر عمل

الرجل في الانتاج او في الخدمات، عمل مدفوع الاجر، له قيمة، بينما عمل النساء، عمل لا قيمة مادية له، ولا يقدر بثمن، ولا يدفع له اجر.

تمت صياغة قوانين وتقاليد وبنية فكرية فوقية باكملها من اديان وايدولوجيات واحزاب وسياسات بناء على هذا التقسيم وتوزيع الادوار على اساس جندري وضعت المرأة في موقع دوني، بحقوق اقل، مانحة الرجل حقوق اكثر، وله حق القوامة والوصاية والتأديب للمرأة. وسّنت القوانين التي تجعل المرأة في المرتبة الثانية، في مرتبة دنيا قياسا بحقوق الرجل. لقد ثبت هذا الموقع الدوني للمرأة بالنسبة للرجل الى درجة انه حتى وان كان الرجل في احايين لا يعمل في الانتاج، بل المرأة هي العنصر الذي له دور في الانتاج، والرجل لا يقوم باي عمل على الاطلاق كما يحدث في احايين كثيرة في الريف العراقي، الا ان الرجل بقي يتمتع بموقع ومكانة اعلى مقارنة بالمرأة، وبفرض هيمنته وسلطته عليها، حتى وان كانت مكانتها مهمة اقتصاديا للاسرة وهي التي تجلب الدخل الى العائلة.
الذي اسهم في وقتنا الحاضر في تثبيت هذا التمايز بين الرجل والمرأة، النظام الرأسمالي وتياراته الشعبوية التي لها وجود مؤثر وقوي في كل انحاء العالم. هذه التيارات الشعبوية قد تكون دينية، قومية، وطنية، يسارية-قومية. ولكن لنوضح ما هي الشعبوية.

ماهي الشعبوية؟

الشعبوية هي اي تيار يصيغ تصوراته للمجتمع على اساس ال" نحن" وفي الجهة المقابلة – الخصم هو ال " هم". تذوب في هذه ال"نحن،" كل التقسيمات الطبقية والجنسية على اساس الطبقة، الجنس، الجنسانية، فنحن "كل واحد"، والطرف الاخر، هو ال" هم" الخصم، العدو، المخالف، المعارض. الشعبوية في جوهرها تقوم على انكار وجود طبقات، وانكار وجود صراع طبقي داخل مجتمع ال " نحن". من هنا، لا تشكل قضية المرأة ومطالبها، العامل ومطالبه، الاجنبي، المثلي، ولا تحتل اية اهمية في تفكير التيارات الشعبوية على اختلافها. وهكذا يجب ان تنصهر حقوق المرأة، حقوق العامل، الاجنبي او قد يحرم بشر من الحقوق بسبب عدم انسجامهم مع هذا الجمع. الجمع الذي يصفه التيار الشعبوي بـ "اننا كلنا معا". ولطالما نسمع عبارات من قبيل" نحن في قارب واحد"! والحال اننا لسنا في قارب واحد. هذه ال"نحن"، مهيمن عليها من قبل طبقة مستفيدة، سائدة " ناطقة باسمنا جميعا"، تقوم بسوق وتحشيد الجميع تحت رايتها، وتسعى للتحدث باسمنا، بتخويل او عدم تخويل منا ورغما عن ارادتنا! التيارات الشعبوية لا تعترف بوجود مؤسسات وقوانين، بل تعتمد على وجود شخصيات كارزماتية تتحرك وكأنها هي القانون، ويجري اتباعها وطاعتها بغض النظر عن مؤسسات الدولة وقوانينها. شخصية ترامب، كشخص شعبوي هو نموذج في الولايات المتحدة، كما هو نظام صدام حسين في العراق، او مقتدى الصدر. يهدف هذا التيار في جوهره وفي حقيقته على المحافظة على النظام الطبقي القائم الذي يتميز بهيمنة الرجل على المرأة ويوظف من اجل هذا الهدف الفكر القومي والديني والعنصري وافكار التيار المحافظ اي الحفاظ على الوضع الحالي ومعاداة التقدم والتغيير.

التيار اليميني الشعبوي في امريكا على سبيل المثال معاد لحقوق المرأة نتيجة لفقدان الرجال الابيض لموقعه المتميز في المجتمع الذي استمر لمدة 150 عاما اي من 1820 – 1970، اي في فترة "دولة الرفاه" او "دولة الرعاية" كان الرجل يحصل على وظائف تدّر عليه دخلا كافيا وبضمانات عالية. الا انه مع تبني النظام الليبرالي القائم على تقليص موظفي دور الدولة، ودفع العاملين الى التوجه للقطاع

الخاص وما يعنيه ذلك من قلة اجور وانعدام ضمانات، مع توقف الزيادات في الرواتب فقد الرجل بسبب هذا الوضع الاقتصادي الجديد، موقعه الاقتصادي السابق. اضطر هذا الامر النساء لدخول سوق العمل من اجل تأمين دخل اضافي جديد يعوض عن النقص الذي حصل في دخل الرجل. من هنا دخلت المرأة في الانتاج بشكل اوسع، ومن هنا تم اتهام النساء من قبل التيار اليميني بان وجودهن في ميدان العمل وتحررهن قد قوّض من وضع الرجل وموقعه، وهو الاساس الذي يقوم عليه كل النظام الطبقي، اي الموقع المتفوق للرجل. لذا، تعتبر الشعبوية ضرورية لانها تسعى للمحافظة على موقع الرجال في الاسرة والمجتمع، وتريد تأبيد تفوقه.

التيارات الشعبوية اذن، هي تيارات برجوازية تهدف الى المحافظة على الوضع القائم وتستفاد من الفكر الديني والقومي والعنصري والفاشي من اجل تثبيت الهيمنة الطبقية للرأسمالية، وتثبيت هيمنة الرجل ايضا. لذا، يمكن تفحص " الحقوق" والاوضاع التي رسمتها التيارات الشعبوية سواء كانت قومية، دينية، فاشية، او تيارات مزيجة من اكثر من تيار فيما " اقرّته" من حقوق للمرأة. لنوضح كيف حددت وقررت التيارات الشعبوية حقوق المرأة.

كيف ينظر التيار الشعبوي الى حقوق المرأة؟

اولا: **دور المرأة في اعادة تهيئة مستلزمات الانتاج:** تعتبر التيارات الشعبوية ان العائلة هي الخلية الاولى والاساسية في المجتمع. وفي هذه الخلية الاساسية لبناء المجتمع تلعب المرأة الدور الاساسي والجوهري. يتضمن هذا الدورالعناية ورعاية افراد الاسرة والاستجابة لمتطلباتها على انواعها واختلافها. بينما يحتل الرجل دورا اقتصاديا من خلال تدبير دخل مالي للاسرة. اي لا يضع هذا التيار دور المرأة في الانتاج ودورها الاقتصادي الا في المرتبة الثانية وبشكل لا ينافس عمل الرجل.

ثانيا: **دور المرأة كحزام ناقل للقيم والعادات السائدة من جيل الى جيل.** قّرر للمرأة ان تكون حاملة فكر وعقيدة التيار الشعبوي. و انيطت بها مسؤولية ادامة الاعراف والتقاليد الاجتماعية والاخلاق. حيث اوكلت لها مسؤولية تربية الاجيال، اي نقل القيم والعادات واخلاق ألقوى السائدة والمسيطرة وصاحبة النفوذ في المجتمع الى ابنائها وبناتها. وبما ان الاسرة هي الخلية الاولى في المجتمع، فان النساء والامهات تحديدا سينقلن تلك القيم الاجتماعية الى كل الخلايا التي يتكون منها نسيج المجتمع، فتعم الافكار السائدة في المجتمع للاجيال اللاحقة عبر النساء والامهات. كلنا يتذكر الشاعر حافظ ابراهيم (الأُمُّ مَدرَسَةٌ إِذا أَعدَدتَها أَعدَدتَ شَعباً طَيِّبَ الأَعراقِ) . اي جرى تحميل المرأة مسؤولية تجسيد القيم مثل قيم الشرف والاخلاق والعادات والتقاليد. لذلك، لا تعدم ان تجد النساء متشربات تماما ويعكسن على اتم وجه القيم المرتبطة بالذكورية والابوية ومعاداة المرأة.

ثالثا: **دورها في خدمة وحماية الوطن، وطن الرجال.** جرى تشبيه ألمرأة والام بالارض. وانها تلد اجيالا وتنذرهم فداءا للوطن. من هنا، فان سياسة التيارات الشعبوية على اختلافها في عدم منح المرأة حق الخيار بالاجهاض ينبع من حاجة هذه الطبقة الى ولادة جيل محارب ومقاتل ومدافع عن الدولة، عن السلطة، او بكلمة اخرى عن الطبقة والسلطة الحاكمة. لذا فان امتناع المرأة عن الحمل او الولادة او الرغبة في الاجهاض تواجه بالرفض والاستنكار وعدم الدعم من قبل الدولة. اعتبرت المرأة هي الام والاخت والمناضلة من اجل الوطن. اي نسبة الى الوظائف التي اوكلت اليها في المجتمع لتقوم بها. لذلك جرى تمجيد المرأة التي تقوم باداء واجبات وطنية او قومية باعتبارها انجازات للمرأة،

والحال ان المرأة جرى استخدامها من اجل تنفيذ اجندة الطبقة الحاكمة ورجالها. لقد شهدنا كيف جرى تمجيد دور النساء المقاتلات في حروب التحرير مثل المقاتلة الجزائرية جميلة بوحيرد، او تمجيد " الماجدة العراقية" في العراق نظرا لدورها في دعم حرب نظام صدام حسين، وبغض النظر عن دور المرأة في هذه الحروب الا انهن تعرضن لاحقا لهجمة مع انتهاء حروب التحرير او الحروب الاخرى.

اذن لم تكن مشاركة النساء في هذه الحروب لتحقيق حقوقهن هن، او مطالبهن هن، في خضم الصراع في هذه الحروب. ولما نزل حين تصغي الى هتافات النساء في ساحات الاعتصام في العراق في انتفاضة اكتوبر 2019-2020 (نسوان وطلعّنه، ونساند اخوتنه) او " هاية بناتك يا وطن هاية- رفعن الراية" لم تردد النساء شعاراتهن ومطالبهن هن كنساء في خضم هذه الانتفاضة العظيمة، بل كونهن منفذات وعناصر مساعدة لاصحاب المطالب " الاصليين" وكأن دورهن هو داعم او لخدمة اما " الوطن" او " الاخوة". جرى غض النظر تماما عن مطالب النساء في هذه التظاهرات، او قلما جرى التطرق له من قبل النساء المتظاهرات انفسهن.

واذن ينظر للمرأة كعنصر ثانوي، وليس اساسي وهو دعم الرجل، مساعدته، مساندته، وليس باعتبارها هي اساسا انسانا، او جمعا، او جنسا بذاته، له قضاياه، ومطالبه، وتحديات تواجهه، و يحتاج الى ان يكون حرا ومتساويا مع الجنس الاخر. وهذا يعني في جوهره الابقاء على دور الرجل في السياسة كدور اولي، كما رأينا في الاقتصاد، وابقاء دور المرأة ثانويا ومساعدا في السياسة، كما رأينا في الاقتصاد ايضا. اي لا ينظر الى دور و دخول المرأة في ميدان السياسة كحقل وميدان لتغيير اوضاعها هي، لاهدافها هي، وتمتلك الاستقلالية التامة في كيفية العمل والتصرف والسلوك في هذا الميدان. لذلك اذا تمعنا حقوق النساء في التفكير الشعبوي الديني والقومي فاننا نرى:

لناحية الحقوق الاقتصادية: في ظل هذا النظام الاقتصادي الرأسمالي النيولبرالي العالمي للعمل حيث تقل فرص العمل، يشتد التنافس فيها على هذه الفرص، تنعدم حقوق العمل والضمانات الاجتماعية، قلة الاجور، الطرد من العمل بدون اي حماية و تستلب حقوق المرأة فيه. تحصل النساء على اجور اقل من اجور الرجال لمزاولة نفس الاعمال. وهذا هي الفائدة التي يجنيها النظام الرأسمالي على اساس التفريق على اساس الجنس في العمل، حتى يدفع اجور اقل للعاملين فقط لانهن "نساء". وفي احايين اخرى يعتبر دخل المرأة " دخل اضافي" " لمساعدة " رب الاسرة" او معيل الاسرة، اي انه دخل ثانوي رغم وجود الملايين من الاسر تعيلها نساء. من جهة اخرى، تخلي الدولة مسؤوليتها تجاه المواطن، من خصخصة الخدمات، مما يعني ان تدفع المرأة كلفا اضافية على الماء والكهرباء والصحة والتعليم والانترنت. لذلك ادت الاوضاع الاقتصادية في الغرب الى عزوف النساء عن الزواج، او عزوفهن عن الانجاب من اجل المحافظة على فرص العمل. اما في المجتمعات الشرقية والمحكومة بالقوانين الاسلامية فانه يصار الى اللجوء الى تزويج البنات والنساء، وتحويل الاسرة- اسرة الاب، او اسرة الزوج لاحقا- كمؤسسة لضمان معيشة ألفتاة وألمرأة، وذلك بنقل مسؤولية معيشتها من الاب والاخ الاكبر الى كاهل زوجها، في مجتمع يفتقد لفرص عمل ويفتقد ايضا لبرامج الرعاية والضمان الاجتماعي. من هنا تمثل النساء الأغلبية الساحقة من جيوش الفقراء والعاطلين من العمل والمستغَلين في هذه المجتمعات. في العراق تبلغ نسبة النساء العاملات النسبة الاقل في الشرق الاوسط، حيث لا تتجاوز 12%. اما النساء في اوربا، فانهن يخشين بشكل مستمر من فقدان حقوقهن، فرص عملهن، ويفتقدن الشعور بالامان الاقتصادي والاجتماعي. من هنا، رفضت

الكثير من نساء خروج بريطانيا من الاتحاد الاوربي، او "بريسكت " حيث تتعرض نساء المملكة المتحدة الى التهديد بفقدان الحقوق التي كانت قد التزمت بريطانيا بها نتيجة وجودها في الاتحاد الاوربي. حيث ان حقوق النساء في اوربا التي ثبتت، لم تعد ملزمة للمملكة المتحدة. واذن، في ظل هذه الانظمة الرأسمالية النيوليبرالية، سواء في الشرق او الغرب ، ادت الى انعدام الشعور بالامان الاقتصادي والاجتماعي، ومن اجل تدبر معيشتها تعيش المرأة في اجواء العنف والتحرش الجنسي وامتهان كرامتها.

لناحية الحقوق السياسية: هنالك تعامل انتهازي مع حقوق النساء السياسية من قبل الاحزاب والتيارات الشعبوية. في وقت الحروب، تجري الاستعانة بالنساء، حيث يستدعين الى القيام بادوار مختلفة من قتال، وطبابة، وتوفير طعام، وغسل ملابس، والخ. وما ان تنفض الحرب حتى تعاد النساء الى موقعهن الهامشي. تجربة النساء في اوربا في الحرب العالمية الاولى كان بالغ الاهمية، لكن لم يجري اعطائهن حق التصويت الا بعد نضال ضار وتضحيات كبيرة. تجربة المرأة في الجزائر حيث شاركت المرأة في حرب التحرير، الا انه ما ان انفضت الحرب، حتى اعيدت المرأة الى دورها الهامشي، وبقيت تعاني من الحرمان من حقوقها. بل صدر في الجزائر ذاتها قرار بمنع المرأة من السفر بدون موافقة ولي امرها عام 1981. في العراق شاركت النساء كقوة عمل، في الحرب العراقية- الايرانية، وجرى التغني ب" الماجدة العراقية" الا انهن اخرجن كفائض عن الحاجة حال انتهاء الحرب ومع عودة الرجال من جبهات القتال لميادين العمل في عام 1988. بل الاكثر من هذا صدر قرار بمنعهن من السفر دون مرافقة ولي امرهن. اي جرى معاملتهن كاناس قاصرات لا يمتلكن الاهلية على القرار على انفسهن. اما الحاجة الى اصوات النساء للفوز بالانتخابات.، فهي شاهد اخر على التعامل الانتهازي مع المرأة. على سبيل المثال في الوقت الذي تعامل الاحزاب الاسلامية وفقا لقوانين الشريعة بانها مبتسرة الحقوق المدنية، وهي غير قائمة على نفسها، بل الرجل هو صاحب الامر والنهي على المرأة. ولكن حين يتعلق الامر بالانتخابات يطالبون باصوات متساوية للنساء، فقط للحصول على اصواتهن لفوز الاحزاب لعضوية البرلمان.

الحقوق الفردية والمدنية: الاحزاب الشعبوية اليمينية الدينية منها والقومية ، ونظرا لفلسفتها القائمة على ان دور المرأة مقتصر على داخل الاسرة، وان مهام العالم الخارجي هي من اختصاص الرجل فان التركيز على موضوع الرجولة والرجولية اصبح سائدا. تعزز الحركات السياسية اليمينية الشعبوية من صورة الرجل القوي، المسؤول عن " حماية والدفاع عن الوطن" و"حماية النساء" ايضا. والتي هي على النقيض من تقوية النساء. هذه الصورة سمحت الامر بتصعيد العنف المنزلي واستخدام العنف من قبل السلطات ضد النساء. ان الذكورية والرجولية هي ما يسم احاديث وخطابات القادة الشعبيون من اسيا الى الولايات المتحدة ومن فرنسا الى استراليا. الامر الذي يؤدي الى تكريس وتعزيز ثقافة العنف الجسدي، والتحرش الجنسي ضد البنات والنساء، بل وايضا السيطرة على حق التصرف باجساد النساء، وتحديد حرية حركة المرأة، والتحكم في لباسها وبقية حقوقها المدنية والفردية. ولا نعدم ان نجد ان حتى النساء لديهن القناعة بان العنف له ما يبرره لتأديب النساء. (1)

تعتبر قضية عدم منح حق الاجهاض احد القضايا الكبرى التي اتفق عليها اليمين الشعبوي في امريكا وفي اوربا الشمالية وفي دول اوربا الشرقية وفي اسيا. في وسط ازمة انخفاض الانجاب في هذه البلدان، هنالك رفض لحق الخيار في الاجهاض من قبل القادة الشعبويين. ان هذه الحكومات تريد الاطمئنان على ان هنالك ايدي عاملة تلد، وتدير عجلات الانتاج من اجل تحقيق الارباح، في الوقت

الذي يعني الحمل بالنسبة لكثير من النساء الطرد من العمل. في خضم تناقض الرأسمالية هذا، تتنصل الدولة ليس عن تقديم العون للنساء من اجل التحكم في الانجاب، بل وايضا لا توفر للنساء سبل الوقاية الحمل. من هنا اثيرت الكثير من الجدالات في الغرب حول حق الاجهاض.

لذلك، وفق التفكير الشعبوي، لم يعد حق الانجاب او عدم الانجاب قرارا شخصيا، بل قرار سياسي تتدخل به الحكومات(2). ادارة ترامب قلصت من الدعم لصحة الانجاب(3). ان منع الانجاب في الولايات المتحدة، يعني عدم تمويل اجراءات الوقاية من الحمل. و تحويل جزء من تمويل الوقاية من الحمل الى المنظمات اليمينية الداعية الى "الامتناع عن الممارسة الجنسية للحيلولة دون حدوث حمل" بدلا من ايجاد وسائل منع الحمل في العيادات الصحية. في ايطاليا بدأت حملة ضد عدم الانجاب او التحكم في الانجاب. في اوربا الشرقية وفي دراسة قامت بها منظمة كفينا تل كفينا اوردت العديد من النماذج التي توضح ان قضية الانجاب اصبحت قضية وطنية و ليست قضية شخصية. حيث "ان الوطن يحتاج الى اجيال جديدة." في امريكا اللاتينية قال شافيز " نساء فنزويلا هن روح المسار الثوري، لانهن يلدن الجيل الجديد في البلد، لانهن زوجات"(4). ويتحدث عن دور المرأة في الامومة بانها " امومة ثورية" من اجل تعبئة النساء لدعم السلطة. يصف الرئيس الكوراتي عدم الانجاب من قبل نساء كرواتيا باعتباره "عمل عدائي للدولة". اما الرئيس الباكستاني عمران خان يقول ان "النسوية تفسد دور الامومة". ولهذا، تتعرض النساء المدافعات عن حق الخيار- اي حق الاجهاض- الى الاخطار والى العنف. تتعرض النسويات الى حملات الكراهية، وتهديدات عبر وسائل الاعلام الاجتماعي.

ان هذه السياسة والذهنية الشعبوية تفقد المرأة قدرتها على السيطرة وامتلاك قرارها على خياراتها ، وحركاتها وعلى حرية جسدها. تتحول كل هذه الى قرارات ألاخرين. والاخر هو الدولة، السلطة، الفرد، الدين، العشيرة. كل هذه الهيئات لديها تصوراتها عن ماهية وكمية حقوق المرأة، ومساحة قدرتها على التحكم في جسدها. لذلك تفقد المرأة شعورها بالخصوصية والاستقلالية. بل تصبح هذه المفاهيم غريبة، وغير مألوفة. تلغي الشعبوية، كتحصيل حاصل، الفوارق بين الخاص والعام. حيث يذوب الخاص بما هو عام. لذلك لا يبقى الحيز الخاص للنساء. ان الدول المحكومة بالانظمة والقوانين الاسلامية تقدم افضل دليل على مدى حرمان المرأة من السيطرة والسيادة على قراراتها وعلى جسدها، مما ساوضحه في القسم التالي.

حقوق المرأة في الدول المحكومة

بالقوانين والانظمة الشعبوية الاسلامية:

في الدول الناطقة بالعربية ظهرت الحركات الاسلامية منادية بالاسلام باعتباره "دين ودولة"، ويمتلك الاسلام السياسي تصور شامل وكامل عن وضع وحقوق المرأة. ان مجمل السياسات والقوانين التي مورست ضد النساء في الشرق الاوسط وشمال افريقيا، توضح مدى المعاملة الدونية والانتقاص من حقوق المرأة. ان رأس حربة الحركات الاسلامية موجهة الى المرأة وحقوقها. ابتداءا من ايران عام 1979 بفرضها الحجاب الاجباري، معاقبة " التبرج"، الفصل بين الجنسين، تشريع زواج المتعة، تشريع زواج الاناث من الاطفال، والتي هي اجزاء من الحقوق "المقّرة " للنساء في الدول المحكومة بالقوانين والانظمة الاسلامية، وصولا الى افغانستان والسودان والجزائر في

تسعينات القرن المنصرم، و الاردن ومصر والعراق والسودان والسعودية حيث حقوق المرأة، لا تحتاج الى شرح كثير.

لقد شهدت المنطقة برمتها مساع محمومة من اجل تغيير قوانين الاحوال الشخصية التي كانت قد شرعت في مراحل ثورات التحرر الوطني. جرى تقديم قانون الاحوال الشخصية في الجزائر في عام و1984 و هو مخل بحقوق ومباديء مساواة المرأة. وبعد الاستنكار له، جرى تقديم مسودة اكثر رجعية من المسودة الاولى وجرى تمريره بالضد من مصلحة النساء. في العراق جرت عدة محاولات لتغيير قانون الاحوال الشخصية الذي صدر عام 1959 الى قانون اسلامي شيعي في اعوام 2003، حين اقدم رئيس مجلس الحكم عبد العزيز الحكيم انذاك على محاولة احلال الشريعة الاسلامية محل قانون الاحوال الشخصية، الا انه تم رفضه. في عام 2005 تم حشر تلك المواد التي رفضت عام 2003 بدستور 2005، وفي عام 2014 كانت هنالك مساعي لفرض القانون الجعفري الذي دحر هو الاخر بفضل تظافر القوى النسوية والتحررية.

ما قامت به حركات اسلامية سنية مثل داعش، لا يحتاج الى الكثير من الشرح او التفصيل. لقد قتلوا النساء، او وباعوهن في سوق النخاسة، و استخدمت المرأة كوسيلة اشباع حاجة للمقاتلين فيما اطلق عليه بفتوى "جهاد النكاح" في آذار 2013 ، و نسبت إلى الداعية السعودي محمد العريفي.(5)

اما فيما يتعلق بملكية المرأة لجسدها وحقها في التصرف بهذا الملكية الخاصة بها، يضع الإسلاميون اطرا محددة وخاصة لحرية النساء في التصرف باجسادهن. فالحجاب يفرض على الفتيات وفي سن مبكر، للحيلولة دون "فتح شهية الرجال". حرية الحركة للمرأة مشروطة بموافقة الرجل، فعلى المرأة الاستئذان من الرجل اولا ونيل موافقته قبل الاقدام على اية خطوة من اجل نيل رضاه وموافقته. "الشرف والعفة، والطهارة" هي من المفاهيم التي تشبع بها اذهان الفتيات ومن سّن مبكرة، لـ" وقايتهن وتحصينهن" من أية احتمالية للتفكير مستقبلا باختيار شريك لهن خارج الاطر والقوانين الدينية. الحركات الدينية تجرّم العلاقة الجنسية خارج اطار الزواج الرسمي وتعتبره جريمة تعاقب عليها قوانين الشريعة الاسلامية باعتباره " زنا". وتعفي الحكومات المحكومة بالقوانين الدينية عن مرتكبي جرائم الاغتصاب اذا قرر الاخير الزواج من الضحية، دون توجيه عقوبة لهذه الجريمة، نابع من التصور بان المرأة او الفتاة بدون غشاء بكارة ستكون ناقصة القيمة، بحيث يكون زواج مغتصبها منها هو لترقيع هذه الشق، في "تسوية" بين المغتصب والمغتصبة. الفصل بين الجنسين و عدم الاختلاط، هو احد مباديء الحركات الاسلامية.

جرى استخدام موضوع النساء وحقوقهن من قبل اليمين الشعبوي في الغرب كما في الشرق. استخدمت التيارات اليمينية في الغرب موضوعة "العداء ضد المرأة" لدى الجماعات الاسلامية لتأليب المجتمعات الغربية ضد المهاجرين القادمين من الشرق الاوسط واسيا وشمال افريقيا، باعتبار ان هؤلاء اصحاب ثقافة مناهضة للمساواة ومعادية للمرأة. من جهتها تروّج التيارات الشعبوية الاسلامية في الشرق او في الجنوب بان اوربا تنتهك " كرامة المرأة" حيث يقوم الغرب " بتعرية" النساء واستخدامهن بشكل سلعي وان المجتمعات الغربية، هي بدون اخلاق، تتصف بالانحلال. اما المجتمعات الاسلامية فهي، من نفس وجهة النظر هذه، اكثر حفظا لكرامة المرأة لانه يقام بتحجيبها وبمنع اختلاطها بالرجال. والحال، ان التيارات الشعبوية الاوربية الغربية والاسلامية الشرقية، ينطلقان وينهلان من نفس المصدر، الطبقي المحافظ على ثقافة وسياسات الطبقات الحاكمة وقوانينها

ونظرتها المعادية لحقوق المرأة.
لقد واجهت النساء في مختلف انحاء العالم التيارات الشعبوية. لذلك في رسالة وجهتها نساء احتللن مواقع قيادية مختلفة في العالم المتقدم بان الشعبوية بتصوراتها المحافظة تقتطع حقوق النساء، شيئا فشيئا. واجهت النساء في الولايات المتحدة سياسة ترامب المعادية للمرأة والداعية الى حرمان النساء من حق الاجهاض او الوقاية من الحمل. التظاهرات التي عملتها النساء في امريكا كانت اكبر ثلاث مرات من تظاهرة استلامه لمهامه كرئيس للولايات المتحدة. في كل مكان في العالم تواجه النسويات التيارات الشعبوية.

في العراق نظمت الشابات والطالبات و النساء تظاهرة مليونية نسوية ضد تغريدة مقتدى الصدر، كممثل للتيار الشعبوي الاسلامي الشيعي في العراق والتي اطلقها في يوم 8 شباط داعيا فيها الى عدم الاختلاط في الخيام في ساحات الاعتصام في انتفاضة اكتوبر في العراق. اجابته الشابات بهتافات عالية انهن سيكوّنن مع المتظاهرين " روح وجسد". كان الشباب الرجال يوفرون للتظاهرة النسوية الحماية الامنية من اي اعتداء و بسلسلة طويلة امتدت على امتداد ساحة التحرير في بغداد كما وفي المحافظات الاخرى. في تلك التظاهرة رفضت النساء التقسيم الجندري في ساحات الاحتجاج او في خيام الاعتصام وعدم الاختلاط والفصل بين الجنسين، مساندات ومدعومات من قبل الرجال المتظاهرين.

واخيرا، نؤكد على ان سعي النساء لنيل حقوقهن يسير في علاقة عكسية مع الحركات الشعبوية الدينية والقومية. فكلما حققت النساء تقدما، بفعل نضالهن النسوي والتحرري، وبوجود و نضال القوى اليسارية والعلمانية التحررية، كلما تمكنت من دحر الحركات الشعبوية على اختلافها. ولذلك تستقبل النسويات السياسات الشعبوية بالرفض(6). وبالعكس، فان ازدياد وتصاعد نفوذ التيارات الشعبوية سيؤدي الى تراجع حقوق المرأة. من هنا، تمتلك النساء المصلحة الاولى والاخيرة بالنضال ضد نفوذ الحركات والتيارات الشعبوية القائمة على " اننا كلنا في نفس القارب". والحقيقة هي ان هنالك في القارب من يقمع الاخر الذي معه " في نفس القارب"، انه متمايز عنه اقتصاديا، طبقيا، وانه يريد استغلال مسالة الجندر، لتحقيق غلبة للرجال على النساء في ظل هذا التمايز الطبقي ومحافظا وساعيا الى تخليد وتأبيد هذا التمايز الطبقي. ان من مصلحة النساء وحقوقهن ونضالهن انهاء كل تمايز طبقي اقتصادي بين البشر، والقضاء على الطبقة التي تريد الاستفادة واستغلال هذا الاختلاف الجنسي من اجل بقاءها. ومن هنا، يصبح من الضروري للنساء الوقوف بوجه التيارات الشعبوية على اختلاف عقائدها وافكارها من اجل نيل حقوقهن في المساواة كاملة وغير منقوصة.

(1) https://assets.publishing.service.gov.uk/media/5c18d35ee5274a468ba7fab3/433_Emerging_Trends_of_Conflict_and_Instability_in_Iraq.pdf

(2) https://kvinnatillkvinna.se/wp-content/uploads/2017/10/kvinna-till-kvinna-patriotism-and-patriarchy-2014.pdf

(3) https://www.thenational.ae/opinion/comment/the-rise-of-populism-is-a-threat-to-women-everywhere-1.834313

(4) https://www.researchgate.net/publication/318240310_Populism_and_Nationalism_in_Latin_America

(5) إثر نشرها على صفحته على موقع "تويتر. وقد جاء في الفتوى التي نسبت إلى العريفي " إن زواج المناكحة التي تقوم به المسلمة المحتشمة البالغة 14 عاماً فما فوق أو مطلّقة أو أرملة، جائز شرعاً مع المجاهدين في سوريا، وهو زواج محدود الأجل بساعات لكي يفسح المجال لمجاهدين آخرين بالزواج، وهو يشدّ عزيمة المجاهدين، وكذلك هو من الموجبات لدخول الجنَّة لمن تجاهد به."

(6) http://webcache.googleusercontent.com/search?q=cache:uwZU_KBDQUMJ:jwsr.pitt.edu/ojs/index.php/jwsr/article/download/853/1159+&cd=1&hl=en&ct=clnk&gl=iq

ريما ماجد

" اذا اردنا السطة السياسية، يجب ان نكون حزب سياسي "

مقابلة مع ريما ماجد- احد العضوات المؤسسات لتجمع المهنيات والمهنيين في لبنان حول ثورة 17 اكتوبر وبرنامج عمل التجمع في لبنان. أجرت المقابلة نادية محمود في بيروت- ديسمبر 2019

سؤال: كيف ومتى ولماذا بدأتم تشكيل تجمع المهنيات والمهنيين؟

ريما ماجد: أولا بدأ تجمع اساتذة الجامعات بدأ من الايام الاولى للثورة. وكان الدافع الاساسي لتشكيل التجمع هو ان ليس لدينا احزابا او نقابات قبل الثورة. وقد رأينا باننا لسنا مخولين للحديث باسم الثورة او باسم الشارع. فليس بامكاننا الادعاء باننا نمثل شرائح اجتماعية نحن لا نمثلها، نحن لسنا عمال صناعيين، نحن لسنا عاطلون عن العمل. لم يكن بوسعنا الحديث باسم هذه المجموعات. ولكن بامكاننا الحديث باسمنا نحن. اردنا اعادة العمل الاجتماعي الى صلب العمل الاجتماعي (البطالة الوجه الاخر للعمالة). والتاكيد على ضرورة ان يتحدث كل موقعه الاجتماعي والتنظيم بهذا الشكل والتنسيق بين الشرائح المختلفة. برأينا هو الطريقة الافضل للعمل في الواقع اللبناني

للدفع بالطريقة الثورية.

ثانيا: شعرنا بضرورة التنظيم على اسس اجتماعية مختلفة، اي بعيدا عن الطوائف، وضرورة ان ننظم على اسس مرتكزة على الانقسامات الافقية وليست العمودية، الطائفية او المناطقية، حيث ان في لبنان المناطقية لها بعد طائفي. عملنا نداء انا وزميلي(باسل صالح يعمل في الجامعة اللبنانية) في اليوم الثالث للثورة، اي في البدايات وانا(اعمل في الجامعة الامريكية) ووضعناعلى الفيس بوك دعوة، وبشكل عفوي، دعينا فيه الاساتذة الجامعيين المهتمين بموضوع الثورة الى اللقاء في الساحة. في نفس اليوم الذي وجهنا فيه الدعوة في الساعة السابعة مساء. كانت توقعاتنا ان يحضر عدد قليل من الاساتذة، فقط للشروع بفتح نقاش. الا اننا فوجئنا بالعدد الذي حضر الى الاجتماع.

فقد بلغ عدد الحاضرين اكثر من 80 او حتى 100 استاذة واستاذ. بعدها عملنا واتس كروب. انضم خلال 24 ساعة 700 استاذ/ة الى الكروب. ونظرا لمحدودية قدرة الواتساب التي لا تتجاوز 250 مشارك. اضطررنا الى عمل 3 كروبات لاستيعاب العدد الكبير من الاساتذة.

بالتاكيد كانت اهتمامات المشاركين تتفاوت بين ناس يريدون معرفة مايجري واخرين يريدون العمل على وجود تنظيم. بدأنا نعقد اجتماعات. تم تنظيم الجامعات على اساس ان يكون لكل جامعة منسقان يمثلانها في تجمع الاساتذة للتنسيق بين كافة الجامعات. وفي نفس الوقت كانت هنالك مبادرات مشابهة من قبل اصدقاء واناس لدينا معرفة بهم من اختصاصات اخرى. كانت لديهم محاولات لتنظيم انفسهم. صار لدينا اتصال مع مجموعة من الاصدقاء ممن هم اطباء ومحامين ومهندسين وعاملين في قطاع منظمات المجتمع المدني وصحافيين وكتاب في جمعية الكتاب. في البداية لم يكونوا منظمين بل كانوا مجاميع اشخاص يعملون في مهن مختلفة ومهتمين بالتنظيم على اساس مهني.

عقدنا اجتماع اول دعينا له اشخاص من كل هذه المهن، وقررنا بناء على تجربة تجمع اساتذة الجامعات، الذين كانوا اول واكثر تجمع تم تأسيسه بشكل سريع. الجامعات فيها اوضاع افضل من الجهات المهنية الاخرى ، كالاطباء الذين يعملون في اماكن متفرقة في عياداتهم مثلا، اساتذة الجامعات يعملون في مؤسسات ، وممتدة على طول البلد، حيث لدينا تجمعات من الشمال الى الجنوب. رأينا هذا هو الطريق الافضل لتخطي موضوع ألطائفية. اسسنا تجمع المهنيات والمهنيين. لازال التجمع في طور التبلور. والهدف ان لا يكون مشـــروع سياسي فقط مكوّن من 40 او 50 شخص، بل ان يكون له قاعدة فعلية موجودة على الارض.

سؤال: ماهو هدف التجمع الذي اسستموه تحديدا؟

ريما ماجد: التجمع له هدفان، اولا كمشروع سياسي حامل للثورة وفي صلب الثورة ودافع بالعملية الثورية. والهدف الثاني استعادة مساحات التنظيم النقابية. لان النقابات في لبنان، كلها، باستثناء نقابة واحدة، (وهي نقابة اطباء الشمال في منطقة طرابلس)، تسيطر عليها احزاب السلطة والاحزاب الطائفية . في التسعينات وبعد الحرب الاهلية،كانت هنالك حملة ممنهجة ضد النقابات. حيث ان اكثر ما يخيف السلطة هو التنظيم النقابي.وحدثت معركة شرسة ، حين لعبت النقابات دورا مهما في العمل السياسي. حدث فيها عنف وتهديد وضرب واعتقالات وتم القضاء على الحركة النقابية في لبنان في عام 1996. الاحزاب الطائفية واعية تماما بان اي تنظيم يبرّز الشرخ الطبقي

في المجتمع، هو تنظيم يهدد السلطة. لا يهم السلطة وجود عدد كبير من منظمات المجتمع المدني. ليس في لبنان اية مشكلة في وجود عدد واسع من هذا النوع من المنظمات. وهو ناشط جدا. لكن من وجهة نظرهم(احزاب السلطة) لا يجب تشكيل نقابات ولا مشاريع سياسية بديلة تتكلم عن الموضوع الطبقي. اي شيء لا يهدد التنظيم الطائفي، يسمحوا به، وليس لديهم معه اية مشكلة. في اللحظة التي نقول فيها بان في المجتمع فئات لديها مصالح اجتماعية تتضارب مع مصالح الفئة التي تحكمنا، يمارسون العنف مباشرة.

ان مشروعنا هو مشروع مواجهة فعلية مع السلطة. النظام الحاكم لدينا لا يشبه ما يجري في البلدان الاخرى، من قبيل هنالك ديكتاتور واحد يجب ازالته، ان وضعنا- كما في العراق- لدينا نظام لديه العديد من الرؤوس وهو متجذر في المجتمع عبرشبكات الزبائنية وعبر الفساد، والانقضاض على مؤسسات الدولة. هذا النظام، مهما نريد مقارعته من الاعلى لن يسقط. يجب مقارعته من الاسفل. والضرب من تحت يعني استعادة النقابات، يعني استعادة المدخل الاجتماعي. لانهم سيطروا على الناس عبر استخدامهم لنظام الزبائنية. يسيطرون على الناس بالمئة دولار التي يعطوها لهم في نهاية الشهر. نحن نحتاج للتنظيم في هذه الاماكن. وحتى نخوض المعارك ضد هذه الاحزاب، يجب ان يكون لدينا نقابات. النقابات تقوم بتنظيم انتخابات(وان كان البعض منها لا يقوم بذلك). لقد كان اول انتصار سجلناه في الثورة، هو انتخابات نقابة المحامين، والتي كانت تاريخيا بايدي احزاب السلطة. ولاول مرة ينتخب نقيب مستقل وداعم للثورة. صارت معركة انتخابية في النقابة ضد احزاب السلطة. ونزلت كل احزاب السلطة بشكل موحد وبايدي واحدة ضد المرشح المستقل. وخسروا الانتخابات. وشاهدنا الفرق، منذ الساعات الاولى لانتخابه، ولحد اليوم، لا يمر على اي معتقل ساعة واحدة، الا وكان النقيب شخصيا حاضرا، ولجنة المحامين موجودين، وهم يزورون السجون. لاحظنا الفرق حين يكون هنالك نقابة فعالة، يكون بوسعنا التأثير على السياسة. لذلك نرى هذا المدخل برأينا هو المدخل المناسب للتنظيم والعمل.

سؤال: كيف ستصلون من خلال نقابات المهنيين الى تكوين قواعد اجتماعية، من خلال نقابات اطباء او محامين او مهندسين؟

ريما ماجد: هؤلاء هو القواعد الاجتماعية. نقابة المهندسين من اقوى النقابات في البلاد. واسترجاعها من احزاب السلطة هو ضربة قاسية لاحزاب السلطة. نقابة المهندسين نظمت انتخابات قبل فترة، وشكلت نقابة اسمتها " نقابتي".جزء من اعضاء هذه النقابة انضموا الى تجمعه مهنيات ومهنيين: باسم تجمع مهندسات ومهندسين، وهم قطاع الهندسة في تجمع مهنيات ومهنيين. والعمل الان جار لاجراء انتخابات في نقابة المهندسين في الاربع اشهر القادمة من اجل استرجاع النقابة.

نحن نضع كل جهودنا المهنية لدعم الثورة ولكن ايضا نحن ايضا ننظم على اساس المهنة. صار هنالك مئات المحاميين في النقابة(نقابة المحامين) ممن هم داعمين للثورة. هم ينظمون انفسهم على اساس مهنتهم. فاذن القاعدة الاجتماعية هم المحامين والاساتذة الجامعيين، ويقوم المختصون في مختلف الاختصاصات باعمال مختلفة للثورة. اساتذة الاقتصاد يشرحون مالذي يحدث من الناحية الاقتصادية، المختصين بشؤون الاعلام، يصورون الافلام الوثائقية. نحن في قسم الاجتماع عملنا حلقات دراسية عن كيف تتطور الثورات ، عن الطائفية. المختصون بالقضايا النفسية- كما حضرت اليوم- ينظمون حلقات عن موضوعة الانتحار في وقت الثورة. لذلك نحن نضع قدراتنا المهنية في دعم الثورة. القاعدة هي نحن.

سؤال: ماهي النسبة المئوية لهذه الجماعات لعموم المجتمع؟

ريما ماجد: نسبتهم كبيرة. بعض الاختصاصات المهنية، يعملون لحسابهم الشخصي، لديهم شركات خاصة، ولكن هنالك نسبة منهم تعمل لشركات اخرى وياخذون اجور على عملهم. اذن هم عمال. العمال في القطاع الصناعي قليلوا العدد بسبب عدم وجود قطاع صناعي في لبنان. نحن ليس لدينا مصانع، الا مصانع صغيرة، وهي قليلة. العاملات المنزليات، عمال الخدمات في محطات البنزين، العمال اليدويين، العدد الاكبر منهم هم عمال اجانب. سوريين، مصريين، بنغلاديشيين. سريلانكيات، فلبينيات. والجزء الكبير الاخر هو في العمالة الهشة، وهي غير منظمة، والجزء الاخر هم العاطلين عن العمل. نحن لدينا كل عام 32 الف خريج من الجامعات اللبنانية، الاقتصاد اللبناني في افضل سنواته عرض 5 الاف فرص عمل. اي هنالك 27 الف كل سنة، بعضهم يعمل في العمالة غير الرسمية، ولا تظهر ارقامهم في الاحصاءات، او يبقوا عاطلين عن العمل، أو يهاجروا للعمل في الخليج. لدينا نسبة عالية من الشباب المهاجرين، ونسبة عالية من الشباب العاطلين حيث تبلغ البطالة في اوساط الشباب 32%. ونسبة البطالة بشكل عام هي 13%. لذلك حملة الشهادات لا يجدون فرص عمل. نقول ان هذا الاقتصاد لا يمتلك شهية لامتصاص خبرات العمل.

سـ وال : الى اي حد تجربتكم استلهمت من تجربة السودان؟

ريما ماجد: الى اقصى الحدود. الفكرة بدأت، حين بدأنا نحن، وبدأ اخرون غيرنا، كل المبادرات جاءت مستلهمة من تجربة السودان. لان نحن في العشر سنوات الماضية، رأينا العديد من الثورات. لكن الثورتين الوحيدتين اللواتي تمكنتا من احداث انتقال فعلي هما الثورة السودانية والثورة التونسية. والفرق كان يتجلى في انه في كلا البلدين كانت لديهما تنظيمات نقابية اومهنية لعبت دور اساسي في الثورة. كان واضح لنا ان هذا هو المسار الصحيح لانجاح هذه الثورة.

سؤال: واذن انتم ترون ان التنظيم على اساس مهني هو الاكثير تمثيلا للحاجات والمطالب الاجتماعية.

ريما ماجد: نعم.خاصة وان الثورة اللبنانية بدأت كرد فعل على ازمة نظام اقتصادي ريعي نيوليبرالي بوضوح. اظن لبنان يقدم لنا اوضح مثال على ان الاقتصاد يقع في صميم الحالات الثورية، مقارنة بتجارب الثورات العربية. مؤكد ان الفساد والطائفية هما مواضيع مهمة. ولكن حتى الطائفية احتلت مكانة هامشية في ألثورة. الثورة بدأت ضد الضرائب وتحولت الى ثورة ضد المصارف. وبالتاكيد خرجت الكثير من المطالب الاخرى، ولكن في اساسها هي ثورة اقتصادية. وهذا من البديهي، يجعلنا نفكر بالتنظيم على اساس طبقي ومهني. على اساس مجاميع لها مصالح. الشيء الثاني، هو عدا عن تجمع مهنيات ومهنيين، الحاجة الى العمل النقابي بدأت تعبر عن نفسها. لذلك بدأنا نسمع ولاول مرة في الاعلام، وبهذه الدرجة، عن تحركات عمال وموظفين ونقابات لم نسمع بها من قبل. الناس بدأت تشعر بالحاجة الى التنظيم في مكان العمل بشكل تلقائي، حيث بدأ الصرف التعسفي، الشركات كفت عن دفع الرواتب للموظفين. وبشكل عفوي، الموظفين والعمال التقوا مع بعضهم، وقرروا القيام بتحرك، وتنظيم اضراب. ومن اهم هذه التحركات هي التحركات التي قام بها موظفو وعمال شركات الاتصالات واللتان هما اكبر اهم شركتين في لبنان، ولانهما كبيرتان، كان يستدعي موافقة الدولة على الاضراب. حيث قام العمال باضراب ونجحوا في اضرابهم. هذا خلق الحاجة الى التنظيم في مكان العمل والى العمل الجماعي، وحاجة الناس الى ان تتكافل اجتماعيا. حيث عدد هائل من الناس خسرت وظائفها، وعدد هائل من الناس فقدت رواتبها. التقديرات تظهر في عام 2019 هنالك 100 الف شخص فقد وظيفته. هذا غير اعداد هائلة

من الناس، عملوا لهم قطع في رواتبهم، او لم تدفع.

سؤال: هل يمكن ان تحدثينا عن كيف كان المسار الى 17 اكتوبر؟

ريما ماجد: بدأت الازمة منذ 3 اعوام، حين قامت المصارف بالهندسة المالية للدين. المصرف المركزي قام باعادة هندسة للدين. والتي كانت السياسة التي جعلتنا نرتدم بالجدار. هذا اضافة للسياسات الليبرالية على امتداد 30 عام. لكن الحلقة الاخيرة كانت الحلقة القاتلة. والتي راكمت الاموال ورأس مال هائل بايدي اصحاب البنوك، واقتطعت الاموال كلها من المودعين الصغار، الذين هم ببساطة، نحن. ازمة الدولار بدأت بشكل واضح في الصيف. وفي ايلول 2019، بدأت السيولة المالية تتضح قلتها. والاسبوع الذي سبق الثورة كان اسبوعا سرياليا. لا توجد دولارات في البنوك، وليس بالامكان سحب دولار منها.، لان لا توجد دولارات في البنوك. بدأت المواد الغذائية تنقطع. انقطع البنزين. انقطع الطحين. فكانت هنالك ازمة خبز. والمخابز بدأت تهدد بان الخبز سيقطع لان ليس هنالك طحين. ثم نشبت الحرائق بثلاثة ايام قبل الثورة . اشتعلت حرائق في عموم لبنان. كان الوضع مرعبا. ولم يكن لدى الدولة اي مسعى لاطفاء الحرائق. واخذ من الدولة ساعات لتتحرك. وحين ارادوا تشغيل طائرات الهليكوبتر لاطفاء الحرائق، كانت الطائرات غير صالحة للعمل لانه لم يجري صيانتها لستة سنوات. كان اسبوعا كارثيا. والحرائق كان لها دور وتاثير، لان الموضوع البيئي، هو قضية تلوع منها الشعب اللبناني. الاحتجاجات السابقة كانت حول موضوع النفايات. لبنان هو ثالث بلد من حيث نسبة الاصابة بالسرطان. الموضوع البيئي صار موضوعا رئيسيا في المجتمع اللبناني. لذلك اعتقد ان الحرائق كانت من العوامل الاساسية التي ادت الى حدوث الثورة.

وفي ظل هذا الوضع المتفجر، خرج السياسيون يلقولوا لنا ان الحرائق طائفية ومفتعلة من تم خرج الوزير عوني قال انه لا يريد سماع صوتنا. وكان قبل فترة، قال وزير اخر ان الشعب عليه ان يدفع الضرائب حتى لو كانت ستسرق. كل هذا يشعر المرء بالاهانة. اي ندفع ونسكت. كان هنالك جو من الاهانة للشعب. توجت بنهار 17 اكتوبر. ففي الوقت الذي كانت هنالك حرائق، ولا يوجد خبز ولا بنزين، عقد اجتماع لمجلس الوزراء ويقرروا، لحل ازمة الدولار،ان يزيدوا الضرائب على الشعب، ليس ضرائب تصاعدية بل ضرائب. نحن لسنا ضد الضرائب. ولكن مع الضرائب التصاعدية. اي يأخذوا من الاغنياء. لقد كانت هنالك باقة من الضرائب. لكن الضريبة القاتلة كانت الضريبة التي فرضت على الواتساب. اجتمع مجلس الوزراء الظهر، ليقرر على الضريبة الاخيرة. في يوم 17 اكتوبر قررت الحكومة الضرائب على الواتساب، واعلنت الاخبار على شاشات التلفاز، خرجت الناس للشوارع، بدون وجود اية جهة داعية. في اول المساء بدأت وبشكل عفوي التحركات، وقطعت الطرقات في بيروت. ومثل الحرائق، انتشرت التظاهرات في كل انحاء البلاد وبسرعة هائلة. باقل من ساعات. شّل البلد تماما. الناس لا تعرف بعضها البعض. ولم تكن هنالك اية خطة لخروج الناس للشارع. والذين نزلوا للشارع هم الشباب من اتباع تلك الاحزاب الطائفية. ولذلك برأيي انها ثورة. لان هذه هي اول مرة التي تهتز فيها وتتحرك فيها قواعدهم. القواعد التقليدية للاحزاب الطائفية. اجزاء منهم خسرناهم الان. حيث استطاعت تلك الاحزاب ان تعيدهم لها، ان تسترجعهم.

سؤال: اين تجمع المهنيات والمهنيين من هذه القواعد؟

ريما ماجد: هذه القواعد في غالبيتها هي اما العاطلين عن العمل، او العمالة الهشة. لذلك نحن نرى من المهم ان يكون هنالك تجمعا للعاطلين عن العمل حتى ينضم الى التجمع. العاطلون

يعتمدون في معيشتهم على الشبكات الزبائنية للاحزاب. ليس هذا فحسب. بل لدى الاحزاب ايضا، مثل حزب الله، شبكات من المستشفيات ومدارس وجامعات، حيث انهم يقدموا لمواليهم الصحة، او التعليم، هذه ايضا فيها زبائنية. والزبائنية والمحاصصة لا تركز فقط على تقديم المساعدات المالية او الخدمات بل هنالك جانب مهم في الزبائنية والذي تستخدمه الاحزاب في المناطق التي تسيطر عليها وهو الامن، اي تهديدهم بامنهم عن طريق البلطجية، حيث يقوموا بالخطف، وهذا امر سمعنا به كثيرا. حيث كان هنالك شباب ينخرطوا معنا في الثورة،كفوا عن الالتحاق بنا. قالوا لنا أن التحقنا بالتظاهرات لن يكون بوسعنا العودة مرة اخرى الى منازلنا بأمان. اي تهديدهم في الاحياء التي يعيشوا فيها. فهنالك استخدام للمساعدات المالية وهنالك تهديد باستخدام القوة والارهاب ، وهذا ما تقوم به الاحزاب التي لديها ميلشيات. ان زبائنيتهم خلقت لهم قوة اجتماعية.

سؤال: سؤالي الان، تجمعكم المهنيات والمهنيين ابتدأ منذ شهر، هل تمكنتم من وضع رؤية على كيف ومن يجب ان يدير المجتمع؟ ماهو النظام الاقتصادي الذي تريدوه؟

ريما ماجد: طرحنا للنظام هو طرح تقدمي جدا، رافض للسياسات النيولبرالية والخصخصة. نحن نريد العدالة الاجتماعية، نريد المساواة بل والعدالة بين الرجل والمرأة. ندعو الى العلمنة وانهاء الطائفية السياسية. ومطاليبنا الاقتصادية هي شطب الدين العام، وهو دين الدولة للبنوك الخاصة. هذه هي الخطوط العامة. التفاصيل تحتاج الى عمل اكثر من اجل بلورتها.
حاليا ليس لدينا بديل جاهز لنطرحه كأفراد. لذلك لا نريد الدخول في العملية السياسية الان. لاننا تنظيم جديد، لا نستطيع خوض المواجهة في هذ المرحلة. لم تتبلور قوتنا بعد لخوض موضوع المواجهة معهم على امر السلطة(التنازع حول السلطة- ن.م). فقواعدنا لم تتبلور بعد، ومشروعنا لم يتبلور بعد. فنحن لازلنا في مرحلة التحضير(كتجمع مهنيات ومهنيين) لنظامنا الداخلي، ولالية صنع القرار. من هنا، نفضل الان العمل على قواعدنا، ونشتغل في هذه المرحلة، ونعمل كرقابة على عمل السلطة، ونضغط على الحكومة عبر الشارع. لازالت مجموعتنا في بدايتها للقول اننا نخرج من الشارع وندخل الى ميدان ممارسة السلطة. ومن اجل ان يكون لنا القدرة على التدخل بالسلطة، يجب ان تكون لدينا قوة اجتماعية، فهم خلقوا قوة اجتماعية عبر الزبائنية. نحن نعمل، ونحن نعرف،ومن المؤكد ان هنالك موجات من الانتفاضات قادمة. ان ما استشعرناه في هذه الثورة هو ان نقص التنظيم يشكل عائق حقيقي. فنحن لا نستطيع طرح بديل ولا طرح اسماء، حيث ليس لدينا تنظيمات جاهزة. لذا فان هذه المرحلة هي مرحلة للتنظيم والتحضير. ونحن نعرف ان هذا مسار سياسي طويل. فالسلطة لا تتنحى جانبا وتترك لنا امر السلطة. خاصة وان هذه السلطة مسلحة. في لبنان حزب يشكل جيشه اقوى من جيش الدولة. ان ما يحدث الان هو تأجيل المشكلة، وليس حلها. ان التنظيم في وضع لبنان صعب، حيث الليبرالية فاتكة في المجتمع، اقصد الايديولوجية الليبرالية ، والتي يشكل فيها الفرد اساس، يعتبر العمل الجماعي والتنظيمي والحزبي امر مرفوض. بحيث جعل صعبا على الناس ان تقتنع بان تتنظم وتشتغل باطار يضع الفرد جانبا ويركز على العمل الجماعي. لذلك كل ما لدينا الان من حملات تستخدم كلمات مثل "نقابتي"، "حقي"، "بيروت مدينتي"، وهذه احسن مبادرات بالبلاد. رغم انهم كلهم يسار وتقدميون. ولكنها كلها مبنية على اساس الفرد. لم ترفع الحملات اسماء: حقنا، نقابتنا، ولا بيروت مدينتنا.

ما نسعى لقوله في تجمعنا هو اننا بحاجة الى اعادة الجمع. مثل الحملة التي حدثت على البنوك، وما رش على البنوك، والتي كانت تقول " اعيدوا لي مصرياتي- اموالي"، ونحن هدفنا ان نصل الى مجتمع نقول فيه اعيدوا لنا "مصرياتنا"، وان ننظر لانفسنا ككروب وليس افراد. لان السلطة

تستفيد كثيرا من لعبة الافراد. وطالما بقينا نحن افراد، لا يشعروا(الحكومة) بالخوف منا. لان هذا ما سيفعلوه، سيردوا لي ولك بعض من المال، وينهون الامر.

سؤال: انتم تؤكدون على دور النقابات، ولكننا نعلم ان دور النقابات محدد بدور تفاوضي بين رب العمل والعامل للتفاوض حول شروط العمل، وليس لها دور سياسي. لماذا تعلقون دورا على النقابات؟

ريما ماجد: لا يوجد في العربية غير تعبير النقابات. في الانكليزية، السنديكا هي للنقابات المهنية، والنقابات العمالية هي للعمال. في تجمع المهنيات والمهنيين السنديكات موجودة اكثر، اي النقابات المهنية. ليس مهمة النقابة المهنية التفاوض فقط بل الحفاظ على المهنة وعلى دور المهنة. مثلا نقابة المهندسين هي نقابة مهنيين، هي سنديكا، ينتسب اليها اي مهندس، حتى لو كان عاطل عن العمل، يسجل في النقابة، ويمكن ان يحصل على ضمان اجتماعي من النقابة، او تعويض. النقابة لها هذه الادوار. النقابة تعمل على موضعة المهنة في المجتمع. النقابة مثل نقابة المهندسين يمكن ان يكون لها قولا في ما هي الخطة الهندسية للبلد. مثل نقابة اساتذة الجامعات يضعون خطة البرامج التعليمية. يعني هم القوة التي تضغط على الوزارات. النقابات لها دور اساسي في تحديد دور المهنة بالبلد، نقابة المهندسين تستطيع ايقاف المشاريع النيوليبرالية، تستطيع ان تتحرك ضد مجلس الانماء والاعمار، والذي هو المزراب الاساسي للفساد في البلد والذي انشأ بعد الحرب الاهلية لاعمار لبنان عبر دار الهندسة. الفساد الاساسي في الهندسة. ونقابة المهندسين تستطيع لعب دور اساسي في السياسة والمهنة. حتى في المهنة، نقابة الهندسة لعبت دور اساسي في الضغط على البلديات في مواضيع متعلقة بالبناء. وبتخطيط المدن مثل الحفاظ على التراث، والمباني. نحن في وضع مختلف الان. الان العلاقة ليست بين عامل ورب عمل وعملية التفاوض بينهم.

سؤال: واذن من خلال تجمعكم تنوون القيام بتأثير عمودي على سياسات الدولة؟

ريما ماجد: نحن تجمع للمهنيات والمهنيين، اعضاؤنا هي النقابات البديلة. وبالتالي هو مشروع سياسي مهني. نحن تجمع للمهنيات والمهنيين رافضين احزاب السلطة، وداعمين للثورة، وملتزمين بشعارنا "كلن يعني كلن". فالفكرة هي ان نعمل على تشكيل نواة في كل مهنة بحيث يكونوا قادرين على خوض المعارك الانتخابية بنقاباتهم لاسترجاع النقابات(من احزاب السلطة). وعدم الاقتصار على عمل نقابي غير مسّيس، يدعو كل راغب من العاملين في المهنة للانضمام للنقابة. هو عمل نقابي بديل قائم على مشروع سياسي.

سؤال: هل تفكرون بتشكيل حكومة تتكون من الاطباء والمهندسين والزراعيين والمعلمين والخ..

ريما ماجد: ان مشكلتنا هي ليست في وجود كفائات، بل المشكلة هي مشكلة سياسية. كل الموجودين من اساتذة، هم اكثر علما من الوزراء. يستعين الوزراء بمدراء عامين يقومون بالعمل. الوزيرلا يقرر على شيء، الوزير دوره سياسي. لذلك انا ضد التكنوقراط. نحن لدينا تكنوقراط. نعم نحن لدينا اطباء ومهندسين..السؤال، هل سيدعونا نستلم السلطة في ظل وجود السلاح وفي ظل توازن القوى الموجود؟ وفي ظل دستور طائفي؟

سؤال: سؤالي لا ينصب عليهم فيما اذا هم يسمحون او لا..سؤالي هو كيف يفكر تجمع مهنيات ومهنيون بانفسهم، هل يفكروا ان يلعب فقط دورا "جماعة" ضغط..ام لديكم، في حالة توفر

" اذا اردنا السطة السياسية، يجب ان نكون حزب سياسي "

الظروف، تفكير بموضوعة استلام السلطة؟

ريما ماجد: اذا كنا نتحدث عن موضوعة السلطة بمؤسسات الدولة، فنحن لسنا جاهزين في الوقت الحالي. ولكن، على المدى الابعد..اذا اصبحنا جاهزين، سنطرح انفسنا كبديل للسلطة. نحن نرى ان السلطة يجب ان تنبثق من الاسفل. ولذلك نريد استرجاع المساحات التي في الاسفل ، وهي من سيوجه الضربة الاساسية للسلطة. اذا تمكننا من استعادة هذه المساحات، ستتهاوى السلطة التي في الاعلى من تلقاء ذاتها، حينذاك يمكن استلام السلطة. لكن الوضع الحالي لا يعني ان نستلم وزارات لان لدينا كفائات، لان لدينا اطباء ومهندسين. موضوع السلطة موضوع سياسي وليس مهني. موضوع السلطة هو موضوع سياسي والموضوع السياسي بحاجة الى حزب سياسي. وتجمع مهنيات ومهنيون ليسوا بحزب سياسي. انه يحمل فكر سياسي، ولكنه ليس بحزب سياسي. حتى نستطيع الوصول الى مكان نتمكن فيه من القول باننا نريد استلام السلطة السياسية، لا بد ان نكون حزب سياسي، او ان يحدث، كما حدث في السودان، اي ان يكون هنالك ائتلاف، ائتلاف الحرية والتغيير. يجب ان يخلق اشكالا اخرى، تاخذ طابع سياسي وحزبي اكثر.

فارس محمود

يجب كنس مؤسسة -الجيش- من حياة جماهير العراق!

هذه المقالة تعود الى مرحلة ماقبل سقوط النظام ومساعي امريكا لشن الحرب على العراق، بيد ان مواضيعها ومضامينها واستنتاجاتها وسيناريوهات امريكا، وبالاخص اذا ما نظرنا لتجارب العالم، ليست محلية من جهة، ومن جهة اخرى تكشف مكانة ودور مؤسسة الجيش والاوهام التي تسعى البرجوازية من اجل ترسيخها تجاه هذه المؤسسة، ولهذا ارتاينا اعادة نشرها مرة اخرى- المد

مع تصاعد قرع امريكا لطبول الحرب ضد العراق وحديثها عن ضرورة التغيير في العراق وعن"اسقاط صدام" الذي "ستشعر المنطقة بامان بغيابه"، على حد قول المسؤولين الامريكيين، دبت حركة واسعة بين ضباط الجيش الذين تركوا العراق بعد سنوات طوال قضوها في خدمة تثبيت اركان النظام البعثي الفاشي وسلطته القمعية؛ وبات الحديث عن "دور العسكر في التغيير" حديث الساعة. عادت هذه المرة اسماء مثل الخزرجي والصالحي والياسري والسامرائي وغيرها للواجهة. وغدا الوضع، لمدة، وكأن مصير العراق سيكون رهن اليد الطولى للجيش وضباطه!! وراحت الاحزاب

"السياسية" تمنح خدماتها "المجانية" لأولئك القادمين الجدد الى الساحة؛ تنظم لهم المؤتمرات، تنسق معهم وتنتظر رايهم. تحول الضباط، بين ليلة وضحاها، من اشخاص يسعون الى اخفاء رؤوسهم من الجماهير جراء ما اقترفت ايديهم من جرائم، طيلة سنوات طويلة، الى "منقذي" جماهير العراق!!!
ان اسئلة كثيرة تُطرح هنا: في اية اوضاع ظهر هؤلاء "المنقذين الجدد"؟ ولماذا تذكرتهم امريكا وبريطانيا اليوم؟ وهل يمكن اخذ هذه التحركات على محمل الجد؟ وما هي حظوظهم في نيل السلطة السياسية في العراق؟ ماهي اجندتهم وبرامجهم لجماهير العراق؟ وما هي طروحاتهم السياسية واساليب عملهم "النضالية"!؟ وماهي مكانتهم الواقعية في المجتمع العراقي وصراعاته؟!... وغيرها من الاسئلة التي تستلزم اجابة جدية وملحة من كل طرف جدي في الساحة السياسية في العراق.

بيد ان سؤالاً اخر اكثر الحاحا يطرح نفسه هنا قبل كل هذه الاسئلة: هل بوسع الجيش ان تكون له "مهمة تحررية"؟ هل بوسعه ان يكون منقذ جماهير العراق؟ هل ثمة "ضباط تحررين" امام "ضباط اخرين غير تحرريين"؟! وما هي ملامح هذه "التحررية"؟! ماهو الموقف الشيوعي العمالي من الجيش؟! ماهي المضامين السياسية والاجتماعية لمؤسسة الجيش؟!

لاتناول بدءاً الجوانب التي تتمتع براهنية في الاوضاع السياسية الراهنة والتحركات الاخيرة لضباط الجيش.

"صعود نجم" الضباط .. نتاج اية اوضاع!!

لا يمكن فصل حركة الضباط هؤلاء، بائتلافاتهم ومؤتمراتهم وتنظيماتهم الجديدة، عن مجمل مساعي امريكا بفرض الحرب ضد جماهير العراق والمستقبل الاسود الذي لايعرف ابعاده بعد الذي ترسمه امريكا بالنار والحديد لجماهير العراق. ان امريكا، وفي ظل استراتيجيتها الراهنة والمتمثلة بانتهاز الفرصة الذهبية التي وفرتها لها احداث (11) ايلول، ترى الملف العراقي قضية في غاية الاهمية لاستكمال انتصاراتها التي بداتها مع افغانستان وتسعى الى مواصلتها ومواصلة اشاعة اجواء الحروب بهدف فرض عنجهيتها وغطرستها على العالم وبالاخص امام منافسيها الاوربيين وروسيا والصين. ولهذا، ترى ان الاخفاق في الملف العراقي يعني توجيه ضربة قاصمة لكل طموحاتها وكل اهدافها المصيرية التي هي ابعد بكثير من مسالة العراق او عودة فرق التفتيش اوغيرها، هذه الاهداف الامريكية التي هي عرضة لضغوطات شديدة من قبل خصومها. ولهذا، ليس لامريكا منفذ سوى استخدام كل الاوراق الممكنة من اجل امرار مشاريعها تجاه العراق. لاندحة لها هذه المرة عن استخدام ضباط نفس النظام، ابناء نفس النظام، من اجل النجاح في عملية تحقيق مراميها في العراق.

واذا ما اخذنا بنظر الاعتبار هزالة مايسمى بالمعارضة البرجوازية العراقية للنظام التي هي جثة ميتة عديمة الحياة عجزت امريكا، رغم كل اشكال الدعم المادي والسياسي الذي قدمته لها، عن بث الحياة فيها من جهة، و فشل المعارضة الذريع وعجزها التام على التحول الى معارضة ذات شأن يمكن ان تستند عليها امريكا في مشاريعها على صعيد العراق؛ ناهيك عن سخط الجماهير عليها بوصف الجزء الاغلب منها كان يوما ما من ابناء النظام او في احسن الاحوال منتقد هامشي على هذه المسالة او تلك من مسائل النظام.

ولهذا، فان النفخ بهؤلاء الضباط، اعطاء مكانة لهم، التشاور معهم عبر موظفين من الدرجة الخامسة

اوالسادسة في المخابرات المركزية وتنظيم المؤتمرات لهم وفتح ابواب الصحافة المغلقة بوجههم سابقاً ياتي كضرورة لتلاقي مصلحتين: المسعى الامريكي من اجل القيام بشيء جدي ما تجاه العراق مستثمراً احداث ما بعد 11 ايلول من جهة، وسعي نخبة معينة أُركِنَتْ جانباً طيلة سنوات من اجل ان يكون لها مكانة في التقسيم المقبل للسلطة السياسية في العراق بعد ذهاب صدام، نخبة "تتحسر" على امجادها ومكانتها المفقودة وترى في تحركات امريكا الاخيرة خير منفذ لها لاسترداد مكانتها والظهور، بصورة مرائية ومنافقة وكاذبة، كمنقذة "للشعب العراقي"!!

ان امريكا الفاقدة لاي تصور واضح للتغيير تجاه العراق وكذلك حول نوع البديل الذي يخلف صدام لم تحزم امرها بدعم هؤلاء الجنرالات ودفعهم كاداة للتغيير او جعلهم بديل لنظام صدام. وليست هناك اي دلائل على ان امريكا تفكر لهم بدور ما او مكانة ما في "ترتيب البيت العراقي المقبل". اذ لا يتعدى دور الضباط سوى استخدامهم اداة ضغط اضافية اخرى بيد امريكا على النظام. ان حظوظ هؤلاء للسلطة هي محدودة جداً (وهذا ما تعرفه امريكا جيداً) لعدة اسباب: ان الضابط المتقاعد او خارج الخدمة ليس بضابط. ليس لهم اي نفوذ مادي ومعنوي على الجيش، ذلك ان نظام الجيش يرتكز اساسا على "الآمر" المباشر. ان تفاخر هؤلاء الضباط بانضمام عشرات اخرين الى مؤتمرهم او فتح الباب امام الضباط للانضمام للمجلس العسكري، على سبيل المثال، لايضيف اي علامة ايجابية لدور ومكانة تنظيمهم. فماذا يعني انخراط مئة ضابط ونيف في هذا المسعى في بلد يضم عشرات الالاف، ان لم يكن مئات الالاف، من الضباط المتواجدين على رؤوس الوحدات والقطعات العسكرية!!! ليس لهم اي قيمة. وثانيا في حالة حصول اي تغيير، ما الذي يجعل مئات الضباط ذوي الرتب العالية وهي على راس الوحدات المسلحة ان تسلم امرها لضابط ترك العراق منذ عقد من الزمن. ان الجيش العراقي هو جيش الاف من امثال الخزرجي والصالحي والسامرائي. ليس لهؤلاء ادنى اعتبار ومكانة. ان اعتبارهم ومكانتهم استمدوها من توكيل النظام البعثي الفاشي لهم لاداء مهامه الاجرامية. في جيش اجرامي فاشي مثل الجيش العراقي، تتحدد مكانة الضابط بمدى اقرار النظام بمكانته لديه وبمدى دفاع النظام عنه. ليس في هذا الجيش ضابط ذا مكانة كبيرة. لا يتمتع اي منهم بنفوذ معنوي. ان نفوذهم مرتبط بسلطتهم، وبسلطتهم فحسب. وطالما هم خارج السلطة لايعنون شيء ابداً.

ان هؤلاء خارج صفوف جيش النظام البعثي لايساوون اي شيء. ان هذا ما يدركه الضباط انفسهم كذلك. ان اخر طروحات السامرائي في رسالته المفتوحة الى "رئيسه" التي يطرح فيها سبيل حله لاوضاع السلطة في العراق والمتمثلة بـ"تشكيل مجلس من كبار قادة القوات المسلحة من الشيعة والسنة والاكراد يرأسهم وزير الدفاع الحالي الفريق اول سلطان هاشم احمد، على ان يتولي المجلس العسكري ادارة البلاد ويعلن حالة الطواريء ويجري انتخابات برلمانية حرة باشراف الامم المتحدة خلال ستة اشهر واجراء انتخابات رئاسية حرة باشراف الامم المتحدة خلال سنتين" (موقع الجزيرة نت 4/9/2002) لهو خير دليل على ما اقول. ان اعطاء الثقة بوزير الدفاع ليس نابع من لطف السامرائي، لا من نكران ذاته اوتواضعه، ولا من مكانة وزير الدفاع المعنوية لدى السامرائي، بل نابع من ادراك السامرائي وامثال السامرائي لحقيقة ان عدم وجودهم على راس الجيش وقطعاته يعني ان لامكانة لهم اساساً فيما يتعلق بالسلطة.

ليس الجيش بمنتدى ادبي ثقافي، فكري، سياسي، حزبي، الخ والتي من السهولة بمكان في هذه المنتديات ان تجد احد يقر بالنفوذ المعنوي لشخص اخر. ولكن في الجيش (ناهيك عن كون هذا الجيش هو جيش نظام مثل النظام القومي البعثي!)، الجيش الذي روحه ونبضه الرتب، المكانة

والسلطة ونيل الامتيازات، وبالجو التنافسي المريض والموبوء المشهود له، وبنزعاته التآمرية المعروفة وروح الايقاع بالاخرين، يعد الحديث عن "نفوذ معنوي" هراء مطلق. انهم انفسهم يعلمون ان لا احد يسمعهم، لايجدون عشر افراد مستعدين للسير ورائهم ببساطة لانهم عاجزين عن السير ويفتقدون امكانية التحرك وارادة التحرك.

من جهة اخرى، ان امريكا تعلم (وكل انسان له ادنى اطلاع على اوضاع العراق يعلم) ان جماهير العراق تكُنُّ سخطاً ليس له حدود على الجيش وضباطه ومجمل المؤسسة العسكرية. و لهذا، ليس من السهولة بحال ان تسلم زمام امور حكم العراق المقبل بيد الجيش. ان جماهير العراق لن تقبل هذا. لن يستطع احد ان يلجم بسهولة مبادرة جماهير قُمِعَتْ و صودرت حرياتها و حقوقها الى هذا الحد المذهل طيلة اكثر من ثلاث عقود على يد نظام دموي مثل النظام البعثي وهي ترى هذا النظام يتهاوى امام انظارها. لن تُلجَم بسهولة، لن تقف مكتوفة الايدي امام ضباط يسعون مرة اخرى للسيطرة على للسلطة. اذ ان مجيء الضباط للحكم يعني، بالنسبة لها، ادامة نفس الكابوس. على حد قول منصور حكمت، قد يستطيعون الابقاء على تطلعات الجماهير منخفضة بالقمع والاعدامات والقتل، ولكن متى ما ارتفعت (ومن المؤكد ارتفاعها الصاروخي مع سقوط نظام البعث)، يستحيل خفضها. ان نفس الضباط يعلمون حق العلم هذه الحقيقة. ان احاديثهم الصريحة والقسم باغلظ الايمان على تسليم الامور فورا لحكومة مدنية (هذا ان تسلمها العسكر) ما هو الا انعكاس لادراكهم لهذه الحقيقة الجلية. ان احاديثهم هذه ليست لها ادنى ربط بـ"نزاهتهم" و"نكران الذات" الذي هو امر يناقض تماماً ما يسموه بـ"الروح العسكرية". انها جراء ضغط واقعي رأوه واصطدموا معه حين كانوا ازلام النظام، ويروه اليوم وهم "معارضيه" بالاف الاشكال. ولهذا، ان امريكا تبحث عن طرف او اطراف لها نوع من المقبولية لدى جماهير العراق. وبهذا الدليل، لايمكن ان يكون هؤلاء اناس هذا الامر، امر ان يكونوا بديل نظام صدام.

على النقيض من ذلك، وعلى سبيل الافتراض لااكثر، ان فكرت امريكا ببديل من ضباط الجيش، فانها ستفكر باؤلئك الضباط المتواجدين على راس القطعات العسكرية والمدججين بالاسلحة الثقيلة على الرغم من ادراك امريكا ان النظام قد احكم قبضته على الجيش عبر ابعاد اؤلئك الذين لديه ذرة شك او تردد في ولائهم عن المراكز الحساسة سواء عن طريق عمليات التنقل الواسعة واليومية او عبر لي اذرع الضباط بشتى السبل الترهيبية والترغيبية. ولهذا، لاتتوقع احتمالية انقلاب عسكري الا في حالة قصف امريكي شديد وانفلات الاوضاع وتقدم مجموعة ضباط للسيطرة على وزارة الدفاع والقصر الجمهوري. في هذه الحالة فقط. ولكن من قال ان امريكا سيكون لها ما تريد في مسعاها هذا وتحقيق اهدافها.

حتى لو افترضنا ان امريكا مضت نحو خطتها بضرب العراق، ليس واضحاً لاحد، ومن ضمنهم نفس المسؤولين الامريكيين، مدى حدود هذه الضربة وبالاخص في ظل المخاطر التي تحف خطوتهم هذه من جهة، معارضة اوربا الشديدة ، تشابك قضايا المنطقة وبالاخص في ظل وصول مسالة الصراع الفلسطيني الاسرائيلي الى مازق جدي، السخط الجماهيري العميق والمتفجر تجاه امريكا في المنطقة ناهيك عن السخط العالمي من نزعات امريكا الحربية، وانعدام وضوح بديل النظام البعثي وغياب بديل مقتدر نوعا ما قادر على لجم التلاطمات السياسية في العراق في حالة انفلاتها وبالتالي يعرض مجمل المنطقة والمصالح العالمية الى مخاطر جدية. ان امريكا تعلم انها ليس قادرة عبر الخزرجي والصالحي والسامرائي تامين عدم انفلات الاوضاع.

برايي، ان امريكا تهدف، عبر دعم الضباط هذا، ان توجه رسالة الى ضباط الجيش داخل العراق لاخارجه مفادها ان بديل عسكري هو امر مقبول لدى امريكا؛ اي بالضبط رسالة تحريضية للضباط للقيام بانقلاب على النظام والقيام بتغيير فوقي وشكلي في السلطة يؤمن استتاب الامور. ان هذا يعكس عجز امريكا اكثر من قوتها. هذا العجز الذي يدفعها لسلوك كل السبل من اجل هدفها في الوقت الذي تعلم ان سبلها لهي هزيلة الى حد كبير.

اسطورة "الجيش التحريري"!

ان اول من بارك مساعي الضباط وتحركاتهم ومؤتمرهم هم المعارضة البرجوازية العراقية ذاتها. لم تكتفي بهذا، بل راحت تتحدث عن الدور المهم الذي بمقدور الضباط و الجيش ان يلعبوه في عملية تغيير النظام و"بناء العراق الديمقراطي الموحد". راحت تتحدث عن "حان الوقت ليثأر الجيش لكرامته التي مرغها صدام بالتراب"، "ازفت ساعة ان يعاد للجيش دوره الوطني" وغيرها. روجت لتلك الاجواء الحماسية الفارغة حول ان الجيش وجماهير العراق سيكونون يد بيد ساعة "ضرب صدام".

ان اشاعة هذا التصوير نابع من مسالتين: الاولى، هي شعور المعارضة بالعجز التام والكلي عن القيام باي شيء جدي. وعليه، فانها بامس الحاجة للجيش في "اسقاط صدام". انه اداة اخرى لتقوية جبهتها الهشة والمتداعية. في الوقت ذاته، ان الجيش والية تدخله في الاوضاع يتطابقان مع منهج وحركة مجمل فصائل المعارضة البرجوازية، اي اجراء تغيير فوقي خارج ارادة الجماهير. وحتى لو شاركت الجماهير، فستكون مشاركتها كملحق واداة دعم لهذه التحركات فيما تكون مسالة اعادة الجماهير الى بيوتها هي احدى اهم اولويات السلطة القادمة. اي انتهى دورك ايتها الجماهير، وعلينا نحن النخبة، كضباط وسياسيين، ان نقوم بممارسة السلطة والحكم والقرار ليس نيابة عنك بل عليك اساساً، ليس بارادتك، بل بالضد من ارادتك!!

هل بوسع احد ما ان يحدثنا، ولو قليلاً، عن هذه "المهام التحررية" للجيش؟! هل بوسعه ان يقدم عمل او عملين قام به الجيش تتذكره الجماهير يوما ما بوصفها امور خدمت خير الانسان عموماً او رفعت من شانه ومكانته؟! بوسع المرء ان يقدم عشرات الشواهد على التاريخ الاجرامي والدموي لجيش مثل الجيش العراقي. ولكن هل بوسعه ان يدلنا على شاهد واحد فقط على تحرريته؟! اذن من اين أُستمد هذا التصور لـ "الطابع التحرري للجيش"؟! ما هي الافكار والاهداف التي تقف وراء اشاعة هذا التصوير؟!

ان الجيش جهاز ومؤسسة قمعية بيد الطبقات الحاكمة من اجل ادامة عمر سلطتها. ان الدولة ترتكز في وجودها على عصبين اساسيين: الجهاز البيروقراطي- الاداري، الجهاز القمعي البوليسي(ويعد الجيش من اكثر اركانه اساسية). ان الطبقات الحاكمة، ومن اجل ادامة سلطتها والحفاظ على نظامها الراسمالي، باشد الحاجة الى هذه المؤسسة القمعية. انه جهاز لايمكن فصله عن مجمل بنية النظام الطبقي. ولانه احد اركانه الاساسية، فان الطبقات الحاكمة حريصة على تصويره بشكل مموه ومخادع. تصوره كانه مؤسسة هدفها "الدفاع عن حياض الوطن من الاعداء المتربصين به"، "درع الوطن وسوره"، "فخر الامة ورمز عزتها"، تصوره كجهاز مافوق الطبقات والمجتمع وصراعاته. ان الطبقات الحاكمة تعلم انها لو ابلغت الانسان انه سيذهب ليقاتل من اجل ارباحها ومصالحها وهيمنتها لما وجدت حفنة اشخاص مستعدين لقتل انفسهم وقتل الاخرين من اجلها. ولهذا لابد ان تغلف

اهدافها بعبارات مثل "الدفاع عن حياض الوطن"، "الدفاع عن الارض والعرض"، "الدفاع عن الشرف".

ان الجيش، مثل "الوطن"، "الحدود" و"الامة"، كلمة اضفت عليها الراسمالية من القدسية والمهابة بحيث اصبحت عملية نقدها كانه امر اقرب للاعمال الشاذة وغير المالوفة. ان نقد هذه المؤسسة اقرب بالكفر عند الاسلام. ترسخت هذه المقولات بحيث غدا الطعن بها كالطعن باحد التابوات والمقدسات. بيد ان شيوع هذا التصور ليس سوى دلالة شيوع افكار وتصورات الطبقات السائدة اكثر من دلالة حقانيتها وصحتها. ان جرائم هذه المؤسسة ابعد من ان تحصى. ليس لهذه المؤسسة تاريخ "تقدمي". ان هذا التاريخ التقدمي الذي يتحدثون هو تاريخ مصالح واهداف سياسية معينة لقسم من الطبقات الحاكمة دفعت بقوات الجيش على اساسه لذبح "الاعداء"، ارتكاب المجازر والقتل والدفن الجماعي، عمليات التهجير والابعاد والنفي وممارسة سياسة الارض المحروقة. ان تاريخ الجيوش هو الغزوات، اخضاع الطرف المقابل. ان كانت الحروب هي امتداد للسياسة بشكل اخر مثلما يقول كلاوزفيتس، فان قرارات الحرب هي امتداد لسياسة الطبقات الحاكمة واهدافها. انظر الى تاريخ الحروب والجيوش في العالم وغزواتها، سيكون من اليسر بمكان رؤية مصالح الطبقات السائدة في الحرب. لم تشن امريكا الحرب على العراق وتجلب الشباب الامريكي للمنطقة، ابان ازمة الخليج، "من اجل عيون شيوخ الكويت"، ولا من اجل "تخليص جماهير العراق من الديكتاتورية". ان حربها من اجل تثبيت نفسها كزعيم وشرطي وحيد للعالم. لم ينبع اجتياح بنما على يد الجيش الامريكي من اكتشاف امريكا ضلوع نوريغا (العميل السابق للسي آي أي) بتجارة المخدرات ذلك ان امريكا نفسها من احالت اليه اموال طائلة تم جنيها من بيع المخدرات، بل نابعة من عصيانه وتمرده على امريكا التي تعد قناة بنما ذا اهمية استراتيجية خاصة من الناحيتين العسكرية والاقتصادية وكذلك من ناحية تدخلها في اوضاع بلدان امريكا الوسطى والجنوبية. كما لم ينبع احتلال ايران للجزر الثلاثة من قدسية الجزر والاراضي المذكورة، بل من موقعها الاستراتيجي العسكري المهم. لهذا، ان الجيش اداة مهمة للطبقات الحاكمة سواء في القمع الخارجي والقمع الداخلي.

لهذا، ليس بغريب ان تجد قدسية الجيش لدى مجمل التيارات السياسية المعارضة. انها تنتمي الى نفس العائلة. اذ رغم كل اختلافاتها وصراعاتها السياسية والعقائدية الا انها لاتختلف في موضوعة الجيش ومكانة الجيش. وعليه، ليس بغريب ان تجد الرسائل تنهال على الجيش في ذكرى (6) كانون الثاني (يوم تاسيس الجيش العراقي). ففي الوقت الذي يلقي صدام خطاباً، كعادته، في هذا اليوم مشيداً بالجيش ومنجزاته!!، تتغنى احزاب المعارضة العراقية بهذه الذكرى "المجيدة". انه جيشهم، جيش طبقتهم. انهم بامس الحاجة اليه. ان كان اليوم بيد صدام، فمن الممكن ان يكون غداً بيدهم. وعليه ان يؤدي ذات الرسالة دون نقصان.

تتلخص مجمل نظرة المعارضة البرجوازية بكل فصائلها القومية، الدينية والليبرالية لمسالة الجيش هو انه "مؤسسة أُسيء استخدامها"، "أُفرغت من محتواها وشكلها الحقيقي". بيد ان السؤال المطروح هنا هل لمؤسسة الجيش، لا في "عراق صدام" بل في اي مكان اخر، في نفس مركز الديمقراطية العالمية ودول حقوق الانسان وغيرها، مهمة اخرى غير المهمة التي وضعها امثال صدام وبوش وريغان والخميني وسوهارتو والبشير وبرويز مشرف وغيرهم. اي محتوى او شكل حقيقي افرغ من مؤسسة الجيش؟! ان المحتوى والشكل الحقيقي لايمكن ان يكون غير الحروب، قمع العصيانات والتمردات الداخلية، لايمكن ان يكون سوى المؤامرات والانقلابات، سوى المحسوبيات والرشاوي

واستغلال النفوذ، الطاعة العمياء والعبودية. لم يكن يوما ما سوى مرتع احط واقذر النزعات المعادية للبشر، الحط من قيمة الانسان وكرامته، اذلاله واخضاعه. مؤسسة الجيش ابرز تجليات الانحطاط الروحي والمعنوي للبشر. ان هذه ليست صفات جيش صدام فحسب، ان هذه ليست صفات جيش ديكتاتوريات امريكا اللاتينية واسيا وافريقيا، ان هذه صفات نفس المؤسسة العسكرية في قلب ما يسمى بالعالم المتمدن. ان اي متتبع بسيط لاخبار الجيش الامريكي والبريطاني وغيرها من البلدان المتقدمة ستزكم انفه رائحة فضائح جيوش هذه البلدان، سجلها الاجرامي، روح النزعة الشوفينية والاستعلاء القومي، الاستهتار بكل القيم والمثل الانسانية، انحطاط وتفسخ علاقاته الداخلية وغيرها. ان سجل جيوش بلدان مثل امريكا وبريطانيا وغيرها اكثر اجرامية بكثير من سجل النظام العراقي. على العكس من ذلك، ان انفلات النزعات العسكرتارية للنظام مدينة لنفس دعم بلدان العالم الغربي وشركاته. ان قصف حلبجة وعمليات الانفال والاهوار بالاسلحة الكيمياوية وكذلك في حربه ضد ايران التي راح ضحيتها الجنود العراقيين كذلك كانت على مرآى من العالم الغربي. لقد لزم الغرب الصمت عن هذا كله لان نظام صدام كان عزيزهم في وقتها، اما الان فهم ينفخون ببوق خطر صدام لكونها ضرورية لحملتهم الدعائية.

النزوع نحو العسكرتاريا.. ضرورة الطبقات الحاكمة!

ان تمتع المرء بادنى حدود الموضوعية، لادرك ان ما عمله صدام، رغم كل بشاعته وقذارته، ليس بغريب عن منطق النظام الراسمالي وحكوماته على اختلاف تلاوينها. لااتحدث هنا عن ما جلبته القوى الراسمالية العالمية من مصائب على رؤوس البشر والتي كلفت احد، فقط احد، حروبها ارواح اكثر من (60) مليون انسان!! ان الحروب، العسكرتاريا، السعي للتفوق الاقليمي والظهور كقوة يُحسب لها حساب جدي في المعادلات السياسية في المنطقة هي شيء متأصل في الراسمالية ونظامها. ان السعي للظهور كقوة اقتصادية والحصول على مكانة سياسية يتوجب ان تكون الطبقة الحاكمة متسلحة بقوة عسكرية سواء للدفاع عن مصالحها الاقتصادية وعن سوقها الداخلية او لفرض شروطها على الاطراف الراسمالية المنافسة الاخرى.

ان الحروب جزء لايتجزء من المنظومة الراسمالية. انها احدى ادوات الصراع والمنافسة. لهذا ليس بغريب ان تتحول المجتمعات الراهنة الى وضعية اصبحت معها الحروب والعسكرتاريا جزء من مشغلتها اليومية. ان لم يكن البلد في حرب، فانه يجمع القوى ويكدس الاسلحة استعداداً لحرب قادمة. انها لفعلاً غابة الراسمال، تاكل الاسماك الكبيرة الصغيرة منها في صراع ضار تنافسي مدمر. ومن هنا تنبع تقديس الجيش لدى الطبقات الحاكمة بوصفه رمز و"ذخر الامة". انه ذخر الطبقة الحاكمة. انه ضرورتها الحياتية في هذا العالم التنافسي المدمر. انه امر ليس نابع من فراغ ان تذهب ارقام هائلة من واردات البشرية المنتزعة اساساً من كدح وتشديد استغلال العمال نحو الحروب والعسكرتاريا.

ان الجنوح نحو التسليح والعسكرتاريا ليست شيمة النظام البعثي فحسب. فليست قليلة هي البلدان التي ترسف اغلبية الجماهير في فقر مدقع يبعث على الخبل فيما تصرف الطبقات الحاكمة عشرات المليارات من الدولارات لاغراض التسلح والعسكرتاريا. ان باكستان، ايران، الهند، مصر، الاردن، سوريا وغيرها هي نماذج فقط على ذلك. ترى لماذا؟! لا يحتاج المرء الى حكمة خاصة وادراك وفهم خاصين لمعرفة ان ميزانيات الجيش تبتلع ارقام خرافية من "الدخل الوطني". واذا ما وظفت هذه

الامكانيات في المشاريع الخدمية والرفاهية للمجتمع، فانها ستدفع بالمجتمع خطوات كبيرة في سبيله نحو الرفاه. بيد ان مثل هؤلاء المنتقدين، في الحقيقة، يكشفون عن سذاجتهم وطيب نياتهم اكثر مما عن فهمهم لحقيقة الامور. انهم يفسرون مساعي البرجوازيات في الحروب والصراع طبقاً لالية اخرى، طبقاً لمنطقهم الانسانوي غير المادي وغير الواعي. فمن قال ان ما يحرك الراسمال وقرار الهيئات الحاكمة هو رفاه البشر وسعادتهم. ان مجمل حركة المجتمعات المعاصرة تدلل، باجلى الاشكال، على حقيقة ان سعادة البشر ورفاهها ليس وارداً في سلم اولويات المجتمعات الطبقية. ان منطق الراسمال يتعقب هدف واحد هو تامين الربحية العالية والظهور كقوة اقتصادية وسياسية وعسكرية بحيث يكون لكلمتها مكانة عند الاخرين. ان العالم الراسمالي متأزم لحد النخاع. لهذا، يغدو على الهيئات السياسية الحاكمة، بوصفها هيئة ممثلة لتطلعات وحاجات الطبقات الحاكمة، الراسمالية، ان تعد العدة لصيانة هذه التطلعات والحاجات. ان احد اهم قنوات تامين ذلك هو النزوع نحو التسلح والظهور كقوة عسكرية.

ان عسكرتارية النظام البعثي لاتعود الى " ديكتانورية صدام"، "عنجهيته"، "حبه بالخلود"، "تربيته البدوية"، ولا الى "حبه للعنف والقتل وتلذذه بهما" وغيرها من التفسيرات التي تحيل عسكرتارية النظام البعثي الى المزايا والسلوكيات الشخصية والفردية والنفسية لـ"الطاغية". ان مثل هذه التفاسير لهي موغلة في الهزالة. انها تستهدف الى تبرئة ذمة الطبقة التي تقف وراء نزعة النظام البعثي هذه الداعية للحروب والعسكرتارية. ان "صدام" ممثل لتطلع طبقته. ان النظام البعثي هو نظام قومي مقاتل (مليتانت) ينشد ان يكون للعراق و"الامة العربية" مكانة في المعادلات السياسية الاقليمية والعالمية. كان هذا النظام القومي، بوصفه تيار سياسي واجتماعي معين عريض يتخطى تواجده حدود بلد معين، وهو يرى مدى الامكانات الاقتصادية والبشرية والجغرافية- السياسية التي تتمتع بها هذه "الامة" (والتي تعني الامكانات الهائلة التي تتمتع بها الطبقات الحاكمة في العالم العربي)، يتطلع، وفقاً لذلك، الى ان تكون "الامة العربية" امة يحسب لها حساب جدي على صعيد المنطقة والعالم. ان مجمل حركة هذا النظام، شعاراته، خطاباته وغيرها تدلل على هذا التوجه. ومع تاميم النفط، والامكانات المادية الهائلة التي جنتها الطبقات الحاكمة من عملية التاميم هذه تنامت وبشكل سريع طموحاته التوسعية. ان ما يقف وراء تمزيق صدام للمعاهدة التي وقعها العراق مع نظام الشاه وعدها باطلة وملغية هو هذا الجنوح نحو الهيمنة والتسلط على صعيد المنطقة. ان اجتياحه لايران ومطالبته بشط العرب تاتي ضمن عملية اوسع الا وهي سعي النظام للتحول الى القوة الاقليمية الاساسية في المنطقة وكسر شوكة ايران وفرض التراجع عليها كمنافس اقليمي. ان الحرب لاتتعلق بديكتاتورية صدام اساساً. من الممكن ان تكون الطبقات الحاكمة قد وجدت صدام خير ممثل وخير معبر عن تطلعاتها او رجلها المناسب. بيد انه لا يمكن تفسير "عسكرتارية صدام" بشخص صدام.

اسطورة "ديمقرطة الجيش"!!

ولان الجيش يتمتع بتلك المكانة العزيزة لدى الطبقات الحاكمة، ولان الاحزاب السياسية والمحافل السياسية والمثقفة البرجوازية بتياراتها المتنوعة من قومية واسلامية الى ديمقراطية وليبرالية هي معبرة، بهذه الدرجة او تلك، عن مصالح هذه الطبقات، فان اعتراضاتها على مؤسسة الجيش الحالية لايتعدى نطاق مفاهيم مثل "غياب الديمقراطية في الجيش" و"ضرورة ديمقرطة الجيش". انها تصور المسالة على النحو التالي: ان ديكتاتورية هذه المؤسسة وسيادة الاجواء القسرية والعنيفة الراهنة هي وليدة ديكتاتورية وقسرية نفس نظام صدام الديكتاتوري. ولهذا تخلص للنتيجة التالية: مع اقامة حكومة

"ديمقراطية" في العراق، سيزول كل ما علق بهذه "المؤسسة الوطنية" من "مخلفات" نظام صدام!! ان النقد المذكور هو نقد تيارات سياسية معينة. انه ليس انتقاد الجماهير العريضة في العراق الساخطة على نفس وجود هذه المؤسسة. والسؤال هنا الى اي مدى يتمتع هذا النوع من النقد بصحة وحقانية؟!! وما هي النتائج السياسية والعملية التي يترتب عليها مثل هذا النقد؟!

بغض النظر عن منطلقات الكثير من "اصحاب القلم" هؤلاء عند تناولهم هذه المسالة، فانهم عملياً يدافعون صراحة، بوعي او دون وعي، عن هذه المؤسسة وبقائها. يجب تفسير اي ظاهرة اجتماعية او اقتصادية او سياسية معينة وفق منطقها الداخلي، لا وفق الدهاليز الذهنية لهذا المثقف اوذاك. ان كل مؤسسة لها اليتها وديناميتها الخاصة. لا يمكن الحديث عن الصدق في التجارة لان منطق التجارة يستند اساساً، سواء شئنا ام ابينا، على الكذب والخداع، وفي احسن الاحوال على "عدم الصدق". فالتاجر "الماهر" و "الشاطر" هو ذلك الذي يستطيع اقناع الاخرين بمزايا بضاعته عند البيع وبنواقص بضاعة الاخرين عند الشراء. كما لايمكن الحديث عن "سياسي برجوازي صادق"، لان منطق السياسة البرجوازية هو تحميق الجماهير وابعاد انظارهم عن حقيقة الامور. وعلى نفس المنوال، لم يسمع احد يوما ما بـ"العلاقات الديمقراطية" داخل الجيش. ان عصب الجيش هو الاوامر من فوق. ان ظروف ومعيشة الجندي تحدده مسالة ماذا يبتغى من الجندي: قتل "الاعداء" الداخليين والخارجيين دون قيد او شرط، الدفاع عن النظام القائم ومصالحه وغيرها. ان القسوة المتناهية، الطاعة العمياء، الصلافة والشراسة، غياب مكان الاخر، "نفذ ثم ناقش" (ولايعلم احد لماذا يناقش بعد ان كان قد نَفَّذ!!)، المنصبية، المحسوبية، الرشاوي، استغلال الموقع والمكانة المهنية، التنافس والايقاع بالاخرين، ضيق الافق، كره الثقافة والتعلم، كره الحريات والحقوق، عبودية النظرة للانسان، الاستعلائية، الاستهتار بالقيم الانسانية، ان كل هذه هي سمات الجيش، اي جيش. لا يشذ الجيش العراقي عن هذه القواعد. من الممكن ان يقول احد ما ان الجيش العراقي لم يكن كذلك. قبل ان يوضح لي هذا الاعتراض اي شيء اخر، فانه يدلل دفاع صاحبنا عن هذه المؤسسة من جهة، وعلى ان سيادة وطغيان مفاهيم "صدام وجرائم صدام" على مجمل تصوره وعقليته السياسية. انه لايرى سوى الجرائم التي ارتكبها صدام عبر هذه المؤسسة فيما يغض النظر عن مجمل التاريخ والدور الاسود لهذه المؤسسة في المجتمع العراقي. وان يكن مؤسسة الجيش هذه قد اتخذت ابعاد اكثر شراسة ووحشية مع النظام الفاشي البعثي. بيد انها لم تخرج عن الاطر العامة التي تسير هذه المؤسسة القمعية. ان الجيش جيش. اداة لقمع الجماهير. اداة، على قول لينين، أُستخدمت وتُستخدم للحروب الداخلية اكثر مما ضد العدو الخارجي. ان دور الجيش في الحروب، الانقلابات العسكرية، اخماد وقمع الانتفاضات، مصادرة الحريات السياسية، فرض قوانين الطواريء والاحكام العرفية هي جزء حي لا من تاريخ المجتمع العراقي فحسب، بل من تاريخ مجمل البلدان الطبقية، وبالاخص تلك التي تغط في ازمة خانقة.

ولكن السؤال المطروح هنا: لماذا يصر هؤلاء على "ديمقرطة الجيش"؟! لماذا لاتكنس هذه المؤسسة الاستبدادية القمعية؟! لماذا لا يُمحى كابوسها من حياة الجماهير؟! ان فكروا فعلاً بتحرر الجماهير، لماذا لا يحرروا الجماهير باديء ذي بدء منها؟! لماذا يصر على الابقاء على هذه المؤسسة التي لايعني وجودها سوى الابقاء على سيف احد المؤسسات القمعية جاثماً على رقاب الجماهير؟!
ان كان هناك مزية تُسَجَلْ للنظام البعثي الا هي تبيانه بالملموس لمدى الدور المدمر والماساوي الذي بمقدور هذه المؤسسة ان تلعبه في حياة الجماهير. يجب كنس هذه المؤسسة لا ديمقرطتها.

اسطورة "عدم تسييس الجيش"!!

يتحدث الكثيرون، هذه الايام، عن ضرورة "عودة الجيش للثكنات"، "يجب ان لايتدخل الجيش في الحياة السياسية"، "يجب ان يكون الضباط والجنود خارج الانتماءات الحزبية"، "يجب ان يترفع الجيش عن الاهتمامات السياسية والحزبية الصغيرة امام المهمة الوطنية العظيمة الملقاة على عاتقه"، "يجب ان لايُفسح المجال للضباط بالعمل السياسي الا بعد الاستقالة من الجيش"؟! ان كل هذه العبارات اتت، هذه المرة، على لسان الضباط وطيف واسع من الاحزاب السياسية. ان دلت هذه العبارات على شيء، فانها تدل، قبل اي شيء اخر، على مدى سخط الجماهير من الجيش ومن المؤسسة العسكرية. ان هذه الحقيقة هي التي تجبر الضباط من امثال الياسري وعشرات غيره على التصريح بها، بل وجعلها ضمن برنامجه.

ان مسالة مدى تدخل الجيش في السياسة وفي الاوضاع السياسية لاي بلد، ومن ضمنها نفس مراكز الديمقراطية وحقوق الانسان التي هي قبلة دعاة الديمقراطية في العراق، تحدده عدة عوامل اهمها توازن القوى الطبقي والسياسي في المجتمع. قد يُبعَدْ الجيش من التدخل في الحياة السياسية لبلد ما، بيد انه يبقى سيفاً قائماً "ساعة الحد" على رؤوس الجماهير. ان هتلر وموسوليني قد ظهرا من رحم العالم الديمقراطي ارتباطا باوضاع الازمة الاقتصادية الخانقة التي عمت العالم نهاية القرن العشرين واختلال ميزان القوى لصالح العامل والراديكالية والشيوعية. ان الجيش مؤسسة واداة قمعية بيد الطبقة الحاكمة والهيئة السياسية الحاكمة. فاي هراء عن "عدم سياسية" هذه المؤسسة. انها تاخذ اوامرها في حروبها وقمعها واستبدادها من الهيئة السياسية التي تملي عليها ماذا عليها ان تعمل وماذا عليها ان لاتعمل. ان هذا تصور مرائي تسعى الطبقات الحاكمة من خلاله اقناع الجماهير بان الجيش "فوق الطبقات"، "فوق الصراعات"، "فوق الهموم الحزبية الضيقة"، "همه خير الوطن وسلامته من تطاول الاعداء". ان واقع الحال ليس كذلك.

ان الطبقات الحاكمة، البرجوازية، تتحدث عن عدم سياسية الجيش ابان رخائها وازدهارها، ابان اطمئنانها على مصالحها من انها بعيدة عن تطاول العمال ومحرومي المجتمع. ولكن ابان ازمتها السياسية والاقتصادية، ابان نزول الجماهير للشارع واحساسها بالخطر الداهم على مصالحها وبقائها، فان اول قرار تاخذه هو انزال الجيش للشارع لقمع الجماهير و"تاديبها". وإن انفلتت زمام امور الوضع اكثر، ستدفع الطبقات الحاكمة الهيئة الحاكمة "الديمقراطية" و"المؤدبة" الى ان تتفضل جانباً لاقامة حكومة طواري او القيام بانقلاب عسكري. اذ لا وقت للمزاح بعد. ان انقلابات الجيش هي اشارة الطبقة الحاكمة للجيش الذي ترى فيه بديل وحيد لوضع حد للجماهير واعادتها الى منزلها بالسلاح بعد ان عجزت سبل الديماغوجية البرلمانية. انظر الى تاريخ الانقلابات العسكرية في العالم كله وليس العراق فحسب، سترى في اي سياق واي ظروف اجتماعية- اقتصادية جاء العسكر للسلطة. نفس الانقلابات العسكرية في 1958 (واعلم ان كثيرين سيشيطون غضباً لتسمية محاولة عبد الكريم قاسم بانقلاب!!)، 63، 1968 التي جاءت بنظام صدام للسلطة قد جاءت كلها ارتباطاً باوضاع تازم الطبقة الحاكمة (فوق) وتحرك الشارع (تحت). (لا اريد ان اطيل في موضوعة الجيش والديمقراطية اكثر لاني اسعى لتناوله باسهاب اكثر في فرصة قريبة).

لقد فات اصحاب هذه الاراء ان يدركوا ان الحكومات العسكرية ليست الشكل الوحيد للاستبداد وان مجيء حكومات مدنية للسلطة لايعني قط ان حيز حريات الجماهير وحقوقها قد اتسعا، و لايعني بحد

ذاته اتساع مساهمة الانسان في التدخل في تحديد المصير والمسارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية للبلد. ان اوضاع عالمنا المعاصر، وبالاخص بلدان ما يسمى بالعالم الثالث حيث سادت الحكومات العسكرية، تدلل، يومياً، وباجلى الاشكال، على هذه الحقيقة.

وفيما يتعلق بالعراق، يصورون ان اساس بلاء جماهير العراق هو وجود نظام حكم ديكتاتوري عسكري. انه لامر مفهوم ان وجود حكومة عسكرية في العراق يعني تشديد الخناق اكثر واكثر على رقاب الجماهير، بيد ان هذا يجب ان لايحرف انظارنا عن النظام الذي يقف وراء هذه الديكتاتورية العسكرية. ان هذين التناولين المختلفين يوصلنا الى نتائج سياسية وتكتيكية مختلفة جداً، بل ومتعارضة. فالاول يوصلنا الى، ويكتفي بضرورة ازاحة العسكر من الحياة السياسية وابقاء الامور على حالها، مجيء حكومة تقوم بانتخابات كل اربعة اعوام تسلب من الجماهير اي مشاركة فعلية في تحديد المصير السياسي للجماهير، اما الثاني، فيسعى لازالة الاسس المادية للظلم والاستغلال وسلب الحريات والحقوق. ان اعتراض الاول على شكل ونمط معين من السلطة، اما اعتراض الثاني على المضامين الاجتماعية والسياسية للسلطة لاي سلطة برجوازية ومنها العسكر.

بيد ان التصور الذي يرهن حق الاشتراك بالعمل السياسي بمغادرة الجيش فهو اهزل بكثير من هذا. انها ذات اهداف كثيرة. ان خلفية هذا التصور المغرض تستند الى رهن مسالة الديكتاتورية (الناجمة عن العسكرتارية حسب هذا التصور) بالفرد. كما لو ان الدكتاتورية هي نتاج الافراد الديكتاتوريين!! هؤلاء الافراد الذين غدوا ديكتاتوريين نتيجة نزعات ذاتية وفردية وسلوكية غير سليمة او عقد نقص شخصية. ولهذا يتحول التاريخ من ميدان صراع القوى الاجتماعية حول المسائل الاجتماعية الحية الى ميدان كشف الاسرار والاغوار الشخصية!! ومن السهولة بمكان فهم المصلحة الخاصة للطبقة الحاكمة في مثل هذا النوع من التصوير. اذ تُدفن علل مصائب الجماهير مع دفن الديكتاتور!! فيما تصان رقبة النظام الاقتصادي والسياسي والاجتماعي الذي يقف وراء هذه المصائب والذي هو منبع ومصدر هذه الديكتاتورية. ان هدف هذا التصور هو تبرئة ذمة الطبقة البرجوازية واحالت انظار الجماهير نحو فرد (كبش الفداء). ان هذا هو بالضبط مايقوموا به تجاه صدام حسين مثلما قاموا به بالامس تجاه هتلر، موسوليني، بينوشيت، هيلاسي لاسي والعشرات من الديكتاتوريين الذين جلبوا المصائب تلوا المصائب على رؤوس الجماهير.

اي موقف يجب اتخاذه من الجيش؟

نظرا لكل ما ذكرناه حول الطابع القمعي للجيش، يجب النضال من اجل حل الجيش وقوات الحرس وسائر القوات المسلحة الحرفية وكافة المنظمات العسكرية والتجسسية والبوليسية. ان هذا ما ينبغي ان تقوم به اي حكومة مقبلة في العراق. ينبغي ان تحل مليشيات مجالس الجماهير المبنية على اساس التدريب العسكري العام والمشاركة العمومية في المهام الانضباطية والدفاعية محل الجيش الحرفي المنفصل عن الجماهير.

ولكن طالما بقيت القوات المسلحة، ينبغي الغاء الطاعة العمياء. لكل عسكري الحق في الامتناع عن تنفيذ الاوامر التي يعتقد بمعارضتها لقوانين البلاد او مغايرتها للمباديء الانسانية والوجدانية التي يؤمن بها. كما يحق لكل امرء الامتناع عن المشاركة في الحرب او اية نشاطات عسكرية يعتقد بتناقضها مع مبادئه ومعتقداته. ان من حق الجندي ان يتمتع بحياة عادية سليمة. ان كونه جندي

لايمنعه من التمتع بمجمل سمات حياة مدنية مرفهة وانسانية امنة ومؤمنة. يجب ان تلغى مجمل القوانين والتعليمات التي تعمل على ابعاده عن حياته الطبيعية ومحل سكناه (اذ ان هدف ارسال الجنود للمناطق النائية والبعيدة عن اماكن سكناهم لاتتعلق قط بمسالة السعي نحو تعليمه التحمل والصبر!! كما يشيعون. ان هذا كذب محظ. انه مسعى لابعاده الى مناطق "غريبة" حتى لايوجع قلبه ان قام باطلاق النار على "الغرباء" التي لاتعني هنا "غير العراقيين"، بل نفس العراقيين ولكن من سكنة المناطق الاخرى، "الاكراد"، "الشيعة"، "الدليم" ...الخ. اذ تغير البرجوازية المفاهيم والمدلولات العملية بما يناسب مصالحها).

يجب السماح لكل منتسبي القوات المسلحة بحرية ممارسة حقهم في النشاط السياسي والانضمام الى الاحزاب السياسية والنقابات بوصفهم افراد في المجتمع. ان منع المنتسب للقوات المسلحة من العمل السياسي هو خرق لاحد حقوقه الاساسية كانسان. ان الطبقات الحاكمة تسعى بكل السبل لابعاده من الحياة السياسية كي تربح ابعاد قسم واسع من اعضاء المجتمع بحجة كونهم عسكريين (لاحظ بعد ان ابعدت نصف المجتمع قبلها، المراة!) من التدخل في الاوضاع السياسية وتقرير المصير والمستقبل السياسي للمجتمع. كما يحق لمجمل الاحزاب السياسية ممارسة نشاطها السياسي في الجيش. لا اقصد من كلامي هذا السماح لمؤسسة الجيش في التدخل في الحياة السياسية. انا اتحدث عن افراد، عن ملايين العمال والكادحين الذين يسلب منهم حق المشاركة في تقرير مصير المجتمع وذلك لكونهم "جنود".

ان هذه هي الخطوط العامة للموقف من الجيش. ولكن تثار هنا اعتراضات كثيرة مثل: كيف يمكن ان يكون بلد بدون جيش؟! كيف يتم رد عدوان على البلد؟! الا يغري ذلك "الاعداء" على مهاجمة البلد؟!. ان المسالة تتعلق بحل الجيش بوصفه مؤسسة قمعية، كسائر الاجهزة الاستبدادية، تستخدم اساساً ضد الجماهير وارهابها (وهذه مهمته الحقيقية والواقعية). ان موضوعة التصدي لعدوان لهي مسالة تختلف عن مسالة حل الجيش. انهما قضيتين مختلفتين. لايهدف الخلط بينهما هنا الا تضليل الجماهير، الا تبرير الابقاء على مؤسسة الجيش. ان جواب ذلك بسيط. حين تكون السلطة بيد الجماهير المنظمة في مجالسها، عندها بوسع المجالس، ومن ضمن مسعاها اليومي بالاجابة على مسائل المجتمع، ان تقرر، وفي ايام قلائل بل حتى و ساعات، ماذا عليها ان تعمل تجاه مسالة العدوان على دولتها. ان امامنا نموذج حي ومجرب واثبت صحته عملياً الا وهو الجيش الاحمر لروسيا العمالية المنتصرة. لقد نظم العمال المنظمين في مجالسهم والبلاشفة، بوصفها طليعة عمال وكادحي روسيا، المجابهة والتصدي المسلح لاربعة عشر بلد امبريالي ودحرت هجومهم وكسرت الطوق الذي وضع لها من قبل هذه الدول الراسمالية. ان حل الجيش يستعاض عنه بالمليشيات الجماهيرية التي هي ذات اهداف دفاعية بحتة. ان حل الجيش، كمؤسسة قمعية استبدادية تمارس العنف بحق الجماهير قبل اي شيء اخر، لايقلل قط من قدرة الدفاع عن البلد. ان الدفاع عن البلد سيكون قرار واع لجماهير تدافع عن دولتها، جماهير تعلم علم اليقين ان هزيمة دولتها يعني هزيمتها هي، وان الاطاحة بدولتها يعني الاطاحة بها وبرفاهها وبحقها في التحديد اليومي لمصير البلد. على العكس من هذا، ان امكانية دفاع العمال والكادحين عن دولتهم هو اعظم بكثير من دفاع العمال والكادحين انفسهم الذين تسوقهم البرجوازية نحو حرب من اجل مصالحها وسيادتها وهيمنتها التي يذوقوا اسوأ انواع المصائب يومياً في ظلها في اوقات السلم. ان طبيعة دولة العمال والكادحين هي تختلف تماماً عن الدولة الراسمالية التي تنتصب، اساساً، على عرق وكدح واستغلال العمال وذبحهم في حروبها المتتالية. ليست الارباح والتنافس والصراع الاقليمي والظهور كقوة عسكرية وسياسية هي بوصلة دولة العمال والجماهير في

العراق. ان حافز هذه الدولة هي رفاه الجماهير، سعادتها، تحقيق مطاليبها واقامة مجتمع يلبي الحاجات الانسانية للبشر. ولهذا، لا مصلحة لها في الحروب، لا مصلحة لها في شن الغزوات التي هي شيمة النظام الراسمالي.

كذلك ان مسالة الحروب مسالة معقدة جداً، مسالة سياسية قبل ان تكون عسكرية. وحين تطرح قضية الحرب امام مجالس العمال والجماهير، ستجد لها الجواب والحل المناسب. ان ظروف وملابسات اللحظة هي التي تقرر سبل التصدي لهذا الامر الطاريء. يصعب اعطاء جواب تفصيلي لمسالة مثل هذه. ان جواب هذه المسالة سيكون متضمناً في نفس الظروف المعطاة في حينها: قدرة المجالس وتنظيمها وتجهيزها، الظروف الاقتصادية والمعيشية التي يمر بها البلد، الدعم الاممي لعمال وتحرري العالم، مجمل الوضعية واللوحة السياسية العالمية وميزان القوى الطبقي والسياسي على الصعيد العالمي....الخ. قد يقول احد ما ان المليشيات ستهزم. ان جوابي على هذا الا يهزم الجيش ايضاً في الحروب رغم انه جيش؟! ان هذا لايصلح ان يكون مبرراً للابقاء على الجيش. ان مسالة الهزيمة واردة في كلا الحالتين. بتصوري، ان قدرة المجالس الجماهيرية المسلحة هي اكبر بكثير من قدرة الجيش النظامي.

من جهة اخرى، يتضمن هذا التصور في طياته نظرة خاطئة تماماً الا وهي ان الحروب والاقتتال لهما شيء بديهي في حياة المجتمعات، المجتمعات على العموم. انها من مرتكزات المجتمعات الطبقية. ان هذا تصوير مخادع ومضلل.

ختاماً، يجب اقامة عراق خالي من هذه المؤسسة. يجب كنس هذه المؤسسة وللابد من حياة الناس. بدون هذه المؤسسة، سيغدوا المجتمع اكثر انسانية، ستُسلب احد رؤوس حراب الهجمة على الجماهير.

سمير عادل

منصور حكمت والافق اللينيني

نص الموضوع الذي قدمه سمير عادل بمناسبة اسبوع منصور حكمت الذي اقيم في بغداد في 2017.

مرحبا بالرفاق والاصدقاء والزملاء، وشكرا على حضوركم في هذه المناسبة، اسبوع منصور حكمت. نتحدث اليوم عن منصور حكمت، بسبب دوره في حياة اليسار والشيوعيين في العراق.

ماذا لو لم تنتصر ثورة اكتوبر وتظفر الطبقة العاملة الروسية في 1917 بقيادة البلاشفة السلطة في روسيا؟ هل قدر للينين ان يكون معروفا الى هذا الحد، بحيث ترتعب البرجوازية منه في كل ازمة اقتصادية عاصفة بالنظام الرأسمالي، وكان اخرها ولن تكون اخيرها، تلك التي عصفت بالغرب في عام 2008، حينها تداولت عدد من الوسائل الاعلام الغربية تسريبات عن اجتماع لكبار الرأسماليين العالميين، بأنهم لن يخافوا من الخسائر التي تحملها الازمة الاقتصادية والكساد الاقتصادي، بل الخوف كل الخوف من ظهور لينين اخر في هذا العصر.

وهل يمكن ان نقول ايضا انه لو لا انتصار ثورة اكتوبر وبقيادة لينين، لم يتم تداول كتب ماركس على صعيد العالم، ولم يعرف انجلس بهذا القدر، بالرغم من ان اذاعة (بي بي سي) اختارت مفكر الالفية كارل ماركس، وأعظم كتاب خلال الالفية ايضا كتاب راس المال، نقول اذا، هل يعود الفضل ايضا الى ما حققته ثورة اكتوبر ولينين الذي لعب دورا تاريخيا في انتصار اول ثورة عمالية في تاريخ العالم.

لم يمض التاريخ في زمن منصور حكمت كما مضى في زمن لينين، اي لم تنتصر الثورة العمالية في ايران في 1979 والا للقت كتابات واسهامات منصور حكمت انتشار واسعا والتي لن تقل قيمة على الصعيد النظري والسياسي وتحزب الطبقة العاملة عن كتابات واسهامات لينين. فإذا كان لينين قد كتب عن "الامبريالية اعلى مراحلة الرأسمالية"، فأن منصور حكمت كتب عن "اسطورة البرجوازية الوطنية"، واذا كان لينين كتب "الدولة والثورة"، فأن منصور حكمت قد كتب "الدولة في المراحل

الثورية"، واذا كان لينين قد كتب عن "كومونة باريس" فان منصور حكمت قد كتب عن سقوط الاتحاد السوفيتي وتجربة الثورة الايرانية، واذا كان لينين فضح انصار الدفاع الثوري عن الوطن وفضح الحرب الامبريالية وافلاس الاممية الثانية والشوفينية القومية، فأن منصور حكمت كتب عن حرب الخليج الثانية ودخول العراق الى الكويت وفضح النظام العالمي الجديد، واذا كان لينين قد كتب عن بليخانوف في 1905 حول ما كان ينبغي حمل السلاح فكتب منصور حكمت عن تاريخ غير المهزومين، واذا كان لينين كتب عن "ما العمل" ويجمع الحلقات الاشتراكية الديمقراطية لياسس الحزب الاشتراكي الديمقراطي في عموم روسيا فأن منصور حكمت أسس الشيوعية العمالية وحزبها السياسي، وعشرات من الكتابات الاخرى.

واذا كانت احدى نقاط قوة لينين تكمن بالتصدي لتحريف الشيوعية والماركسية في تلك الحقبة، فأن منصور حكمت لم يقل عن لينين بدفاعه المستميت عن الاشتراكية وافكار ماركس وحقانية لينين ودوره في استلام الطبقة العاملة السلطة السياسية في زمن اعلان موت الشيوعية. لقد كان زمن لينين هو زمن النهوض الثوري للطبقة العاملة، وزمن بريق ماركس وافكاره الثورية، وزمن لمعان الاشتراكية وحقانيتها، في حين كان زمن منصور حكمت هو زمن الهجمة الشرسة على الطبقة العاملة، زمن انهيار الاتحاد السوفيتي الذي سمي زورا وكذبا بالاشتراكية لتشديد الهجمة على الافكار الشيوعية وحقانية ماركس ولينين، وتفويت الفرصة حتى بالتفكير في صفوف الطبقة العاملة باستلام السلطة السياسية. لقد كان زمن منصور حكمت هو زمن عزف البرجوازية وبجوقة عالمية من غرب العالم الى شرقه بموت الاتشراكية، كي تفتح بالوعات الترهات القومية، وتغني نشيد موت الالاف المؤلفة من النساء والاطفال والبشر في الجمهوريات السوفيتية القديمة ويوغسلافيا، بينما تزعق في اذان الاحياء من البشر بانتصار الديمقراطية وموت الاشتراكية والشيوعية، موت المساواة بكل اشكالها. الم يفبركوا قصة سقوط الاتحاد السوفيتي، بأنها سقوط الاشتراكية وموت الشيوعية ليتوجوها بنهاية التاريخ وصراع الحضارات، وكان يعني خلود الرأسمالية وازليتها بالرغم من كل مآسيها وحروبها وجرائمها وافقارها للبشر وعنصريتها السافرة ضد المرأة والسود والملونين والمهاجرين، وأيدولوجيتها الليبرالية والديمقراطية!

لقد كان هذا زمن منصور حكمت، الذي نهض كمارد من تحت كل ذلك الركام؛ ليدافع عن الماركسية والشيوعية والطبقة العاملة، ليدافع عن المساواة وامكانية تحقيقها، انه اعاد الماركسية الى جذرها الاجتماعي، الى سكتها الحقيقية، بعد ان تحولت؛ الى راية للمثقف البرجوازي الصغير الساخط على وضعه الاجتماعي والسياسي، الى ايديلوجية للحركات الوطنية، الى نزعة معادية للإمبريالية، الى ديماغوجية لتبرير رأسمالية الدولة والدفاع عن الصناعة الوطنية. اي بلغة اخرى اعاد حكمت الماركسية الى طبقتها، الى الطبقة العاملة. لقد اسس صرحا فكريا وسياسيا للشيوعيين في عالمنا المعاصر.

ان الشيوعية العمالية هي التعبير عن كل الصرح النظري والسياسي لماركس وانجلز ولينين. كان منصور حكمت لينينيا بامتياز. لقد كان يميّز بين اللينينية والبلاشفة، فاللينينية بالنسبة لمنصور حكمت هي الممارسة العملية الثورية، المرشد اليومي للطبقة العاملة خلال المسارات التاريخية ومنعطفاتها للوصول الى الاشتراكية. ولذلك تحدث عن "الحزب والسلطة السياسية"، وكان بمثابة زلزال هز ذهنية او حطم التابو الذي كان يخيم على ادمغة اليسار في ايران والعراق. فالبرجوازية ومنذ هزيمة الطبقة العاملة في روسيا على يد التيار القومي الروسي بقيادة ستالين، صورت للطبقة العاملة

وفصيلها الشيوعي بأن عليها الا تتقرب من السلطة السياسية والا دخلوا النار، وان أفضل حظوظها هي البقاء في ذيل صفوف المعارضة. اما في موضوعة "الحزب والسلطة السياسية"، فقد سدد منصور حكمت ضربة قاضية نحو هذه النمطية السلبية التي فرضتها البرجوازية على الطبقة العاملة. ان الموضوعة المذكورة هي تعبير بشكل اخر عن موضوعات 8 نيسان التي كتبها لينين بعد ثورة شباط وعشية ثورة اكتوبر ليكون المرشد العملي للبلاشفة والطبقة العاملة الروسية للظفر بالسلطة السياسية. ان لينينية منصور حكمت تكمن ايضا بدوره في الدفاع عن تحزب الطبقة العاملة وضرورته كأداة فاصلة في الصراع ضد البرجوازية. ان منصور حكمت مثل لينين كان يؤمن باستحالة الطبقة العاملة بالانتصار على البرجوازية دون تحطيم دولتها وتأسيس سيادتها الطبقية، ومن جهة اخرى لا يمكن تحقيق هذه الامكانية دون حزب منضبط، ويفصل افاق الطبقة العاملة عن افاق التيارات البرجوازية، على ان يتميّز بالرد النظري والسياسي والممارسة العملية اليومية، خلال المسارات السياسية والنضال الطبقي للعمال.

ان مقولة الشيوعية العمالية التي استخدمها منصور حكمت للتجسيد عن حزبه ونهجه الفكري والسياسي هي ترجمة جديدة للايدلوجية الالمانية والبيان الشيوعي ولرأس المال؛ بلغة معاصرة في العالم الرأسمالي الذي شهد تطور هائل في الانتاجية وزحفه الى كل بقاع العالم. ان الشيوعية العمالية هي امتداد لتيار ماركس، ذلك التيار الشيوعي الذي تحدث عنه في البيان الشيوعي. وليس الجزء الاول من برنامج عالم أفضل الذي كتبه منصور حكمت الا صيغة اخرى بنفس المحتوى الطبقي والنضالي للبيان الشيوعي. ولذا من يقول ان الشيوعية العمالية فشلت انما يعني ان شيوعية ماركس هي التي فشلت. بيد ان ذلك الطيف من اليسار الذي يردد اكثر من البرجوازية نفسها وخاصة في ايران والعراق وفي المنفى بأن الشيوعية العمالية قد فشلت، يدرك انه يناقض نفسه، ويدرك انه يقف بالتضاد مع كل اطروحات ماركس النظرية والسياسية، الا انه لا يجرئ على ذلك ولا يصرح به، ولا يحل ذلك التناقض، لأنه بحاجة دائما الى ربطة العنق والبذلة الماركسية للتعبير عن سخطه الاجتماعي والسياسي واشباع غروره الفكري ونزعته الذاتية والفردية التي تعكس ابدا مكانته الاجتماعية المتذبذبة وهي مكانة البرجوازية الصغيرة. انه يمثل اماني وطموحات واحلام صاحب الدكان الصغير الذي لا يرى منافسه الا جيرانه من اصحاب الدكاكين المجاورة، في حين يجلس راكعا وخاشعا امام الرأسمالي الكبير الذي يزود السوق بالسلع بما فيه دكانه الصغير. ان حل هذا التناقض من وجهة نظر هؤلاء يجد طريقه عبر الصراخ والزعيق عن فشل الشيوعية العمالية التي لم تجرب حظها منذ هزيمة الطبقة العاملة واللينينية في روسيا، منذ ان صورت وسوقت البرجوازية بشكل مذهل بأن رأسمالية الدولة في الاتحاد السوفيتي هي الاشتراكية.

فكما تخلت الاحزاب الشيوعية عن اللينينية، فانها ايضا تخلت عن الممارسة الثورية للطبقة العاملة، عن استراتيجية النضال الطبقي، عن الافق الاشتراكي، لأنها كما يقول منصور حكمت وفي تعليقه على هدم تمثال لينين في موسكو بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، انه اي تمثال لينين هو رمز الجسارة الطبقية، فهدمه يعني كسر شوكة تلك الجسارة امام الطبقة العاملة العالمية. أن الحكمتية هي الشكل الاخر للينينية، لذلك فان حال ذلك النوع من اليسار الذي خرج من رحم الشيوعية العمالية، مثل الاحزاب الشيوعية المذكورة، لم تستطع ان تنسجم وتتناغم مع الشيوعية العمالية بإيقاع حكمتي ان صح التعبير، وهي الممارسة الثورية للطبقة العاملة وتقدمها لانتزاع السلطة من البرجوازية. فقسم من ذلك الطيف ترك الشيوعية الحزبية وراح يقضي اوقات فراغه بالعمل مع المنظمات الانسانية او حقوق الانسان، فكما يقول ماركس عندما تهزم الطبقة العاملة، فأن قادتها ونشطائها وفعاليها تناي

بنفسها بعيدا عن النضال الطبقي، وتنشغل بمنظمات حقوق الانسان وغيرها، وقسما اخر يزعق ليل نهار عن فشل الشيوعية العمالية مثل صاحب ذلك الدكان الذي لا يرى الا جيرانه.

ان الحكمتية كما كانت اللينينية تفتح الطريق امام المسارات السياسية التي يفرضها النضال الطبقي لتحقيق استراتيجية الثورة الاشتراكية، وترد على الاوهام والترياق التي بين الحين والاخر تنثرها البرجوازية في صفوف الطبقة العاملة وعموم المجتمع لتدوير سلطتها واعادة انتاج حكمها؛ وهكذا في الوقت الذي توهم طيف عظيم من اليسار الايراني وعموم جماهير ايران، بترشيح الاصلاحيين لخاتمي، وحلموا بأمطار سماء الجمهورية الاسلامية بالمن والسلوى، فضح منصور حكمت ما سمي "بدوي خرداد" ووقف بالحزم ضده بالرغم من كل صيحات البرجوازية ودق طبول الغرب الاعلامية لغورباتشوف جديد من رحم الجمهورية الاسلامية، وتوج ذلك في مؤتمر برلين الذي قلبه على منظميه في الجمهورية الاسلامية لتسويق خاتمي وغيره من الاصلاحيين من اجل تجميل صورة الجمهورية الاسلامية في الغرب.

لقد عرفت الشيوعية العمالية في العراق التي اسسها منصور حكمت عبر الاعلام الحمر التي رفعت في كردستان العراق في انتفاضة اذار 1991. لقد بزغ فجر شيوعية حكمت عبر المجالس العمالية والشعبية التي شكلت في مدن السليمانية واربيل وكركوك. في ذلك الوقت الذي كان القوميون يرفعون صور الجزار جورج بوش الاب وجون ميجر في جبال كردستان، وفي نفس الوقت كان يهتفون في الشرق والغرب بموت الشيوعية، كان الشيوعيون العماليون يرفعون شعارات بأن القومية عار على البشرية، والمساواة المطلقة بين المرأة والرجل وادارة المدن يجب ان تكون بيد سلطة المجالس. لقد تشكلت العشرات من المجالس العمالية والشعبية في مصانع ومعامل ومناطق سكن ومعيشة الجماهير في كردستان العراق على ايدي قادة وكوادر وفعالي الشيوعية العمالية المنظوين في منظمات تبنت الشيوعية العمالية. من هنا عرف منصور حكمت ورفع رايته في كردستان العراق وبعد ذلك في العراق، وهي راية ماركس من جديد. في ذلك الوقت لو قدر للشيوعيين العماليين في العراق وخاصة في كردستان بامتلاك حزبهم السياسي، لكانت فرصة انتصار الشيوعية اكبر، ولكانت مكانة الشيوعية العمالية في العراق والمنطقة في غير مكانتها اليوم.

واخيرا لم يقدر لمنصور حكمت ان يواكب حركة الشيوعية العمالية، وكان يعي بنقصها ومشاكلها، وكان يدرك ان الحزب الذي اسسه ما زال بعيدا عن خطى ماركس والممارسة الثورية للينين، وعبر عنه في الاجتماع الموسع 14 للجنة المركزية والاخير بالنسبة له.

لقد عاصرنا منصور حكمت، واحد من ابرز معلمي البروليتاريا، في عصر شهد الحرب الباردة وانتهائها، وعصر انهيار الكتلة الشرقية وجدار برلين، وتحطيم تمثال لينين، وعصر اكثر الحروب دموية وشراسة؛ حروب الابادة القومية والعرقية والدينية كما حدث في دول البلقان والجمهوريات السوفيتية السابقة وراوندا والخليج الثانية والصومال، عصر ارهاب الدولة وارهاب المنظمات كما وصفها منصور حكمت بعد احداث الحادي عشر من ايلول، لقد كنا محظوظين عندما واكبنا منصور حكمت في تلك المرحلة العسيرة من حياة البشرية وسلح فصيل من البشر بالافق الاشتراكي. واليوم نحن نعيش عصرا اخر، وما زالت الشيوعية العمالية لم تتحرر من كل ثقل التقاليد اليسار اللاجتماعي؛ الشعبوية والاغراق في عمل الحملات "الكمبينات"، والانشغال بالفعاليات الجانبية بدل من التركيز على النضال الطبقي. ان الشيوعية العمالية بحاجة الى الحكمتية، مثلما احتاجت البلاشفة

الى اللينينية. اي بعبارة اخرى ان الشيوعية العمالية بحاجه الى براتيك منصور حكمت او ممارسته الثورية، بحاجة الى تكملة ما بدئه منصور حكمت، وهي تطابق الماركسية وحزبها الشيوعي مع الطبقة العاملة، مع فصيل القادة والنشطاء الاشتراكيين. لقد ترك لنا منصور حكمت ارثا فكريا وسياسيا كبيرا، وعلينا نحن الشيوعيين ان نستلهم ونتعلم منه، وكما قال ان الاشتراكية ليست حتمية، وتعلمناها من لينين ايضا، اي يأتي دور الممارسة الثورية.

نادية محمود

حول اهمية النضال ضد البطالة في العمل الشيوعي ضد الرأسمالية

(حديث في ندوة داخلية لاعضاء منظمة بغداد- الحزب الشيوعي العمالي العراقي - يوم 12 نيسان 2020).

مع بدء وباء كورونا ارتفعت الاصوات في كل العالم منددة بالنظام الرأسمالي، محمّلة هذا النظام المسؤولية عن وجود وانتشار هذا الوباء. و احدى مضاعفات والنتائج المباشرة لهذا الوباء ولازمة الرأسمالية الراهنة هو ازدياد عدد العاطلين عن العمل واتساع البطالة. بشكل عام، تقترن البطالة بالنظام الرأسمالي، ولا يمكن ان يوجد هذا النظام بدون وجود جيش من البطالة. ومع كل ازمة اقتصادية في هذا النظام، والتي تحدث بتواتر وبشكل مستمر كل عقد اي من 8-10 سنوات، فان أحالة اعداد جديدة الى جيش البطالة هو امر حتمي. تستخدم الرأسمالية وجود جيش العاطلين عن العمل كسيف مسلط تهدد به العمال في مواقع العمل ضد اية مطالب برفع الاجور، تقليل ساعات العمل، شروط افضل للعمل، وحقوق وضمانات اجتماعية في العمل. في مسعى الرأسمالية لزيادة ارباحها، تلجأ لتكثيف العمل، احلال النساء محل الرجال، احلال الاجانب محل العمال المحليين، من اجل ضمان جني ارباح اكثر.

من هنا، فان اي عمل ثوري يستهدف القضاء على النظام الرأسمالي لا يمكنه تحقيق هدفه، بدون الدخول في حرب طبقية وصراع طبقي للاطاحة بهذه الطبقة ، واحدى ميادين هذا الصراع هو الدخول في معركة الحصول على ضمان او بدل البطالة. قد يقتضي الامر القيام بانتفاضة وربما حتى ثورة من اجل اقتلاع " اصلاح" مثل الحصول على بدل بطالة. لذا، فان النضال من اجل ضمان البطالة يكتسي اهمية كبرى بالنسبة للشيوعيين. ان وجود البطالة جزء لا يتجزء من وجود الرأسمالية

ذاتها، وما يجب ان نناضل من اجله كشيوعيين هو ضمان حياة اولئك العاطلين/ات منهم عن العمل، ممن لم يجدوا فرص عمل.

لذا، فان النضال ضد الرأسمالية هو نضال يومي، مستمر، واحد ميادينه هو النضال ضد الفقر، والنضال من اجل تأمين معيشة اولئك الذين لم يوفر لهم النظام فرص عمل، يحتل اولوية حيث ان البطالة ستزداد بدرجات كبيرة. الان، وعلى ضوء المعطيات التي قدمتها لنا ازمة كورونا، نرى، اولا على صعيد عالمي، انه وبعد ان خمّنت منظمة العمل الدولية بان هنالك 25 مليون شخصا سيحالون الى البطالة في العالم نتيجة لوباء كورونا، عادت المنظمة وعدّلت من ارقامها لتؤكد بان الازمة ستؤدي إلى إلغاء 195 مليون وظيفة في النصف الثاني من العام 2020، و 12 مليون في أوروبا، و5 ملايين في المنطقة العربية . وهنالك تقارير تؤكد ان عدد المتضررين في العالم من هذا الوباء سيبلغ 1 مليار و250 مليون في العالم. وسجلت امريكا خلال اسبوع واحد احالة 6 ملايين و 600 الف الى البطالة، ليصل الرقم الى 16 مليون لحد هذه اللحظة. اي فقد العمال فرص عمل خلال 3 اشهر، بقدر ما فقدوه خلال سنتين من الازمة السابقة عام 2008 . ادت الازمة الى زيادة البطالة بمقدار 10%، لحد اللحظة (اواسط نيسان 2020) وصلت ازمة البطالة الى 15% فقط في الولايات المتحدة. وهكذا في دول العالم الاخرى.

اما في العراق، فقد كان المجتمع اساسا في قلب انتفاضة عارمة ضد الفقر والفساد والبطالة حين اكتسحت العالم جائحة كورونا. اي كانت الجماهير في العراق اساسا "مبللة" ولم تكن بحاجة الى المزيد من " المطر"! في مطالباتها بفرص عمل. ولما يزل، كما تهدد كورونا باحالة المزيد على البطالة في العالم، فان العراق ليس مصانا او بمنأى عن احالة اعداد اخرى واخرى على البطالة ايضا، لذا فان المطالبة بتأمين العيش، بوجود بدل بطالة اصبح امرا لا بد منه.

ان النضال من اجل بدل البطالة ليس وليد اليوم، وهو ليس من اختراعنا، وان كنا، حد اقوى الاصوات التي تطالب بهذا المطلب في العراق اليوم. تاريخيا، كان الشيوعيون هم المطالب الاقوى والاول بوجود ضمان بطالة. وتمكن العاطلون عن العمل وحركاتهم ومنظماتهم من الحصول عليه بعد نضال طويل وعلى امتداد قرون في العديد من الدول الرأسمالية الصناعية المتقدمة.

النضال من اجل تعويض البطالة ليس مرتبطا بنضال العاطلين عن العمل فقط، بل كان جزءا لا يتجزء من نضال الطبقة العاملة ككل منذ نشوء الرأسمالية. فمع كل ازمة يجري تسريح العمال، وفي كل الثورات التي حدثت في العالم كان للعاطلين دورا رئيسيا ومميزا في تلك الثورات. من ثورة فرنسا عام 1848والتي اعقبت ازمة اقتصادية للرأسمالية الى كومونة باريس عام 1871 والتي لم تدم سوى 100 يوم، الا انها اقرت لاول مرة بدل او ضمان البطالة للعاطلين عن العمل. وفي الثورة الروسية عام 1905-1906 حين تأسست مجالس العاطلين، والتي ايّدها لينين وطالب بدعمها. كذلك كان نضال الطبقة العاملة في اوربا والولايات المتحدة منذ اوائل القرن المنصرم.

اضافة الى نضال العاطلين في الدول الصناعية المتقدمة، فان نضالات حركات العاطلين عن العمل في امريكا اللاتينية، مثل الارجنتين على امتداد تسعينات القرن الماضي واوائل هذا القرن، ودورهم في ايران وخاصة في ايام ثورة 1978-1979 كان لهم دور مميز في نيل مطالبهم، وفي المغرب وتونس، وهذا مرتبط الى حد كبير بوجود الحركات الاشتراكية واليسارية في تلك البلدان. في

كردستان العراق برزت حركة العاطلين عن العمل في اوائل التسعينات ايضا مطالبة بفرص عمل او ضمان بطالة. وفي العراق بعد 2003 تشكل اتحاد العاطلين عن العمل والذي كان يضمن في عضويته ما لايقل عن مئتي الف عضو، الا ان عقده انفرط بعد سنوات من العمل. الا ان نضال العاطلين عن العمل وتنظيماتهم وحركاتهم لم تلق الاهتمام الكافي، ولم يجري التركيز عليها على الرغم من دورها واهيمتها في النضالات الطبقية على امتداد الانتفاضات والثورات، مقارنة مثلا بالاتحاد والنقابات العمالية ودورها. ان اغفال دور هذا القسم من نضال الطبقة العاملة، يفقدنا قوة اقتصادية وسياسية كبيرة في صراعنا مع الرأسمالية. لذلك يتوجب معرفة اهمية ودور هذا القسم من الطبقة العاملة.

تاريخيا كان نضال العاطلين ينصب بالدرجة الاولى والاساس لضمان تعويضات مالية عن بطالتهم. كانت الاتحادات العمالية تدفع للعمال المحالين الى البطالة نفقات لفترات زمنية معينة، ثم فرضت نضالات العمال على الدولة، ان تتكلف مسؤولية وجود ضمان لهم حتى حصولهم على فرص عمل. الا انه الى جانب هذا النضال، قامت بعض المنظمات بارغام الحكومة على اتخاذ اجراءات اقتصادية من اجل التعجيل بالاصلاح الاقتصادي لغرض خلق فرص عمل. مثل تشغيل مصانع معينة وارغام الحكومة على تشغيلها. وفي اماكن اخرى مثل ايران في ثورة 1978-1979، قام على سبيل المثال بعض العاطلين انفسهم بفتح المعامل ولذات الهدف. كانت المطالب هي اعادة سيطرة الحكومة على الصناعة وفتح المعامل المغلقة من اجل تشغيل العاطلين. ايضا بادرت مجموعة تطلق على نفسها "مواطنون ضد البطالة" في مصر بتجربة ايجاد فرص عمل فعليا للعاطلين عن العمل بانفسهم. فهذه الحركة اخذت على عاتقها ايجاد هذه الفرص، وقامت بتوفير 100 فرصة عمل للشباب الباحثين عن العمل. في الارجنتين، قامت حركة العاطلون عن العمل بالمطالبة ب" النقد مقابل العمل" وذلك لتغطية المستلزمات الاساسية مقابل العمل. حيث تقوم هذه الفكرة على ان تقدم منظمات العاطلين المشاريع التي تحتاجها المدينة الى البلديات من اجل تشغيلهم. اي يعمل الاتحاد مع الدولة والحكومات المحلية على المشاريع التي تقرر عليها بلدية المنطقة مثل تعبيد الطرق، بناء مدارس او مستشفيات او غيرها. هنالك تجربة شبيهة تقدمت بها منظمة الاغذية والزراعة في الموصل من اجل ايجاد قوة عمل لتنظيف سد الموصل على سبيل المثال، حخيث قامت الاخيرة بتشغيل العاطلين و لبضعة ساعات يوميا مقابل توفير النقد لتغطية بعض المستلزمات الاساسية. اضافة الى هذا الحصول على القروض الحكومية للقيام بمشاريع عمل من اجل خلق فرص عمل. نظام القروض بفوائد ايضا موجود في العراق لتشغيل العاطلين ممن لديهم مشاريع شغل من اجل خلق فرص عملي للبعض الاخر. ولكن ما هو اهم من كل هذه المطالب، يبقى مطلب بدل البطالة: اي تقديم نقد يكفي سد الحاجات الاساسية للانسان، من مشاركة في السكن، الطعام، والخ، يحتل المرتبة الاولى والاساسية في مطالب العاطلين عن العمل.

حركة العاطلين عن العمل في العراق:

بدأت اعداد العاطلين عن العمل في ازدياد منذ تبني العراق لسياسات الخصخصة منذ عام 1986 حيث تحولت العديد من مؤسسات القطاع العام الى القطاع الخاص. بعد 2003 وتبني العراق رسميا للسياسات النيوليبرالية، ازدادت اعداد العاطلين، وهكذا مع ازدياد عدد سكان العراق وزيادة عدد الخريجين كل عام، اضاف الى اوضاع ما بعد كورونا، سينتقل قسم اخر من الرجال والنساء الى جيش العاطلين/ات عن العمل.

لذا، ونظرا لوجود هذه الاعداد المليونية، لا يمكن ان يترك مصيرها لنفسها، بل يجب ان يتم تحديد من هو المسؤول عن معيشة هذه الملايين. واي دور يمكن ان يلعبه العاطلون/ات عن العمل للدفاع عن امر معيشتهم. لذا لابدأ حديثي بطرح السؤال الاولي التالي: هل يمتلك العاطلون عن العمل اية قوة ضغط حقيقية، قوة اقتصادية وسياسية تمكنهم من ان يدفعوا بمطلبهم "بدل بطالة" الى الامام ؟ اذا كان هذا القسم من الطبقة العاملة، غير قادر على ايقاف الانتاج، ولا تهديد مصالح وارباح الرأسمال، فهل يمكن ان يكون قوة حقيقية مؤثرة تفرض بنفسها قوتها على السلطات في العراق لتاخذ مطالبها بجدية، وتستجيب لها؟

لقد قلنا قبل قليل ان مطلب كهذا، يحتاج الى " ثورة" من اجل انتزاع هكذا اصلاح و المحافظة عليه، حيث ستسعى الحكومات بكل طريقة الى استرداده، وايضا الى تقليص المنتفعين منه.. وهكذا. فهل يملك العاطلون عن العمل هكذا قوة، خاصة واننا نعرف ان احتجاجات العاطلين عن العمل كانت احد الشرارات الرئيسية التي ادت الى اندلاع الانتفاضة واستمرارها لمدة تقارب لستة اشهر. وتمكنت - على الاقل- جزئيا ايقاف الحياة الاقتصادية، تعطيل المدارس، ومع هذا، لم يتحقق الشيء الكثير، وهم في اجواء انتفاضة، فهل هنالك شيء يمكن ان يحققوه الان؟ اية نشاطات اخرى يمكن ان نتحدث عنها اذن ؟ مالذي يمكن ان يفعلوه اكثر من اجل ان تتحقق مطالبهم؟

لننظر الى الاستراتيجيات التي اتبعها العاطلون عن العمل في العراق لحد اللحظة، وخاصة في احتجاجات احتجاجات 2018 و من ثم للتمهيد والمضي الى انتفاضة عامي 2019-2020. لقد بدأ العاطلون باعتصامات بسيطة امام مثل مجالس المحافظات، او في الساحات العامة من النصف الثاني من شهر حزيران عام 2018 وخاصة وتحديدا في البصرة، متظاهرين ومطالبين بفرص عمل، لقد خرجوا بتظاهرات قليلة الاعداد، لتتوسع لاحقا، ولتتحول الى انتفاضة واسعة في المدينة. لم يكن العاطلون يعملون في المصانع لايقاف عجلات الانتاج، ولكنهم قاموا بمحاصرة و تطويق حقول النفط في مناطق مختلفة في شمال البصرة وجنوبها، أغلقوا الحدود مع ايران، وتمكنوا بدرجة اقل اغلاق الميناء في البصرة وان كان لمدة قليلة ومحدودة. ومن ثم تم الاستيلاء على الاقل لمدة ساعات على اسلحة تابعة للدولة، و فّر من المدينة اعضاء مجلس المحافظة والمحافظ. جرى، ردا على ذلك، تقديم الوعود بتشغيل العاطلين. وقدمت اوراق 129 الف عاطل عن العمل. فقط 370 عاطل حصل على فرصة عمل، و تدور الشبهات في الاعم الاغلب ان اولئك الذين حصلوا على وظائف كانت بسبب العلاقات الشخصية والزبائنية والمحسوبيات.

واستمرت مرة اخرى، احتجاجات العاطلين عن العمل، من الخريجين ومن حملة الشهادات العليا في بغداد ومن بقية المحافظات الذين انضموا في اعتصامات وفي خيام امام وزارة النفط وامام رئاسة الوزراء وعلى امتداد 104 ايام، حين فتحت المياه الحارة على اعتصام لحملة الشهادات العليا، والتي سقط على اثرها احدى حاملات شهادة الدكتوراه في يوم 25 ايلول، خمسة ايام قبل بدء انتفاضة اكتوبر.

مرة اخرى، شارك العاطلون عن العمل، مشاركة فعالة في الانتفاضة، تغيرت الشعارات المرفوعة من " فرص عمل" كانت رفعت في البصرة عام 2018 والنصف الثاني من 2019 في بغداد الى " نريد وطن". ان سعة الحركة الاحتجاجية، في انتفاضة اكتوبر دفعت مطلب فرصة عمل او ضمان

بطالة ليحتل مرتبة ثانوية قياسا بالمطالب التي رفعتها الجماهير، وهي انهاء النظام السياسي والعملية السياسية برمتها. لذلك فان ما قام به العاطلون هو اندماجهم باهداف وحركة الاحتجاجات التي شملت حركة اوساط واسعة من الطلبة، النساء، العمالة الهشة، ومن فئات اجتماعية مختلفة.

الاستراتيجية التي اتبعها العاطلون عن العمل هذه المرة هي التموقع في الساحات الرئيسية في بغداد والمحافظات. وحماية هذه الساحات من اقتراب القوات الامنية او الميلشيات منها لتفريقها. وادامة الاعتصام في الساحات كوسيلة ضغط على الحكومة في العراق للاستجابة لمطالبهم الا وهو " تغيير النظام". اي ان العاطلين قاموا باعتصامات، وتظاهرات، عشوائية وعفوية الى حد 2019، ولكن بعدها وصلت الامور الى حد تفجير انتفاضة. لقد اظهر العاطلون والمعتصمون والمتظاهرون رغم الرعب والخوف والقتل والموت، اعلى صور للشجاعة.

الان، ومع الحظر الصحي، وتوقف التظاهرات بشكل مؤقت، تجري الاستعدادات والتعبئة الاعلامية مرة اخرى للعودة لساحات الاحتجاجات بعد الحظر. لذا، من المتوقع ان تعود تلك المطالبات، وتعود الحركات الاحتجاجية مرة اخرى.الا انه في خضم هذه التحضيرات، مالذي يجب على العاطلين عن العمل ان يأخذوه وبشكل جدي؟
من الواضح انه خارج اطار الاعتصامات في الساحات العامة، والتجمهر امام المؤسسات الحكومية، والتي لم تتوقف حتى اثناء الانتفاضة، ليس هنالك تنظيم اجتماعي على الارض، في الاحياء والمحلات، وليست هنالك شبكات تنظيمية تجمع العاطلين، تنظمهم في اطار واحد، توفر لهم قيادة ميدانية مختارة وموحدة، ترسم لهم استراتيجية واضحة، يمكن ان تقوم بعمل قيادي يجمع كل العاطلين في بوتقة واحدة. ما هو متفق وهنالك عمليا اجماع عليه، هو الحضور في الاعتصامات وفي الساحات العامة، والبقاء هناك لاطول فترة ممكنة.

لقد بدأت في خضم الانتفاضة خطوات اولية لتأسيس اتحاد العاطلين عن العمل، في بغداد، وبشكل اقل في الناصرية والبصرة. من اجل ان يكون لدور حركة العاطلين عن العمل واضح ومؤثر في الدفاع عن العاطلين عن العمل ومن اجل الحصول على بدل البطالة من المفيد النظر في المسالتين التاليتين، لكل تنظيم يستهدف العمل على توحيد وجمع قوى العاطلين عن العمل.

استراتجيات العمل ونشاطات الاتحاد:

1. يجب ان يكون للاتحاد دورا واضحا ومعلوما حول مسالة بدل البطالة من حيث تحديد من هم مستحقيها، المبلغ المستحق، من هم المشمولين. وبناء عليه، يدخل اتحاد العاطلين في تحرك تجاه السلطة و القوانين و السياسات التي تطرحها من قبيل، تسريح عمال وموظفي الدولة، او تحديد " منحة العاطلين" او غيرها من الامور والشؤون اليومية للعاطلين.
2. التعبئة الاعلامية: جعل قضية العاطلين عن العمل قضية الدولة والمجتمع، لما تسببه العطالة عن العمل وانعدام وجود دخل للفرد من اثار حياتية واقتصادية على الافراد، رجال كانوا او نساء من حيث تاثيرها على صحتهم، وصحتهم النفسية والعقلية، على اسرهم، على الاطفال، والنساء، وحدوث الجرائم، وفقدان الامان، وزيادة الجريمة، والتجنيد في الميلشيات، والركون الى المخدرات، وانتشار الطلاق لاسباب اقتصادية، بيع الجسد ، وبيع اعضاء جسم الانسان والانتحار وغيرها.

3. الضغط القانوني: باستخدام المواد الدستورية والمواد القانونية التي يمكن ان تكون بايدي العاطلين للمطالبة بحقوقهم. مثلا الفقرات الدستورية التي تنص على مسؤولية توفير الضمان الاجتماعي للعاطلين عن العمل(المادة 30 الفقرة الثانية). من جهة اخرى، بامكان اتحاد العاطلين ان يحصل على تشريع قانوني استفادة من قانون منظمة العمل الدولية 102 الصادر عام 1952 والذي يحدد المعايير الدنيا للضمان الاجتماعي، والتي تعني توفير ضمان بطالة.
4. يمكن لاتحاد العاطلين ان يلعب دورا في التعبئة والدعاية لضمان حصة تموينية كافية للاسر وحسب اعداد افراد العائلة. بل ويمكن ان يلعب دورا وسيطا لتوزيع الحصص التموينية والاشراف والمراقبة.
5. ان يكتسب شرعية للتفاوض من قبل الاعضاء العاطلين المسجلين في المنظمة او الاتحاد، بالتفاوض مع الحكومة والجهات ذات العلاقة. اشراف منظمات العاطلين على توزيع بدل البطالة، وعلى توزيع مواد الحصة التموينية. اي يبرزدور العاطلين كقوة اجتماعية تمثل العاطلين و تقوم بالتفاوض مع الدولة.
6. كذلك يلعب دورا في النضال من اجل حق السكن للعاطلين عن العمل امام الدولة او يدافع عن سكان العشوائيات.
7. ان يلعب دورا مع مكاتب تسجيل العاطلين عن العمل، لتحديد من لهم الاولوية في حالة وجود فرص عمل، وقطع الطريق على اية محسوبيات او علاقات زبائنية بتوزيع فرص العمل المتوافرة.

التعبئة الاجتماعية الواسعة وتتضمن:

- اولا وقبل كل شيء تعبئة العاطلات والعاطلين عن العمل وخاصة في المحلات والاحياء السكنية. ان اهمية التنظيم في الاحياء سناتي عليها لاحقا.
- تعبئة الطلبة: ضرورة العمل مع الطلاب،المنظمات الطلابية، وجماعات الخريجين والخريجات واحتجاجاتهم المستمرة. هؤلاء هم القوة القابلة للعمل ويجب ان يكونوا جزء لا يتجزء من حركة العاطلين عن العمل. ان المنظمات الطلابية، وتنظيمات الخريجين توفر خبرة تنظيمية ، تكون ضرورية ونافعة لمنظمة حركة العاطلين. من جهة اخرى يمكن لاتحاد العاطلين ان يلعب دورا كبيرا في ان يكون جسرا بين الطلبة والعمال. خاصة مع تشكل روابط طلابية عديدة، والتي من الضروري الوصول اليها والعمل معها تحت مظلة واحدة هي مظلة اتحاد العاطلين عن العمل.
- تعبئة وتضمين تحالف العمال مع العاطلين: من الضروري جدا الاتصال بالاتحادات العمالية المهتمة حقا وفعلا بقضايا العمال والعاطلين. هذه الصلة ضرورية واساسية لخلق صف طبقي واحد يجمع الطبقة العاملة بصنفيها العامل والعاطل عن العمل. ان العمل المتشرك مع الاتحادات العمالية سيقضي على اية فرصة لاستغلال وفرض الضغط على العمال بسبب وجود واسع وعريض للبطالة. لذلك يمكن لاتحاد العاطلين ان يلعب دورا في خلق هذه الصلة.
- ضرورة تعبئة اولياء امور الخريجات والخريجين في التظاهرات، ممن يسعون بشكل جدي الى ايجاد فرص عمل لابنائهم وبناتهم من الخريجين. لقد تظاهر العديد من الاباء والامهات دفاعا عن حق ابنائهم في التعيين، اي في ايجاد فرص عمل.

- الحصول على دعم احزاب اليسار.تاريخيا الاحزاب اليسارية هي التي دعمت تشكيل وعمل هذه المنظمات، وهذا الذي يفسر وجودها في دول مثل تونس والمغرب والجزائر وعدم وجودها في مصر والاردن نظرا لوجود الاحزاب اليسارية في الاولى والاسلامية في الثانية.

لماذا يجب ان يبدأ العمل على البطالة من المحلات اولا ؟

حيث ان العاطلين لا تربطهم صلة تنظيمية واحدة في مكان واحد كعمال في موقع عمل واحد، او طلبة في جامعة واحدة، فيبقى ما يجمعهم ويوحدهم يبدأ هو مكان ومحل السكن. تتجلى في هذا الامر فوائد عديدة: اولا: لوجود شبكة العلاقات الاجتماعية المكوّنة من الاقارب ومن الجيران والتي تأسست عبر سنين من التعايش المشترك والثقة المتكونة بين الافراد. لذلك ستتشكل شبكات العاطلين في المحلة وعلى اساس اجتماعي. حيث انها الشرط الاول لارساء ووضع نشاطات اعتراضية واسعة، ومن اجل ايجاد تمثيل حقيقي وواقعي نابع من الاسفل. ثانيا: تتحرك هذه الصلات والشبكة التنظيمية افقيا وعموديا. افقيا بالارتباط بالعاطلين في المناطق الاخرى، وعموديا بانتخاب ممثليهم الى هيئات اعلى. ثالثا: سيوفر مكان السكن سهولة احصاء ومعرفة العاطلين عن العمل الفعليين. ان تسجيل العاطلين واحصائهم هو النشاط الاول والاساسي لاتحاد العاطلين لمعرفة الحجم الحقيقي للعاطلين/ات عن العمل. رابعا: ان وجود صلات مع شبكات العاطلين سيتيح لقيادة هذا التنظيم، اتخاذ القرارات فيما يخص كل النشاطات والتحركات التي يسعى الاتحاد الى القيام بها، وتعبئة شبكات العاطلين للتحرك بشكل جماعي ومنظم وليس عشوائي وقائم على الصدفة. خامسا: ان وجود هذه العلاقات الاجتماعية القائمة على المعرفة والثقة، سيمنع تسلل المنتفعين لتسجيل انفسهم على العاطلين، وسيمنع شراء ذمم العاطلين. في حالة اذا كانت هنالك اية فرص عمل او منح ومساعدات لعدد محدود من العاطلين. اي سيكون بالامكان كشف هذا الامر وفضح مسالة الاتجار بالقضية، اوعدم السماح بحدوثها في المقام الاول.

يمكن لاتحاد العاطلين القيام بعدد لا حصر له من النشاطات والاعمال، الا ان ما يتوجب التأكد منه اولا، هو وجود " اصحاب هذا المشروع" ممن يعملون بكل جد على تاسيسه. من المعلوم ان هنالك بشكل عام نزعة شائعة ضد التنظيم. اي العمل الذي يحتاج الى طول نفس، والى صبر، ومثابرة، وجلادة وتحمل. ان تجربة عمل ونضال العاطلين عن العمل في العراق توضح انهم يتحركون بتحركات سريعة وفي مرات يواجهون العنف التي تصل لحد القتل والاغتيال والاختطاف والموت، الا ان ما هو ضروري، وما قد بدأه العاطلون عن العمل الان، وهو التخطيط لتاسيس اطر تنظيمية لقيادة وتوجيه نضالهم امر ضروري وفي غاية الاهمية. ان النزعة ضد التنظيم لها اسبابها في اوساط الشباب، ولكن مواجهة هذه النزعة هي من صلب عملنا. اخيرا، من المؤكد ان نجاح عمل اتحاد العاطلين سيكسبه ويقوّي من موقعه الاجتماعي في الاحياء وفي مراكز المدن وعلى صعيد البلاد.

ملف كورونا والرأسمالية

حول خطر كورونا!

تمر البشرية قاطبة اليوم بايام عصيبة جراء انتشار فايروس كورونا بشكل فتاك في معظم بلدان العالم. سلب هذا الفايروس لحد الان حياة الالاف من الضحايا في العالم، وللاسف، تضاف العشرات يوميا الى هذه الارقام المفزعة. لقد اصيب حياة مليارات البشر بشلل جراء هذه الوضعية الكارثية.

السلطة المليشياتية الطائفية الحاكمة في العراق لم تقم باي دور يذكر ولم تبذل اي مجهود جدي لحماية ارواح الجماهير من هذا الفايروس الخطير. تعاملت باستهتار تام معه، ولم تتخذ اي خطوات جدية لتطويق هذا الخطر. وتنصلت عن القيام بابسط مسؤولياتها تجاه المجتمع. ان تعامل هذه السلطة ومؤسساتها مع الفيروس هو دليل اخر على ان هذه السلطة بعيدة كل البعد ولاتمت باي صلة لحياة ومعيشة الجماهير. ان تعامل هذه السلطة يحتم مرة اخرى اعلاء راية الاطاحة بسلطتها وحكومها وفسادها. انها منهمكة باولويات اخرى، اولويات الصراع على السلطة واحتكارها والفساد والنهب والجريمة. وقد كفت الجماهير عن ان تتطلع الى هذه السلطة ،فاجندتها اليومية مختلفة ولاتحمل نفسها اية مسؤولية تجاه حياة مايقارب 40 مليون انسان من الاساس.

على الجماهير في العراق، في المحلات والاحياء، ان تشّد من ساعدها، ان تضع على عاتقها مسؤولية حماية نفسها بنفسها، ان تشكّل الفرق والمفارز الصحية، ان تنظم الجولات الارشادية والتوجيهية الخاصة بالوقاية من الفيروس، ان تشكل لجان الدفاع من بينهم ومن بين الاطباء والممرضين، وان تحشد الشخصيات الاجتماعية لهذا التدخل والتحرك على الدولة لاجبارها على تأمين مستلزمات مجابهة هذا الخطر الجدي والداهم، من حيث توفير المستلزمات والامكانيات الصحية والطبية لها.

وفي هذا السياق، على الجماهير في العراق ان تتقيد بكل الارشادات والتعليمات الصحية التي تعممها سواء المنظمات الدولية او المحلية او المراكز الطبية والتخصصية والتي تساعد في الوقاية منه، ان الوعي الصحي للجماهير وانضباطها ذو اهمية حياتية وخاصة لمواجهة هذا الخطر وهذا الوباء.

من جهة اخرى، يجب اجبار وارغام السلطة القائمة وباي شكل على تحمل مسؤولياتها تجاه كل

المتضررين من هذه الاوضاع . على الدولة ان تتحمل مسؤولية تجاه كل من توقفت او فقدوا اعمالهم جراء هذه الوضع. وايضا ان تقوم بتخصيص الامكانات اللازمة لتسيير حياة المجتمع باقل الاضرار والمصاعب من قبيل مسؤوليتها بتوفير المحاجر الصحية، وسائر الخدمات الاساسية وتخصص الامكانات اللازمة لذلك.

ان الحزب الشيوعي العمالي يؤكد على الحد الادنى لاي تجمع واجتماع عام كأمر لا مناص منه. في الوقت ذاته يؤكد على ضرورة اغلاق ابواب المدارس والجامعات، مراكز العمل والمصانع والمعامل وفي سائر المؤسسات والمراكز الحكومية وفي القطاع الخاص باجور مدفوعة.

أما فيما يخص القضية السياسية الاساسية في العراق، اي الاحتجاجات وساحات الاحتجاج في التحرير والحبوبي وبقية مدن العراق، ففي الوقت الذي يؤكد الحزب الشيوعي العمالي العراقي على ان الاطاحة بهذه السلطة وانهاء عمرها المشؤوم هو امر فوري ولامفر منه لارساء حياة افضل للجماهير، الا انه يوصي في الوقت ذاته الجماهير المنتفضة بتعليق تجمعاتها وحشودها لاشعار اخر. اذ، بالاضافة الى عواقبها الانسانية الكارثية، بوسع شيوع الفايروس نفسه ان يقدم افضل خدمة للسلطة المليشياتية في الحاق ضربة جدية بالانتفاضة ايضا. يؤكد الحزب على ضرورة عدم التقليل والاستهانة من مخاطر هذا الفيروس او "عدم مهابته"، في اجواء الحماس الثوري حيث ان ذلك سيلحق ضربة انسانية مميتة بالمنتفضين. الامر الذي ينبغي الحذر منه جدياً.

ان الحفاظ على حياة المنتفضين وسلامتهم هو امر ضروري ولاغنى عنه ولايمكن التلاعب والمجازفة به. ان صيانة حياة المجتمع، ومن ضمنه حياة المنتفضين، هي الاولوية التي ماقبلها اولوية.

الحزب الشيوعي العمالي العراقي
16اذار 2020

"الدولة مسؤولة

عن صحة ومعيشة الجميع"

برنامج عمل وطني لمواجهة فايروس كورونا

لقد اصبح انتشار مرض فايروس كورونا ازمة عالمية، وبات يهدد مصير البشرية والمجتمع الانساني برمته. ان سبب انتشار هذا المرض هو النظام الرأسمالي في المقام الاول وسعيه المتواصل لمراكمة الرساميل والارباح على حساب صحة وحياة الافراد.

لقد اصابت الاوبئة قلب العالم المتحضرمن جهة، ومن جهة اخرى اظهر افتقارها الى الاستعدادات الطبية والصحية عجز هذه الحكومات عن ايقاف مسلسل الموت بل و ايضا ارتكاب الجرائم بالقتل المتعمد عبر سحب اجهزة التنفس من المسنين.

ان وضع حد لهذا المرض ما زال ممكنا وبمقدور المجتمع الانساني التخلص من خطره والقضاء عليه، اذا اتخذت الحكومات والدول خطوات عملية وجادة للتصدي له.

ان المعيار العالمي للتخلص من مرض انتشار فايروس كورونا هو معيار و برتوكول منظمة الصحة العالمية والذي يقتضي اقامة الحجر الصحي وعدم الاختلاط والتواصل مع الاخرين اضافة الى توفير الامكانات الطبية من ادوات الكشف والاجهزة التنفسية والدواء والتغذية الجيدة للتقليل من حالات الوفاة او التقليل من شدة اعراض المرض.

والعراق ليس استثناء من هذه السياسة التي تستبيح حياة البشر. فلم يكن استهتار السلطات اقل من حكومات دول العالم، ولم تحرك ساكنا تجاه الازمة المذكورة و حتى يوم الخامس عشر من شهر اذار الحالي.

ان الدولة مسؤولة عن تأمين حياة ومعيشة وصحة المجتمع. على السلطات الحكومية في العراق تحمل مسؤولياتها ووفق اعلى المعايير وتعمل **على تحقيق فوري للبرنامج التالي**:

1: تأمين كل المستلزمات الضرورية والحياتية لادامة الحياة طوال فترة الحجر وذلك عبر:

ا- توفير جميع المستلزمات الطبية والدوائية للمصابين و أقامة المستشفيات الميدانية ورفع الاستعدادات لاستقبال ومعالجة المصابين بالفايروس.

ب- اجراء الفحوصات الفورية لجميع المواطنين والمواطنات ودعم الكوادر الطبية الموجودة في الخطوط الأمامية لهذا الوباء.

ج- تعفير وتعقيم كل مرافق الحياة. وتقديم افضل الخدمات الصحية والبلدية بما فيها اجراءات الرقابة .

د- تكثيف حملات التوعية الصحية وتشكيل الفرق من المتطوعين وبأشراف كوادر طبية لرفع التوعية الصحية للوقاية من هذا المرض.

ه -إعادة العمل بنظام دفاتر الامراض المزمنة الذي كان معمولا به من قبل وزارة الصحة و منذ عقود لجميع الاشخاص كي لا يكونوا فريسة سهلة لفايروس كورونا و لتخفيف الأعباء الصحية و المالية عنهم

و-لرقابة على اسعار و نوعية مبيعات الصيدليات ومحال المواد الغذائية و منع الأدوية و المواد الغذائيةالتالفة وغير الصالحة للاستعمال البشري.

2: من اجل ضمان الحد الادنى من احتياجات الغذاء للاسر التي فقدت مصادر دخلها كنتيجة للحظر الصحي يجب الحفاظ على الصحة وإمدادات الغذاء وذلك عبر :

ا- زيادة مفردات البطاقة التموينية بما فيها مواد التعقيم والتنظيف والحليب واللحوم وتنظيم توزيعها بشكل فوري دون اي تباطئ.

ب- توفير التغذية المدرسية وتوفيرها للمدارس حال عودة المدارس اخذا بنظر الاعتبار الاوضاع الاقتصادية المترتبة على مرحلة ما بعد الوباء.

3: يجب أن تتحمل الدولة:

ا- كلفة أجور و رواتب فترة الحجر الصحي بتأمين دفع اجور ورواتب جميع العاملين في القطاع الخاص و العاملين بعقود او اجور يومية لدا دوائر و مؤسسات الدولةولمدة 4 اشهر وطوال فترة الحجر الصحي.

ب- دفع ضمان بطالة لجميع العاطلين عن العمل من اجل تأمين حاجاتهم المادية من الغذاء والمياه النظيفة.

ج - منح قروض وسلف مناسبة للعاطلين عن العمل وذوي الدخل المحدود .

د- تفعيل قانوني العمل والضمان الاجتماعي وغيرهما من القوانين والانظمة والتعليمات ذات الصلة والمساس بمعيشة المواطنين.

ه- تاجيل تحصيل بدلات الإيجار و تعويض المؤجرين جراء ذلك باعفاءات ضريبية مناسبة.

و- تأجيل تحصيل اقساط القروض والسلف وفوائدهاالمستحقة للمصارف من المواطنين لمدة 4 اشهر.

ز- منح سلف الى المتقاعدين الجدد لحين اكمال معاملاتهم التقاعدية.

ح- اعفاء المواطنين من دفع متأخرات واجور الكهرباء والماء لمدة 4 اشهر.

ط- اصدار قرار عفو خاص عن النزلاء والمودعين في السجون والمعتقلات ومراكز التوقيف حتى لا

تتحول السجون الى بؤر للوباء.

4: الحزم في تطبيق حظر التجول و منع كل اشكال التجمعات ومنها:

ا-منع كل اشكال المناسبات بما فيها الدينية، و احالة المحرضين لتنظيمها الى المحاكم بتهمة تعريض حياة الناس الى خطر الموت.

ب- احكام اغلاق الحدود التام مع ايران ومع اية بؤرة وباء في العالم، ومنع اي شكل من اشكال اختراق الاغلاق عبر المنافذ البرية او النهرية او الجوية.

يدعو الحزب الشيوعي العمالي العراقي كل القوى الاشتراكية والمحبة للانسان، والاحزاب والمنظمات والاتحادات العمالية والنسوية و المهنية والحركات الداعية للمساواة والتي تؤمن بمسؤولية الدولة عن المطالب المطروحة اعلاه، تعبئة مجمل قواها لارغام السلطات على تحقيق مطالب هذه اللائحة وبشكل فوري للحد من انتشار فايروس كورونا و ضمان سلامة المجتمع..

الاتحادات و النقابات و المنظمات:

-الاتحاد العام لنقابات عمال و موظفي العراق
-الاتحاد العام لنقابات العاملين في العراق
-اتحاد نقابات النفط في العراق
-اتحاد النقابات العمالية و المهنية المستقلة
-نقابة ذوي المهن الهندسية الفنية
-الحزب الشيوعي العمالي العراقي
-اتحاد العاطلين عن العمل
-منظمة الطلبة التقدميين
-تجمع شباب التنمية والبناء
-جمعية الغائب الحاضر الإنسانية
-رابطة التربويين العراقيين
-رابطة نحو المواطنية الشبابية - اقليم كردستان
-منظمة الخير الإنسانية
-معهد اكد الثقافي
-منظمة انا ميسان لحقوق الانسان
-مؤسسة الحبوبي لطلبة و شباب العراق – ذي قار
-مركز ذر للتنمية
-رابطة خريجي الجامعات و المعاهد في العراق
-منظمة الاحرار لحقوق الانسان ميسان
-جمعية نبع الحياة الانسانية

02/04/2020

فيروس كورونا،

فضيحة رأسمالية اخرى!

توما حميد

انتشار فيروس كورونا هو من الاحداث التي تفضح النظام الرأسمالي وتكشف عدم انسانيته وهشاشته كنظام اقتصادي. في البداية، يجب الاشارة الى ان السلالة الحالية من فيروس كورونا الذي يسمى (SARS-CoV-2) والذي يتسبب في مرض كوفد -19 تعود الى اسرة كبيرة من فايروسات كورونا. كان الفيروس الحالي معروف ويصيب الحيوانات، ولكن الجديد هو انتقاله الى البشر في نهاية عام 2019. يصعب، لاسباب علمية هي ليست موضوع هذا المقال التنبؤ بسلوك هذا الفيروس، الا ان الواضح لحد الان هو انه سريع الانتشار بين البشر. فبعد ظهوره في مدينة ووهان في مقاطعة هوبي الصينية، سرعان ما انتشر الى الاجزاء الاخرى من الصين والى كل قارات العالم. ان المعلومات التي نعرفها لحد الان تشير الى ان 82% من المصابين تظهر عليهم أعراض طفيفة فقط، وتبلغ نسبة الذين يمرضون بشكل خطير 6%. من جهة اخرى، تبلغ نسبة الوفيات بسبب الفيروس بين 1-4% حسب المعطيات المتوفرة وهي نسبة اكبر من نسبة الوفيات التي يتسببها فيروس الانفلونزا الموسمي. ولكن ربما تكون نسبة الاصابات الطفيفة اكبر من 82% والوفيات اقل من النسب المعلنة عنها لان الكثير من الاصابات لايتم الابلاغ عنها او لاتكتشف. مع هذا فان احد الاحتمالات الممكنة هو ان يؤدي الفيروس الى وفاة عدد كبيرمن البشر. لنذكر ان فيروس الانفلونزا الموسمي تسبب في 500 الف وفاة حول العالم في 2019 مثلا.

بنظري، يجب عدم التهوين او المبالغة على السواء من خطورة هذا الفيروس الصحية على المجتمع، ويجب التحضير والعمل على اساس اسوا الاحتمالات، ولكن لايوجد مبرر للهلع. والاهم هو عدم الانجرار وراء نظريات المؤامرة سواءا تلك التي تدعي بان هذا الفيروس هو من انتاج هذه الحكومة او تلك او هذا الرأسمالي او ذاك، او تلك التي تدعي بانه بدعة برجوازية الهدف منه تصريف البضائع. وكاي ازمة، تكون مصلحة قطاع برجوازي في تفاقم الازمة، ولذلك قد تشارك في نشر الهلع. ولكن هذا لايعني بان الفيروس مؤامرة او بدعة.

لقد تم في الواقع خلق هلع من الفيروس، غير مبرر على الاقل لحد الان في الكثير من المناطق، وللاعلام دور كبير في هذا. وهذا الهلع من الفيروس وطريقة التعامل معه ليسا ذا صلة بخطورة الفيروس على حياة وصحة البشر والاضطراب الذي قد يحدثه في حياتهم بقدر خطره على الاقتصاد

الرأسمالي الهش ومعدل النمو الاقتصادي وارباح الرأسماليين، وبالاخص، خطورته على اسواق الاوراق المالية وخطر حدوث ازمة اقتصادية عالمية. فالطبقة الرأسمالية تقيّم مثل هذه الاحداث من زاوية تاثيراتها على الاسواق وارباح النخبة المالكة. فمثلا قد يموت عدد كبير من البشر، ولكن اهم واول اجراء تسعى اليه ادارة ترامب مثلا هو خفض نسبة الفائدة من اجل ادامة فقاعة الاسواق المالية. كما ان من مصلحة قسم من الرأسماليين، كما قلنا، خلق هلع لان هذا يؤدي الى زيادة الطلب على منتجاتهم. كما ان الاعلام يستفاد من هذه الازمات لزيادة عدد القراء او المستمعين او المشاهدين. وهناك سبب اخر للاهتمام بالفيروس، وهو ان الاغنياء غير محصنين من الاصابة به، بعكس المشاكل والامراض الناتجة عن الفقر.

رغم وجود غموض حول طريقة انتقال هذا الفيروس من الحيوانات الى البشر الا ان في الكثير من الحالات التي تتحور فيها مثل هذه الفيروسات الحيوانية لتصبح قادرة على اصابة الانسان تكون بسبب ممارسات تتعقب منطق الربح في تربية الحيوانات، كما حدث مع وباء "سواين فلو" وغيرها.

التأثيرات الاقتصادية:

رغم صعوبة التنبؤ، قد تكون للفيروس تاثيرات هائلة على الاقتصاد العالمي. اذ تشير التوقعات بانه سوف يمحي 1% من حجم النمو في الاقتصاد العالمي لهذه السنة. وقد الحق فيروس كوفد -19 بالفعل ضرر واضح بالاقتصاد العالمي لحد الان. اذ ادى الى انخفاض حاد في السفر والتنقل، مما يعني انخفاض في ارباح قطاع السياحة من فنادق ومطاعم وقطاع الطيران والمواصلات الاخرى. كما اثر على التجارة، التصنيع، الشحن، قطاع التكنولوجيا والسيارات، واصاب سلاسل التوريد العالمية باضطراب كبير.

والسبب الاساسي لهذا التاثير لحد الان هو تأثر الاقتصاد الصيني بشكل كبير بسبب الاجراءات الصارمة التي قامت بها الحكومة الصينية للحد من انتشار الفيروس. فالاقتصاد الصيني هو بالفعل محرك الاقتصاد العالمي. لقد تم غلق الاف المعامل وعشرات الملايين من العمال هم قيد الحجز الصحي في الصين بشكل موقت. هذه الاجراءات ابطئت الاقتصاد الصيني، وسيكون لهذا الامر تأثير ملموس على الاقتصاد العالمي الهش. فاليوم، يشكل الاقتصاد الصيني 19.3% من حجم الاقتصاد العالمي، ويشكل النمو الاقتصادي الصيني ثلث حجم النمو للاقتصاد العالمي، وتمثل الصادرات والواردات الصينية 10% من حجم الصادرات والواردات العالمية، والصين مزود اساسي لقطع الغيار لكل العالم. كما تعتبر اكبر مصدر للسياح حيث يسافر 150 مليون صيني الى الخارج سنويا.

التأثيرات الاقتصادية على الطبقة العاملة:

رغم ان معظم الحديث يدور اليوم حول سبل ضمان استمرار العمال بالانتاج والزبون بالشراء من اجل حماية الاقتصاد، يبقى الهم هو الحفاظ على الارباح، وليس رفاهية الجماهير. فرغم ان العامل هو العمود الفقري للانتاج ، فان الهم الاساسي هو ليس حماية العامل من الاصابة وحمايته من الناحية الاقتصادية في حال غيابه عن العمل بسبب الاصابة او العزل الصحي للمدة المطلوبة، وهي اسبوعين، و اثار هذا الوباء على اوضاع الطبقة العاملة وظروف عيشها والاجراءات التي يتوجب

اتخاذها لدعم هذه الطبقة. الحديث يتركز على وضع البورصات و اسعار الاسهم.
ان حجم تأثير هذا الوباء كأي ازمة كبيرة على المجتمع يختلف على اساس الطبقات، اي يكون اكبر على الطبقة العاملة.

بدءاً، ان احتمال انتشار الفيروس بين الفقراء في المناطق المكتظة التي ليس للفرد القدرة على الالتزام بالعادات الصحية والحصول على اللوازم الضرورية بهذا الشأن هي اكثر من انتشاره بين الاغنياء.
كما ان تفشي فيروس كورونا يدفع الكثير من الشركات الى تسريح العمال بشكل وقتي او دائمي، وتخفيض الأجور وفرض الإجازات القسرية دون أجور. كما تطلب السلطات الصحية في مناطق معينة من العمال البقاء في البيت للحد من انتشار المرض. كما ان بعض العمال يجبرون على البقاء في البيت للاهتمام باطفالهم عندما تغلق المدارس والروضات. هذا في وقت، حتى في الدول المتقدمة والغنية، فان قطاعات كبيرة من العمال لايحصلون على اجازة مرضية مدفوعة الاجر.

تعني مسالة عدم الذهاب الى العمل، أو عدم ارسال الاطفال الى المدرسة لمدة اسبوعين بالنسبة للعمال الذين يحصلون على اجور قليلة مشاكل كبيرة مثل التاخر في دفع الفاتورات والايجارات ورسوم رياض الاطفال والخ. اذ يحتاج العمال إلى كسب أجر، وخاصة ممن يكسبون اجور منخفضة، ويتطلب هذا منهم في كثير من الأحيان أن يكونوا حاضرين جسديا في العمل، اذ لايمكن لنسبة كبيرة من العمال القيام بوظائفهم في المنزل، بما في ذلك عمال الوجبات السريعة والفنادق أو سائقي سيارات الأجرة وعمال المتاجر والعاملين في قطاع الزراعة.

في امريكا مثلا، لايحق لـ 73% من العاملين بدوام جزئي الحصول على إجازة مرضية مدفوعة الأجر ولو ليوم واحد. ان هذا الامر يجبر العمال على العمل حتى عندما يصابون بالمرض كما حدث مع أنفلونزا الخنازير عام 2009 ، مما يؤدي الى اصابات اضافية هائلة. كما ان 80 مليون عامل امريكي يجدون صعوبة حياتية بين اجر واجر، وان اكثر من ستين مليون امريكي لايمكنهم تدبير 500 دولار في وضع طاريء، فكيف يمكنهم البقاء بدون راتب لاسبوعين؟؟

ان ماتقوم به الحكومات وخاصة الادارة الامريكية هو العمل على استقرار الاسواق عن طريق خفض سعر الفائدة وتقديم بعض الدعم للمؤسسات الصحية. ولكن ليس للحكومات حتى في الدول المتقدمة، خطة لدفع الاجور للعمال وخاصة ذوي الاجور المنخفضة في حال غيابهم عن العمل. كما ليس هناك اي حديث عن توفير مصاريف العلاج للعمال الذين ليس لهم رعاية صحية او المهاجرين وخاصة غير الشرعيين في دول مثل امريكا.

بروز العنصرية!

لقد تسبب انتشار كوفد-19 بروز نزعة عنصرية قوية ضد الصينين والاسيويين وخاصة في امريكا والدول الدائرة في فلكها. وهناك خوف من كل ذوي الملامح الاسيوية. ورغم ان منظمة الصحة العالمية تحدثت عن ان قيود السفر التي تستهدف الصين هي غير فعالة و سوف تاتي بنتائج سلبية، فان الكثير من الدول مثل امريكا، استراليا، كندا ودول اوربا فرضت مثل تلك القيود. ومن نظريات المؤامرة التي تنتشر في هذا السياق هي نظريات عنصرية كتلك التي تقول ان سبب انتشار كوفد - 19 كان اكل الصينين للخفافيش الخ رغم عدم وجود اي دليل على هذا الادعاء. وهناك تهكم وتشفي

واحتفال في الكثير من الاوساط اليمينية اعتقادا منها بان هذه الازمة سوف تدمر الاقتصاد الصيني.

ألنظام الرأسمالي عاجز عن التعامل مع كوفد-19!

الاقتصاديات والانظمة الصحية والبنى التحدية الرأسمالية غير قادرة على التعامل بشكل فعال مع هذه الازمة. من الناحية الاقتصادية، كما قلنا النظام غير مهيأ للاستجابة الى المشاكل التي تواجه الطبقة العاملة بسبب كوفد-19. ومثل هذا التاثير على المجتمع عموما سيتضاعف في حال دخول الاقتصاد العالمي في ازمة اقتصادية، وهو احتمال وارد في حال استمر خطر هذا الفيروس. ان الاقتصاد الرأسمالي يعتمد على الاستهلاك الهائل والنمو المركب لكي يستمر بشكل روتيني، الا ان خفض نسبة الفائدة لن يحث المتسوقين على التسوق في ظل وجود الوباء. رغم ان الهلع الذي خلق قد زاد الطلب على المواد الغذائية وبعض البضائع الاساسية الا ان هذا ليس كافيا لادامة الاقتصاد بشكله الروتيني.
من جهة اخرى، ان الجهاز الصحي ونظام المستشفيات العامة على مستوى العالم، بما فيه الدول المتقدمة مثل امريكا وبريطانيا واوربا واستراليا، غير مهيأ للتعامل مع وباء يؤدي الى زيادة هائلة ومفاجئة في الطلب على الخدمات الصحية، وخاصة ان القطاع الصحي في اغلب الدول تعرض الى استقطاعات كبيرة في ميزانيته بسبب السياسات النيوليبرالية وسياسة التقشف وخاصة بعد ازمة 2008. فالمستشفيات غير مستعدة للتعامل مع هذا السيناريو، وهناك قصور هائل في القدرات الكلية والكفاءة للتعامل مع الاوبئة والكوارث بسبب نقص في حجم الكادر الصحي وفي كمية الاجهزة والادوية الخ وفي التدريب اللازم في وقت ان مسالة تفشي وباء مثل كوفد-19 هي مسالة شبه حتمية.
لقد ادى تفشي كورونا الى نقص في المعونات الطبية الاساسية مثل الكفوف الطبية والكمامات في الكثير من الاماكن، وقد يؤدي الى نقص حاد في الادوية والعقاقير ومركبات دوائية اساسية مثل البراسيتامول بسبب توقف التصدير الى العالم من الدول المصنعة مثل الهند التي هي اكبر مورد للادوية او بسبب نقص المكونات الدوائية الاتية من الصين. فالهند والكثير من الدول الاخرى مثل اوربا وامريكا تعتمد على الصين لضمان المكونات الفعالة للادوية. ولاتوجد عدة الفحص في الكثير من الدول، وهناك نقص حتى في بعض الدول المتقدمة.

يجدر الاشارة الى ان نفاذ الكمامات مثلا وبلوغ اسعارها حدود خيالية في الكثير من انحاء العالم، ليس ناتجاً عن عدم القدرة على انتاج كميات كافية من الكمامات، بل ان منطق الربح الذي هو محرك الحياة تحت هذا النظام هو الذي يؤدي الى بروز هذه المشاكل.

وفي الحالات التي لاتوجد كمامات كافية لجميع السكان، لايتم توزيعها بشكل منطقي وراشد كان تذهب الى الاشخاص الاكثر عرضة للاصابة مثل العاملين في القطاع الصحي او في المواصلات الخ او الاكثر عرضة للاصابة الشديدة بالفايروس مثل كبار السن والاشخاص الذين يعانون من حالات صحية سابقة مثل الربو والامفيزيما والسكري والسرطان وامراض القلب، بل توزع حسب منطق السوق. اي ان الكمامات تذهب الى الذين بوسعهم دفع مبالغ اكبر، ويعتبر هذا الامر اكبر ادانة لالية السوق التي يتم تمجيدها في ظل النظام الرأسمالي. كما ان عدم اكتشاف علاج لحد الان من قبل شركات الادوية العملاقة يعود لسبب بسيط وهو منطق الربح.

رغم ان هذا ثالث وباء كورونا منذ بداية القرن الحادي والعشرين، لكن لم تبذل جهود تذكر لاكتشاف علاج او لقاح، لانه ليس للمستثمرين دافع لايجاد لقاح او علاج ضد فايروس لايعرف كم سيستمر

وكم من الارباح ستجنى. ان انتاج لقاح او علاج ضد سلالة معينة سوف تهيء الارضية لانتاج لقاح وعلاج ضد السلالات الاخرى.

برز عجز الراسمالية للتحضير والاستجابة الفعالة في كل الازمات الاخيرة مثل كوفد-19 و حرائق امريكا واستراليا ووباء ايبولا و...الخ.

يثبت كورنا بان العالم غير امن في ظل الرأسمالية فهو نظام عاجز ومشلول الى حد كبير وتعمق هذه الازمات الحاجة الى تغير ثوري في المجتمع البشري. ان مستقبل البشرية يعتمد عى انهاء عمر الرأسمالية.

العلم، والانحطاط الأخلاقي للنظام الرأسمالي

في مواجهة مرض كورونا

سمير عادل

لأول مرة يستسلم العالم الرأسمالي، الذي يعج بصناعة الخرافات ويسلم أمره للعلم، بدلاً من التوسل إلى أنبيائه ورسله وأوليائه من القساوسة والملالي والحاخامات لإنقاذه من مرض كورونا. ولأول مرة تعلن إغلاق المساجد والكنائس والأماكن الدينية في العالم تجنبا للتجمعات من اجل تقويض مساحة انتشار مرض فيروس كورونا. وحتى من يتابع كلمة ملك السعودية يوم 26/3/2020في قمة العشرين، فنراه قد ذكر الإنسان وقدرته على مواجهة الأخطار، ولم يذكر "الله" بشكل مباشر، وهي سابقة تاريخية، لأنه يدرك انه قد أمر بإغلاق الكعبة وجميع الأماكن المخصصة للصلاة التي لا تنقذ المرضى بل هي عامل في تفشي فيروس كورونا.

إن مرض كورونا لم يضرب أسواق النفط والسياحة والسفر وصناعة السيارات..الخ فحسب بل ضرب أسواق إنتاج الخرافة والدين، وهي أكثر الأسواق التي ستكون متضررة على المدى المنظور وستبقى راكدة لفترة أطول مقارنة مع بقية أسواق الصناعات الأخرى.

سباق الدول العظمى عبر العلم على اكتشاف لقاحات وعلاجات ناجعة وضع الدين وأصحابه جانبا، وسببه ليس إنقاذ صحة الإنسان أو سلامته، فهي تأتي في آخر أولوياتهم، بدليل أن نسبة وفيات الأطفال نتيجة سوء التغذية والأدوية يبلغ في كل دقيقة موت طفل، أو كما يقول منصور حكمت في كل تنفس شهيق وزفير يموت طفل واحد في العالم، ولا احد يكترث من تلك الأنظمة في كندا وبريطانيا وألمانيا وفرنسا وأمريكا والصين التي تتسابق في اكتشاف أو اختراع علاج لمرض فيروس كورونا.

أن سبب ذلك التنافس بالدرجة الأولى لإنقاذ اقتصادياتها من الركود، لإنقاذ شركاتها من الإفلاس. لقد شل كورونا شركات الطيران والنقل والسياحة والخدمات، وقد بينت حزمة المساعدات الأوربية والأمريكية والكندية والفرنسية والألمانية والبريطانية التي وصلت إلى ترليونات من الدولارات ومن اليورو والجنيهات الإسترلينية لإنقاذ شركاتها واقتصادياتها من الركود، بإمكان القضاء على الفقر والعوز والمرض في كل العالم، بإمكان تقليل ساعات عمل العمال والموظفين، بإمكان أن يكون العمل

جزء من قيمة الإنسان كما يقول ماركس وليس مجبورا عليه لاستمرار بقائه وبقاء نسله على قيد الحياة، كي لا يعيش حالة اغتراب عن ثمار عمله التي بالنتيجة يعيش اغتراب عن العالم الذي يعيش فيه، بإمكان أن يستمتع الإنسان بكل أشكال وأنواع التكنولوجيا، بإمكان الإنسان المحروم من المراحيض في الهند النووية، والنازحين في الموصل والانبار المحرومين من سكن فيه القليل من التدفئة ولا تتدفق مياه الأمطار من سقفه عليهم، والأطفال الذي يموتون جراء نقص الأغذية في أفريقيا، ومنع الملايين من النساء من امتهان مهنة بيع أجسادهن وخاصة في تايلاند وماليزيا وفيتنام ولاوس وكمبوديا ، نقول بإمكان أن يعيشوا كل هؤلاء بآدميتهم وفي حياة مرفهة كريمة.

لقد كشفت أزمة مرض كورونا عن قباحة النظام الرأسمالي، وعن كل أكاذيبه ونفاقه، بين كيف أن تلك الدول بغنيها وفقيرها، تدخر الأموال وتحرمها على مواطنيها وتفرض سياسة التقشف عند كل أزمة اقتصادية وتحملها على العمال والكادحين في بلدانها.

ما ذهبت إليها تلك الدول من الإقرار على حزمة مساعدات للعمال والموظفين مثل كندا وأمريكا وغيرها من دول العالم، ليس من اجل عيون الإنسان، بل من اجل إبقاء دوران رأس المال والحيلولة دون ركود الأسواق. صحيح انه بالتحصيل الحاصل سيستنفع من تلك السياسات العمال وكل محرومي المجتمع وهذه نقطة ايجابية وفرضتها نضالات الطبقة العاملة بشكل خاص والحركات الداعية للمساواة بشكل عام، ولكنها ذلك لا يعد منَّةً من أية حكومة. ولو عرف الممثلين السياسيين لتلك الأنظمة الرأسمالية أن مرض كورونا، لن يؤثر على أسواقهم وشركاتهم لما ذهبوا إلى تشريع تلك القوانين. فالنظام الرأسمالي الذي علمنا إياه ماركس في كتابه "رأس المال" وبينت التجربة العملية أن أزمة النظام الرأسمالي الاقتصادية هي أزمة دورية تحدث بين ٨- ١٢ سنة، وفي كل أزمة يرمى العمال إلى سوق البطالة، ولا نذهب ببعيد إلى الأزمات التي ضربت العالم الرأسمالي التي أشهرها الكساد الكبير في ١٩٢٩، بل لنتذكر كيف عشنا أيام أزمة عام ٢٠٠٨، وقد صادرت البنوك آلاف من بيوت العمال في الولايات المتحدة الأمريكية لان ساكنيها طردوا من العمل ولم يعد بمقدورهم دفع فاتورة القروض العقارية للبنوك...وفي الوقت الذي كان العمال يطردون من العمل، كانت البنوك الأمريكية التي أعلنت إفلاسها تقدم هدايا بملايين الدولارات لمدراءها التنفيذيين ورؤساء مجالس إداراتها كمكافئة خدمة بدل من تحويلهم إلى المحاكم بتهم التلاعب بصناديق المتقاعدين الأمريكيين ودافعي الضرائب كما شهد شاهد من أهلها وهو باراك اوباما في دعايته أثناء حملته الانتخابية.

وليس هذا فحسب بل كشف النظام الرأسمالي من جديد عن أزمته الأخلاقية التي تؤكد بأنه لن يتورع عن فعل اي شيء من اجل الربح .فالصين التي تشيد بها دول العالم للسيطرة على مرض كورونا، لم تكشف ولم تفصح عن المرض في بدايته بل وحتى قمعت كل من تحدث عنه بما فيه الطبيب الذي كشف المرض ومات بسببه، والقي القبض على العديد من الصحفيين الذين تحدثوا عن المرض، والسبب يعود إلى الحفاظ على امن واستقرار الأسواق الصينية التي تعج بالآلاف من الشركات العالمية والخوف من مغادرتها أو غلق أبوابها. وبعد أن أصبح المرض واقعا ولم يكن بمقدورها إخفاء الوباء، صرحت به مرغمة، والآن تسعى إلى السيطرة على المرض لتحوله ذلك إلى انتصار عظيم، وتسويق نموذجها للعالم لدوافع سياسية واقتصادية التي هي بالنتيجة من اجل الربح وتعويض أسواقها التي خسرت طوال فترة الحجر الصحي. وبموازاة ذلك لم تكن جميع دول العالم وخاصة الغربية اقل انحطاطا أخلاقيا من الصين، فبريطانيا وعلى لسان رئيس وزرائها يوريس جونسن قال لا نوقف الأسواق و"البقاء للأصلح" أو كما سماها "مناعة القطيع"، اي لن تطرح أية خطة لمكافحة المرض

خوفا على أسواقه إلا أنه قد تراجع بعد انتقادات كبيرة وضغط شديد عليه، في حين قال ترامب الذي يخرج علينا الآن كل يوم بمؤتمر صحفي ويصدع رؤوس الأمريكيين بالأكاذيب والترهات واستعراض قدرة إدارته على مواجهة مرض كورونا، وكلها من اجل الصب في دولاب دعايته الانتخابية لتجديد ولاية جديدة له نهاية هذا العام، قال في شهر كانون الثاني بأن كورونا سيختفي في شهر نيسان عندما يصبح الطقس حارا، أما ألمانيا فلم تحرك ساكن وقالت لم يبلغ انتشار المرض ذروته، للحفاظ على اقتصادها، كما أعلنت على لسان مسؤوليها الحكوميين، في حين كان كل يوم هناك مؤتمر صحفي لمنظمة الصحة العالمية تحذر العالم من خطر انتشار مرض كورونا، و فرنسا لم تسارع في اتخاذ التدابير اللازمة ضد المرض إلا بعد إجراء الانتخابات البلدية، وهي نفس السياسة التي اتبعتها الجمهورية الإسلامية الإيرانية التي ينهال النقد عليها عندما اخفت تفشي المرض ولم توقف الانتخابات التشريعية. أن جميع تلك الأنظمة السياسية تعبر عن قباحة النظام الرأسمالي والانحطاط الأخلاقي الذي تعيشها.

أما في العراق، فهذا موضوع آخر، فالعلم يرعب أصحاب العمائم وخاصة الحواسم منهم. فكما اتخذت حكومات العالم التدابير لمنع التجمعات والاختلاط لمنع انتشار المرض وأوقفت جميع رحلات الطيران بالقدوم من بؤر انتشار كورونا، إلا أن الحكومة العراقية لم تتخذ اي إجراء بغلق الحدود البرية والجوية مع إيران إلا بعد الخامس عشر من نيسان. صحيح أن البعض أراد النفخ في الروح الشوفينية القومية وتقوية النزعة المعادية ضد إيران إلا أن سياسة قطع التواصل مع بؤر مرض كورونا هي سياسة طرحتها منظمة الصحة العالمية لمنع انتشار المرض. وليس هذا فحسب ففي الوقت التي تعلن السلطات العراقية منع التجول في الوقت الضائع، وفرض الحظر الصحي، يغرد الصدر وأصحاب العمائم الآخرين بالضد من سياسة الحظر ويرفض قرار الحكومة بمنع التجمعات لان هناك مناسبة دينية وهو ذكرى وفاة موسى الكاظم في مدينة بغداد ويشارك فيها آلاف يأتون مشيا على الإقدام من جميع المحافظات العراقية.

إذا ما دققنا وقارنا بين الصدر ومسؤولي الجمهورية الإسلامية وماكرون، فالاختلاف هو البدلة والعمامة، لكن نراهم ذات المحتوى هو أنهم آخر ما يهمهم صحة الإنسان وسلامته.

أن المفارقة أن مقتدى الصدر الذي كان يسكن مدينة قم الإيرانية، تركها هاربا حالما سمع بتفشي مرض كورونا في المدينة، بينما يعرقل اليوم قرار الحكومة العراقية بإعلان حظر التجوال ومنع المناسبات بكل أشكالها بما فيها الدينية. فإذا كان السبب وراء سياسة ماكرون وبقية زعماء الدول الرأسمالية العالمية بعدم الاكتراث للوهلة الأولى للمرض كورونا ومحاولة التقليل من خطورته من اجل الحفاظ على أسواقها الاقتصادية، فان مقتدى الصدر هو الآخر يحاول إنقاذ سوق أفكاره الغيبية لأنه بواسطتها يزدهر سوقه الاقتصادي. فتخيل عندما يحل العلم كل معضلات المجتمع، وعندما يتوفر ضمان بطالة لكل عاطل عن العمل، فلماذا يمشي البشر مئات من الأميال ومصيره مجهول في ظل "العراق في زمن كورونا".

أن الاستنتاجات النهائية التي بينها مرض فيروس كورونا، أن مبدئه "المساواة"، فلا فرق بالنسبة له بين الغني والفقير، وهذا واحدة من الأسباب التي أرعبت الممثلين السياسيين للنظام الرأسمالي العالمي، وبين أيضا أن العلم وحده يستطيع النيل منه، وبهذا وجه ضربة لكل صناعة الخرافات التي ازدهرت في ظل النظام الرأسمالي بشكل حرفي لتحميق البشر وسهولة السيطرة عليهم، وثالثا كشفت

العالم والذي أكده دائما الشيوعيين على ضوء استنتاج ماركس عن الانحطاط الأخلاقي للنظام الرأسمالي وكونه مستعد عمل اي شيء من اجل ضمان أو إبقاء الربح، ورابعا فضح أكاذيبه حول قدرته على إنفاق الترليونات من الدولار لإنقاذ نظامه لكن لا يحرك ساكنا في إنقاذ المجتمع الإنساني من الفقر والعوز والمرض والتغيير المناخي..

أن هذا النظام كما قال رفيقي توما حميد في إحدى مقالاته الشيقة، أصبح نظاما غير شرعيا وفاقد للأهلية أو غير نافذ المفعول.

معيار التضامن في النظام الرأسمالي العالمي

إن العالم بعد كورونا لن يكن مثلما كان قبله، كما كان العالم بعد الحادي عشر من أيلول غير العالم بعد الحادي عشر من أيلول.

سقوط الغرب -رأسمالية السوق والاقتصاد الحر- أمام امتحان فيروس كورونا يضاهي سقوط الاتحاد السوفيتي وجدار برلين –أي ما نسميه نحن بـ)رأسمالية الدولة). بيد أن الفارق بين الاثنين، هو أن سقوط الأول سيكون أكثر دويا من الثاني على الرغم من أن دويه اي الثاني كان مفتعلا ومصطنعا بفعل توظيف كل الطبول الدعائية والفكرية والسياسية لتعظيمه والمبالغة من قبل الغرب الديمقراطي، غرب "تعظيم الفرد والفردانية"، غرب تمجيد الاقتصاد الحر، اقتصاد ريكاردو)دعه يعمل دعه يمر) ، غرب الفوضى الخلاقة، غرب الليبرالية الجديدة ومدرسة شيكاغو الاقتصادية، وظل يهتف بكل مفكريه وسياسيه واقتصاديه والممولين من مراكز الدراسات والأبحاث بشكل مريح لسنوات وسنوات إلى الحد الذي صوره المفكر اليميني الأمريكي فرانسيس فوكوياما بتعريف ذلك السقوط اي سقوط الكتلة الشرقية بأنه نهاية التاريخ، وخلود النظام الديمقراطي الليبرالي. كان يبغي من وراء كل تلك الطبول في تخليد البقاء للأصلح كما عبر عنه بوريس جونسون رئيس الوزراء البريطاني عندما أفصح عن سياسته تجاه مرض كورونا في بريطانيا بأن الطبيعة هي التي تحدد وتقوض انتشار الفيروس عبر "مناعة القطيع".

اليوم يسقط الغرب ونظامه الديمقراطي الليبرالي، الذي اعمي بها عيون البشرية أمام فيروس كورونا، دون أن ينفق اي شخص في هذا العالم الرأسمالي، سنت واحد على وتر واحد من أية آلة موسيقية أو على هتاف صوت واحد أو اهتزاز حنجرة واحدة لدوي ذلك السقوط. و لا يسعنا إلا أن نشكر فيروس كورونا الذي بين أن كل تكنولوجيا الغرب وتطوره العلمي لم يكن لحساب الإنسان وعموم البشرية في المجتمع. وهذا ما سعى أمثال فوكوياما إلى إخفائه، بينما كشف عنه فيروس كورونا. إذا كان معيارنا الإنسان، وإذا كانت فلسفتنا الأصلية تبدأ وتنتهي وتتركز أصالتها حول حقوق الإنسان بالمعنى المطلق للمقولة التي تشدق بها الغرب، فان أسطورة تفوق الغرب كانت فقاعة، وبينت انه لم يتفوق فيها إلا عبر آلة الدعاية والكذب والنفاق التي اخفت كل عيوبه ومعاداته للإنسانية. وهنا نتحدث عن الغرب كنظام رأسمالي، طالما عزفوا له واخفوا كل الزبالة تحت طاولته بأن الإنسان "الفرد" ذات هو القيمة العليا. ها هي الفردانية ترتد عليه، فكل دولة أخذت تنأي بنفسها عن الأخرى، وحتى الاتحاد الأوربي الذي عبر عنه الرئيس الصربي اليميني بامتياز؛ إن التضامن العالمي غير موجود، والتضامن الأوربي غير موجود وانه قصة خرافية على الورق.. من يتذكر الحادي عشر من أيلول، العملية الإرهابية في نيويورك عام ٢٠٠١، أو من يتذكر سقوط

الموصل بيد عصابات داعش وإعلان دولة الخلافة الإسلامية في حزيران ٢٠١٤، وكيف أبدت الأنظمة السياسية في كل العالم عن تضامنها مع الولايات المتحدة الأمريكية والعراق، أو كانت تتسابق جميعها بالدخول في تحالف تقودها الولايات المتحدة الأمريكية، بينما يحجر نفس العالم وخاصة الغربي على نفسه خوفا من اجتياح فيروس كورونا، يدرك أن هناك معيار واحد للتضامن في فلسفة النظام الرأسمالي، هو معيار المصالح والخوف على أسواق البورصات واسهم الشركات ومنافذ الطاقة، وتغيير الخارطة الجيوسياسية التي قد تضرب مصالح شركاته ومؤسساته الاقتصادية والمالية. في حين أن المعيار الإنساني، الذي كشفه لنا مشكورا فايروس كورونا، غاب كليا ويختفي فيه عنصر التضامن والتعاضد الإنساني الذي أظهرته تلك الدول بشكل زائف تحت عناوين "الحرب على الإرهاب".

لقد طمست كل الأنظمة الغربية رأسها داخل حدودها الجغرافية، وباتت لا ترى غير أسواقها القومية التي يهددها فايروس كورونا. فعندما تعزل البشرية نفسها في بيوتها، وتمتنع على تشغيل دولايب المصانع والمعامل، وتعزف عن التسوق، ويشغلها شغل واحد هو البقاء على قيد الحياة، حينذاك فقط؛ تدرك البرجوازية أنه لا خلاص لها ولا لإرباحها ورأسمالها دون إنقاذ تلك الجموع من اجل دوران رأسمالها. إلا أن "العولمة" وهي الاسم الحركي لعالمية رأسمال المال وتحدث عنها ماركس وبعده لينين في كتابه "الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية"، تكشف أنها لم تكن أكثر من عولمة الاقتصاد وتحول رأس المال إلى رأسمال عالمي لا ينفصم عراه. ولكن وبسبب التناقضات البنيوية للرأسمالية، ففي المنعطفات والأزمات التي تعصف بالنظام الرأسمالي مثل الأزمات الاقتصادية أو سباق المنافسة مع بعضها وزمن الثورات والانتفاضات تلجأ بالعمل بعكس آلياتها. ففي الوقت الذي تجد فيه البرجوازية نفسها في الغرب مرعوبة ولا تعرف كيف تدير أزمتها بسبب مرض كورونا، تحاول الانكماش إلى الداخل القومي والانغماس القومي في حل معضلة كورونا بشكل فردي متحديةً قوانين طبيعة الرأسمالية التي أصبحت عالمية في كل مفاصلها، والتي لن تقبل العودة إلى الوراء إلا بتدمير نفسها. ولأول مرة تنسى الرأسمالية في خضم هذه الأزمة أن تنسق فيما بينها وتتعاون لإنقاذ مصالحها الاقتصادية المرتبطة عالميا على الأقل. أن هذه المعضلة هي معضلة في بنية النظام الرأسمالي العالمي وتعبر بشكل طبيعي عن تناقضاتها مع الماهية الإنسانية وتطور علاقات الإنتاج. أي أن الانحطاط الأخلاقي للنظام الرأسمالي هو انعكاس طبيعي لهذا النظام وغير مرتبط بأشخاصه أو ممثليه السياسيين الذين ليسوا إلا موظفين عند رأس المال تكون أدوارهم أما جيده أو تكون فاشلة. وهذا هو السر وراء إعادة طبع كتاب ماركس "رأس المال" و"البيان الشيوعي" في كل أزمة تهز عالم الرأسمال والأسواق، ودائما يتجدد الرعب من ظهور شبح لينين من جديد على العالم. أن ما لا يريد الاعتراف به المسؤولين الغربيين، ولا يريد أن يراها قسم من هذا العالم الذي وضع على عينيه وعقله نظارة زجاجها من نوع سميك صنعت خصيصا من إنفاق الملايين من الدولارات من أموال دافعي الضرائب ومن جزء مستقطع من فائض القيمة النسبي لعمل العمال في الغرب والفائض المطلق في بلدان التابعة للامبريالية، لتحريف أنظاره وتشويه الحقيقة أو طمسه عن أن تفشي فيروس كورونا بهذه المتتالية الهندسية في دول أوربا، هو ليس مرده إلا لعاملين وهما أولا: عدم اكتراث الدولة لصحة وسلامة الإنسان والتي غضت الطرف عن انتشار المرض خوفا على إيقاف دولايب الاقتصاد والإنفاق على صحة مواطنيها، فهي لم تتخذ اي إجراء فوري إلا بعد أن تحول الفيروس إلى جيش جرار يسقط الأسوار أو مثل المشاهد الهوليودية بموسيقى تصويرية مضخمة في أفلام التسونامي أو غزو الأرض من قبل الفضاء، والعامل الأخر: هو هشاشة النظام الصحي وتهرئه في دول مثل الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وايطاليا وبريطانيا...الخ.

فإذا كان غرب "حقوق الإنسان والديمقراطية" يتعامل بمنتهى الأنانية والانحطاط الأخلاقي مع مواطنيه، فكيف ستكون سياسة دولة استبدادية مثل الجمهورية الإسلامية في إيران تجاه الفيروس، فهي سمحت لثمانية ملايين نصف المليون من السكان بالتنقل خلال أعياد نوروز التي بدأت قبل يومين بين المدن ويحمل أكثر من ستة آلاف و ٥٠٠ شخص من بين هؤلاء فيروس كورونا. أن هذا الاستهتار بحياة البشر يعزو سببه أن الحجر الصحي على الناس من قبل الحكومة الإيرانية، يعني عليها دفع ٢ مليار دولار شهريا كرواتب ومعاشات وأجور إلى العمال والموظفين وهم جالسين في بيوتهم. فهي اي الحكومة الإيرانية غير مستعدة لذلك، بينما تنفق المليارات على جواسيسها ومليشياتها وتطوير أسلحتها وتمددها في المنطقة. فما بالك دول تنفخ في كل شهيق وزفير "حقوق الإنسان" مثل ايطاليا وفرنسا وأمريكا المعروفة بأنفاقها ترليونات من الدولارات على ميزانياتها العسكرية وتصدر سنويا أطنان من الأسلحة كجزء من ناتجها القومي إلى العالم، بينما لم تنفق ١٠٪ من عائدات أو أرباح تلك الأسلحة ولا من الإنفاق على صنع تلك الأسلحة على ميادين الصحة أو دفعت كأجور من الوهلة الأولى عند تقدم جيوش كورونا إلى مواطنيها كي يلتزموا بالحجر الصحي. في "الحرب على الإرهاب" يظهر بشكل جلي وواضح التعبير عن "التضامن العالمي" مع أمريكا أو العراق، والذي لا يتجاوز إطار تصدير الأسلحة والأجهزة التجسسية ومستشارين عسكريين وتكنولوجيا عسكرية ومنح القروض بفوائد عالية تقصم ظهر العمال والموظفين وتزيد من حرمان الطبقات المسحوقة كما حصل مع العراق بعد إعلان الحرب على داعش، بينما يظهر فيروس كورونا أن الحرب عليه لا يتم عبر الأسلحة بل بحاجة إلى الإنفاق على الصحة وتطوير الأجهزة الطبية والتعاضد العالمي عبر تبادل الخبرات والدعم الطبي.

بيد أن هذا العالم لا يقف مخدوعا أمام أسطورة تفوق الغرب وغياب المعيار الإنساني في ذلك التفوق فحسب، بل يعيش خدعة وكذبة تروج لها بعض الحمقى، إذ يعزون نجاح الصين في تجربتها بالسيطرة على فيروس كورونا إلى نظامها الدكتاتوري والشمولي. انه ترويج بشكل واعي أو غير واعي، بقصد أو بغير قصد للدعاية للأنظمة الدكتاتورية، وإعطاء الذرائع للدول في قمع الحريات وفرض الاستبداد على الجماهير، وهذه المرة ليس بعنوان الحرب على الإرهاب، بل تحت يافطة "الحرب على كورونا".

نسيم الاشتراكية وصراع الأقطاب الصاعدة:

أن دولة الصين، هي رأسمالية حد النخاع، ولا تمت بصلة إلى الشيوعية غير اسم الحزب الحاكم فيها، وتفوق اقتصادها على العالم عبر الحصول على فائض القيمة المطلق الذي يتجسد بالعمالة الرخيصة جدا وشروط عمل قاسية وحرمان العمال من حق الإضراب والتنظيم. أن الصين لم تسيطر على تلك الأوضاع اي مرض كورونا بسبب دكتاتوريتها، بل بسبب تطورها التكنولوجي ونظامها الصحي، ويعود الفضل إلى جزء كبير منه، عندما هب يوم ما وفي زمن كانت الاشتراكية موضة عالمية، نقول هب عليها نسيم الاشتراكية*. وبمحاذاة ذلك، فأن كوبا التي يفرض عليها حصاراً اقتصادياً، ظلماً من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وبسبب النزعة الإنسانية التي تضرب جذورها في المجتمع الكوبي بسبب ذلك النسيم، فهي لا تملك من موارد أن تقدمها غير إرسال الأطباء لإنقاذ الناس في ايطاليا، وهذه ليست المرة الأولى التي تقدم كوبا هذا النوع من المساعدات. ففي التسونامي الذي ضرب جنوب شرق آسيا والزلزال الذي ضرب هايتي والقضاء على المرض في فنزويلا، كان الأطباء الكوبيين في مقدمة المتطوعين لإنقاذ الناس من تلك المأساة.

أما تقديم المساعدات الطبية من قبل روسيا والصين إلى ايطاليا وصربيا وبلدان افريقية أخرى وإعلانهما بالاستعداد لتقديم مساعدات إلى دول أخرى، لا ينم إلا عن التنافس الرأسمالي ومحاولة لتفتيت الاتحاد الأوربي وفصم عراه والنيل من هيبة الولايات المتحدة الأمريكية والناتو، وتصب في مسعى لقلب النظام العالمي الموجود وبناء نظام عالمي جديد تحت قيادتهما. إنها فرصة ذهبية لرسم خارطة سياسية جديدة، وتحالفات عالمية جديدة. وأيضا يضاف عامل آخر هو مساعي جديدة وحثيثة لإنقاذ الاقتصاد الرأسمالي العالمي ، فكما تحدثنا أن الرأسمال العالمي لا ينفصم عراه، وان هلع الأسواق العالمية والبورصات ستوقف عجلة النمو الاقتصادي لتضرب أسواق الصين أولا.

التضامن ألأممي إستراتجية

في مواجهة أزمات النظام الرأسمالي:

خلاصة القول أن العالم بعد كورونا سيختلف عما كان قبل كورونا على الصعيد السياسي والفكري والاقتصادي والعلمي والاجتماعي. وإذا كانت الطبقة العاملة اليوم والأقسام الاجتماعية المحرومة فرض عليها الحجر الصحي والرعب من الفايروس بسبب التهويل الإعلامي الذي هو انعكاس بالدرجة الأولى لهلع الطبقة السياسية الحاكمة وأصحاب الشركات والمؤسسات المالية ومستقبلها الاقتصادي ومصير أرباحها، وقد انعكس هذا الهلع أيضا في إنزال الجيش في العديد من بلدان العالم مثل أمريكا والجزائر والأردن والمغرب..والذي يفسر ذلك الهلع ومحاولة لتوجيه ضربة استباقية تحسبا من اندلاع احتجاجات جماهيرية واضطرابات تدفع الجموع البشرية للخروج إلى الشوارع سواء اثر الهلع الذي تنشر في المجتمع أو إزاء تقاعس ولا أبالية الطبقة الحاكمة تجاه مجتمعاتها وتباطئها بالتحرك. نقول أن تصفية حسابها اي الطبقة العاملة و تلك الأقسام المحرومة مع هذا النظام الرأسمالي الجائر مع طبقاتها السياسية الحاكمة التي تصون وتحافظ على مصالح ذلك النظام، ستأتي حتما بعد الانتهاء من هذا الكابوس.

أن التضامن العالمي اليوم يكتسب معنى آخر، وعلينا نحن العمال والشيوعيين وكل اليسار أن نخطو خطوات جدية في هذا الميدان وإعطاء المعنى الواقعي والمادي لهذا التضامن، وان يكون جزءا محوريا في إستراتيجية عملنا. أن فيروس كورونا اثبت أن العالم أمام خيارين، إما الانعزال والانكماش وانتظار رحمة من الطبقة الرأسمالية الجشعة ودولتها التي تركن على الرف وتستخدم كآلة قمعية في زمن الثورات والانتفاضات ضد سلطتها وجورها أو لتحل أزماتها وتتدخل للسيطرة على آليات السوق مثلما حدث في أزمة ٢٠٠٨ و ما يحدث اليوم، أو أن نجعل من تلك الدولة "وبغض النظر عن محتواها الطبقي" التي تمول من استقطاعات ضريبية كبيرة من عمل العمال والموظفين ومن فائض قيمة عملهم محلا لانتزاع التنازلات لصالح الجموع المحرومة في المجتمع. أن دور التنظيمات العمالية والأقسام الاجتماعية الأخرى وأي كانت أشكالها وأينما كانت في العالم لها مكانة كبيرة في ربط الشبكات والتنظيمات والاتحادات في إطار وبرنامج واحد. لأنه اليوم وكما أثبتت تجربة تفشي انتشار مرض كورونا أن تقاعس أية حكومة محلية تجاه مواطنيها وتنصل من مسؤوليتها، فسوف لا يكون الوباء محليا بل سيعبر الحدود كما نراه وتضرب بقية المجتمعات والدول. أن التضامن والتعاضد ألأممي يكتسب اليوم أكثر من اي وقت مضى دورا حياتيا بالنسبة للمجتمع الإنساني والحفاظ على نوعه. ومن هنا يجب أن نضغط بقدر على حكوماتنا المحلية والدولة التي لها إمكانات مادية عظيمة كما رأينا كيف خصصت ترليونات من الدولارات لتعويض الشركات وأسواق المال تحمل مسؤوليتها، بنفس القدر أن نضغط عليها كي تضغط على الحكومات الأخرى مثل العراق

وإيران على سبيل المثال لا الحصر وبقية بلدان العالم كي تلعب نفس الدور وتخصص قسم من إمكانياتها لإنقاذ مواطنيها .

إن البشرية ستدرك بعد هذه التجربة ودون اي عناء أن نهاية التاريخ ليس كما قال فوكوياما وكل المأجورين هي خلود النظام الليبرالي الديمقراطي، بل أن نهاية البشرية ستحل عاجلا أو آجلا، إذا ظل هذا النظام ولم ينسف من جذوره ويبنى على إنقاذه اشتراكية ماركس والبيان الشيوعي.

دور "الدولة" المرائي في النظام الرأسمالي

الدولة هي نتاج المجتمع عند درجة معينة من تطوره؛ الدولة هي إفصاح عن واقع أن هذا المجتمع قد وقع في تناقض مع ذاته لا يمكنه حله، عن واقع أن هذا المجتمع قد انقسم إلى متضادات مستعصية هو عاجز عن الخلاص منها. ولكي لا تقوم هذه المتضادات ، هذه الطبقات ذات المصالح الاقتصادية المتنافرة، بالتهام بعضها بعضا والمجتمع في نضال عقيم، لهذا اقتضى الأمر قوة تقف في الظاهر فوق المجتمع، قوة تلطف الاصطدام وتبقيه ضمن حدود "النظام". أن هذه القوة المنبثقة من المجتمع والتي تضع نفسها، مع ذلك، فوقه وتنفصل عنه أكثر فأكثر هي الدولة.) انجلز-أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة).

هل يمكن اعتبار ألمانيا وأمريكا وفرنسا وايطاليا وبريطانيا "دول فاشلة" ؟، لتنظم إلى قائمة الدول الفاشلة مثل العراق وسورية وليبيا..الخ. ـ جاء استخدام مقولة "الدول الفاشلة" من قبل الكاتب اليساري الأمريكي نعوم تشو مسكي والتي كانت أيضا عنوان لكتاب من تأليفه ـــ والتي تعني تلك الدول التي ليس بمقدورها حماية مواطنيها. وإذا ما صحت هذه المقولة أو المنطق الذي ورائها فإن تلك الدولة تعد فاشلة بامتياز لأنها لم تحم مواطنيها من الإصابة بوباء كورونا أو من الموت الذي طال آلاف منهم.

أن تفشي وباء فيروس كورونا على الصعيد العالمي، وفشل الدول وخاصة الغربية منها بالتصدي له، وتحوله إلى أزمة عالمية تعصف بمصير البشرية، يميط اللثام من جديد عن دور "الدولة" ووظيفتها الاجتماعية والسياسية تجاه المجتمع.

أن حقانية الجماهير بالمطالبة بالعيش الكريم والرفاه، حقانية تحمل الدولة مسؤوليتها تجاه المجتمع، وهي لا تنبع من فضاءات مثالية أو من أوهام توجد في ذهن نخبة محددة من البشر مسلحين بأيديولوجية معينة. إنما هي حقانية نابعة من المعطِيات المادية والواقعية التي صنعتها البشرية من ثمار عملها المنتج وسعيها المتواصل من اجل تحقيق المساواة. وهذا ما يجب أن تعيه بالدرجة الأولى الطبقة العاملة وكل الأقسام المحرومة الملتفة حولها كي تدرك أهمية نضالها والتحول من خندقها الدفاعي إلى الهجومي. أن هذه الحقانية هي من تقوي عزيمة الطبقة العاملة وعموم البشرية التواقة للمساواة والحرية والأمان الصحي والاقتصادي والأمني من اجل مواصلة سعيها لوضع حد لتطاولات النظام الرأسمالي على مصير الإنسانية.

إن البرجوازية وبشكل ذكي وعبر مأجوريها من الأقلام، تُحَمّلَ المجتمع والجماهير المحرومة مِنَّةً، عندما تتحرك أثناء أزمة ما، وتقدم عمل ما إلى المجتمع مثل معالجة تداعيات الكوارث الطبيعية على

سبيل المثال، وان كانت ليس صورة مثالية، هذا إذا لم نقل أنها تتنصل من تلك المعالجات أصلاً، مثلما حدث في عام ٢٠٠٤ تسونامي التي ضربت دول جنوب أشرق آسيا أو المحيط الهندي أو مع إعصار كاترينا في ولاية لويزانا الأمريكية عام ٢٠٠٥ -كتاب-نعومي كلاين-عقيدة الصدمة- ، علما أن الخدمات التي تقدمها البرجوازية عبر دولتها هي خدمات الدفع المسبق مثل كارتات الدفع المسبق لخطوط الموبايلات أو الهواتف الجوالة. اي أن إمكانات الدولة وجهازها البيروقراطي والخدمات التي تقدمها، تمول مرتين من قبل الطبقة العاملة والأقسام الأخرى في المجتمع، مرة عن طريق فائض قيمة عمل العمال ومرة من الضرائب المستحصلة من جميع أقسام المجتمع التي تشمل العمال أيضا. والأدهى من كل ذلك أن المجتمع يدفع بشكل إجباري معاشات جهاز قمعه عند اندلاع أية حركة احتجاجية ضد قرارات الغبن التي ترتكب بحقه.

أن موضوعة انتشار مرض كورونا هو مظهر من مظاهر أزمات النظام الرأسمالي العالمي، وبوجوده طُرِحت من جديد ملفات وقضايا وأعيد فتحها ، بعد أن وضعت جانبا بشكل مقصود لردح من الزمن، من قبل مفكري ومفسري واقتصادي النظام الرأسمالي، الذين كانوا يعتقدون بأنها أصبحت من القضايا المسلمة بها، مثل"وظيفة الدولة" و"الاقتصاد الحر" و"شرعية وجود النظام الرأسمالي" و"الديمقراطية" ومفاهيم "حقوق الإنسان" و"الحمائية" و"الفرد".. وأنهم قد تخلصوا من صداع الرأس في خضم الصراع بينهم وبين المدافعين عن عالم أفضل، عالم المساواة، عالم يمكن أن يعيش فيه الإنسان بعيداً عن الاستغلال والاغتراب بكل ما تعنيه هذه الكلمة، عالم يتمتع فيه الإنسان بنتاج عمله ويمارس ما يختاره وبما يتطابق مع ميوله الفكرية والعاطفية ويشبع حاجاته المادية كما يعلمنا ماركس.

وهنا نرى أنه كلما هزت النظام الرأسمالي أزمة ما، أعيد فتح تلك المواضيع لتقض مضاجعهم وتجعلهم يعيدون حساباتهم السياسية من أجل ترتيب أوراقهم الفكرية وتغيير كلمات السر مثلما يتم تغيير كلمات سر الكمبيوترات وشبكات التواصل الاجتماعي والايميلات الشخصية تحسبا من الطفيليين الخارجيين، كل تلك المساعي من اجل الحفاظ على سكون المجتمع والحيلولة دون التحرك الجماهيري لهتك كل المسلمات التي وقفت عائقا فكريا وسياسيا أمام التغيير الجذري.

اليوم تطرح من جديد موضوعة دور "الدولة" كما طرحت في الأزمة الاقتصادية التي عصفت بالنظام الرأسمالي العالم عام ٢٠٠٨. ويلاحظ أن هناك نظريتين مهمتين بالنسبة لاقتصاديّ النظام الرأسمالي، وهما المدرسة الكينزية التي توصي بإفساح المجال لتدخل الدولة في إدارة الاقتصاد والعمل على الإنفاق العام كي يكون بالنتيجة دعم القطاع الخاص والسيطرة على الأزمات الدورية التي تعصف بالنظام الرأسمالي، والنظرية الثانية التي سميت بالكلاسيكية والتي أساسها ادم سمث واعتمدت عليها مدرسة شيكاغو التي شرعت بوضع الأسس لليبرالية الجديدة، ومفادها تجريد الدولة من كل مسؤولياتها تجاه المجتمع على صعيد الصحة والخدمات والتعليم. والمفارقة أن مساعي كل منظري الفكر الاقتصادي والسياسي البرجوازي كانت تصب في إنقاذ النظام الرأسمالي من أزماته والحيلولة دون انفجار التناقضات الطبقية فيه.

وبغض النظر عن المحتوى الطبقي للدولة وماهيتها، فأن الدولة وفي مراحل تاريخية من تطور النظام الرأسمالي العالمي، أخذت تلعب ادوار مختلفة لتنظيم المجتمع والسيطرة على التناقضات الناجمة في نفس النظام المذكور. ويصور مفكري البرجوازية بأن الدولة كما يقول لنا انجلز أنها فوق المجتمع

ومحايدة وتلعب دور الوسيط والمنظم للمجتمع. وعلى الرغم من أن هذا التعريف بدور الدولة يعد مغرضاً ومخادعاً، إلا أن إثباته للمجتمع ليس سهلا في الأوضاع الطبيعية، أي أوضاع السكون أو الرخاء الاقتصادي أو الاستقرار السياسي. فالدولة كانت دائماً وأبداً أداة لصالح الطبقة المسيطرة اقتصاديا، وفي عالمنا المعاصر، هذه الطبقة هي البرجوازية التي سنرى لاحقاً كيف تحرك آلة الدولة لمصالحها وحسب الأزمات التي تعصف بالنظام الرأسمالي. وتظهر الدولة التي تمتص جزء كبير من الميزانيات الحكومية، تارة بأنها تعمل لصالح المواطن حسب توازن القوى وصراع الطبقات في المجتمع، وتارة أخرى تكشر عن أنيابها وتغرسها في كل من يتطاول على الإجراءات المؤلمة التي تقوم بها البرجوازية مثلما حدث في عقد الثمانينات والتسعينات من القرن المنصرم في تشيلي والبرازيل واندونيسيا والصين والفلبين وجنوب إفريقيا وروسيا وبولندا والأرجنتين...الخ عبر فرض السياسة الاقتصادية لليبرالية الجديدة أو الاقتصاد الحر وتحرير الأسواق وتنصل الدولة من جميع مسؤولياتها في المجتمع كما يحدث اليوم في العراق، وقد سلطت الكاتبة الكندية نعومي كلاين الضوء على تجارب البلدان آنفة الذكر بشكل واضح في كتابها "عقيدة الصدمة".

اليوم يظهر دور الدولة بشكل متردد بالتصدي لازمة كورونا في جميع بلدان العالم. فالدولة كجهاز فرض الإذعان والخضوع عبر مؤسساتها القمعية مثل الجيش والشرطة والقضاء أو عبر مؤسساتها التشريعية والسياسية هي الوحيدة القادرة على الرد على أية أزمة تعصف بالمجتمع البشري. ولكن لم تكن "الدولة" محايدة يوما ما، فهي اليوم تظهر وبانحياز كامل لصالح البرجوازية وإنقاذ نظامها الاقتصادي على حساب الجموع الغفيرة من البشرية التي يقتنصهم فيروس كورونا.

في العدد الجديد من مجلة "لانست" الطبية البريطانية وهي من أكثر الإصدارات الطبية رقياً في بريطانيا، انتقدت افتتاحيتها دور الحكومة البريطانية بالتصدي لمرض كورونا، واتهمتها بالتقصير والتنصل من المسؤولية، وأنها هي سبب انتشار الفيروس في بريطانيا، مما أغضب الحكومة البريطانية ورفضت ما جاء فيها. أما في الولايات المتحدة الأمريكية فإن إدارة ترامب تعيش في تخبط واضح فهي تضع عين على الاقتصاد والحفاظ عليه من الركود وأخرى على التصدي للوباء عبر الحجر الصحي الذي ينتشر في المدن الأمريكية كنار في الهشيم خوفا من الانتقادات وخسارته في الانتخابات الرئاسية في نهاية هذا العام، حتى عبر عنه كاتب روسي في مقال نشره على موقع "روسيا اليوم" تحت عنوان ":كورونا سيطيح بالترامبية". والأكثر سخرة من كل ذلك، هو طلب رئيس وزراء الهند، الصفح من الفقراء بسبب الحجر الصحي الذي يمنعهم من الذهاب إلى أعمالهم للحصول على رغيف خبز يشفي آلام بطونهم الخاوية، في حين تعد الهند دولة نووية ومن ضمن البلدان الصناعية العشرين في العالم .G20فلو كان "الصفح" الذي يطلبه رئيس الوزراء يصرف في اي بنك لما بذخه على فقراء الهند!!

في مواجهة مرض كورونا اليوم في العالم، وإذا ما عدنا لعقد الاجتماع الافتراضي (Virtual)كما سموها لدول الصناعية الكبرى العشرين "G20"في 26/3/2020، قررت حكومات تلك الدول ضخ خمسة تريليون دولار إلى الاقتصاد العالمي عبر دعم اقتصادياتها وتوسيع صلاحيات منظمة الصحة العالمية ودعم صناعة المعدات الطبية والأدوية. وكل تلك القرارات التي صدرت من تلك الحكومات هي من اجل الحيلولة دون شل الاقتصاد. هذه القرارات تكشف عن مسالة واحدة فقط أن الدولة تتدخل فقط عندما يتعرض النظام الرأسمالي إلى أزمة عنيفة. ولو لا هذه الأزمة فإن الحديث عن الأدوية والمعدات الطبية لن يخطر في بال الحكومات ما دام لن يؤثر لا سلبا ولا إيجابا على عجلة الاقتصاد.

فخذ مثلا معدل الوفيات بسبب مرض السرطان لعام ٢٠١٨ بلغ٦,٩ مليون شخص حول العالم وان نسبة ٧٠٪ منها في الدول النامية أو الفقيرة حسب إحصائيات الاتحاد الدولي للسرطان. ومن الجدير بالذكر أن أجهزة الكشف المبكر والتغذية ونمط الحياة كلها تساعد بشكل كبير في تقليل النسبة المذكورة ولكن تفتقر إليها البلدان الفقيرة ، ولا تكترث لا الحكومات لها ولا الدول التي قررت بضخ خمسة تريليون دولار إلى اقتصادياتها. والسبب بكل بساطة يعود، أن مرض السرطان لا يبث الرعب في الأسواق المالية وان الدولة غير مستعدة في تمويل أبحاث مرض السرطان مثلما يحدث اليوم تجاه فيروس كورونا.

النظام الرأسمالي وأفول دولة الرفاه :

أن دولة الرفاه هي نتاج تنازل البرجوازية عن جزء من معدل ربحها لصالح الطبقة العاملة وعموم المجتمع من اجل السيطرة على التناقضات في النظام الرأسمالي. وهي قبل ذلك حصيلة نضالات الطبقة العاملة في نهاية القرن التاسع عشر والقرن العشرين ومكتسبات ثورة أكتوبر الاشتراكية التي ألهمت العالم. وساهمت أيضا في نشوء دولة الرفاه الأزمات الاقتصادية المتتالية التي كانت تعصف بالنظام الرأسمالي و كانت أشهرها أزمة ١٩٢٩ التي أدت بعد سنوات إلى نشوب حرب عالمية ثانية قتل فيها أكثر من ٦٠ مليون شخص. فدولة الرفاه تعني الإنفاق العام للدولة على الخدمات والتربية والتعليم والصحة وتعني ضمان التقاعد والضمان الاجتماعي. ولكن استمرار دولة الرفاه من عدم استمرارها، يعد نتاج مرحلة معينة من تطور الرأسمالي ومستوى التناقضات الطبقية ومنحني الصراع الطبقي في النظام الرأسمالي. ففي ظل التطور الرأسمالي العالمي واشتداد المنافسة بين الدول الرأسمالية على الأسواق تلتهم الأزمات الاقتصادية الدورية جزء كبيرا من ميل معدل أرباح الشركات والمؤسسات، ولذلك تحاول أن تعوضها من معدل ربحها الذي قدمتها للدولة في مرحلة ما واستردادها عبر الاستحواذ على القطاعات الحكومية الصناعية وتقليل الإنفاق على الخدمات وخصخصة التعليم والصحة... فنجد أن تقويض دولة الرفاه يوما بعد يوم هو انعكاس موضوعي لذلك المسار.

أن حركة "احتلوا وول ستريت" عام ٢٠١١ والتي اجتاحت ١٥٠٠ مدينة في العالم بينها ١٠٠ مدينة أمريكية وتبنت شعار (نحن ٩٩٪)اي أن ١٪ يملكون ثروات العالم بينما النسبة العظيمة الأخرى من سكان العالم لا تملك شيئا، كانت هي رد على الهجمة الشرسة التي شنتها البرجوازية على كل مكتسبات المجتمع، التي حصلت عليها طوال أكثر من قرن ونصف من نضال الحركات الداعية للمساواة، وتنصل الدولة من جميع مسؤولياتها في المجتمع عبر تطبيق نظرية مدرسة شيكاغو وهي الليبرالية الجديدة. أن معضلة استمرار دولة الرفاه التي عرفت في البلدان الغربية تكمن بعدم قدرتها على التنافس في ظل السباق العالمي في إطار التطور الرأسمالي. وحتى "الحلم الأمريكي" الذي يعني أن ارض الولايات المتحدة الأمريكية هي ارض الفرص، أصبح في خبر كان، وأصبحت أوضاع الطبقة العاملة أكثر بؤسا وان معدل الأجور بالنسبة للأسعار ومستوى المعيشة بانخفاض مطرد كما يشير إليها بشكل دقيق رفيقي الكاتب (توما حميد) في بحثه المنشور في "الحوار المتمدن- انتخاب دونالد ترامب، الأمنيات والحقائق! الجزء الأول". ويكفي أن نذكر أن إصابة اي شخص بمرض بسيط يجعله بحاجة إلى كشف طبي عادي وتحليل دم بسيط فأن تكاليف ذلك تعادل أجور عامل يعمل مدة ٤٠ ساعة أسبوعيا على الأقل في بلد من مثل الولايات المتحدة الأمريكية. هذا يضاف إليه انه يدفع شهريا جزء من أجوره إلى شركات التامين الصحية التي تغطي تكاليف العلاج والكشف الصحي والتحليل بنسبة ٨٠٪. وهذا يعتبر واحدة من الأسباب التي أدت إلى تفشي انتشار مرض كورونا في

الولايات المتحدة الأمريكية بسرعة مذهلة لتحتل المرتبة الأولى في العالم وتحل محل الصين بعد اقل من شهر من اعتراف الإدارة الأمريكية بوجوده واتخاذ الإجراءات حوله. إذ أن تكاليف التحليل والكشف تعد مكلفة جداً، مما يمنع مراجعة المشتبه به بالإصابة بكورونا من الذهاب إلى الفحص الطبي.

ويفسر الصراع الأمريكي- الصيني وإعادة سياسة فرض الحمائية والرسوم الكمركية على السلع الصينية وحتى الأوربية والكندية والمكسيكية وتعديل العديد من بنود الاتفاقيات مثل (اتفاقية نافتا)، بأنه يأتي في إطار فقدان قدرة أمريكا على المنافسة الاقتصادية العالمية. ونفس الشيء بالنسبة للاتحاد الأوربي الذي يعاني مأزق البقاء في إطاره السياسي والاقتصادي الموحد. وقد جاء بريكست ليوجه ضربة موجعة للاتحاد بانسحاب بريطانيا، ثم ليأتي مرض كورونا ليضع اللبنات الأولى لتفتيت هذا الإطار (الاتحاد الأوربي)

أن البلدان التي عرفت بوجود "دولة الرفاه" فيها بدأت تسدل الستار على "الرفاه"، والسبب يعود كما يقول لنا ماركس من جديد أن معدل الربح في النظام الرأسمالي ينخفض بشكل مضطرد، وهذا المعدل يحصل عليه من فائض القيمة التي ينتجه العامل، إذ يبدأ الرأسمال بالتدفق في كل أزمة تعصف بالنظام الرأسمالي، على الرأسمال الثابت مثل التطور التكنولوجي والآلات كي تضمن قدرتها التنافسية وتنتج بضاعة رخيصة ذات جودة أفضل وبأسعار ارخص. ففي البلدان التي عرفت بدول الرفاه، فقدت هذه الخصائص ولذلك نجد أن الرأسمال هرب إلى البلدان ذات العمالة الرخيصة كي تضمن معدل ربح عالي مثل الصين وفيتنام وكمبوديا وبنغلاديش والهند والمكسيك والبرازيل..ويفيد احدث تقرير صادر عن مؤسسة "برايس ووتر هاوس كويزر" ونشره موقع بي بي سي، أن الدول المذكورة ستتصدر اقتصاديات العالم في عام ٢٠٥٠ وتزيح كل من الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا واليابان وبريطانيا من مواقعها إلى أسفل السلم في مجموعة G20 .

وهكذا يمكن وبكل بساطة أن نصل إلى سبب تصاعد في نسبة الوفيات في ايطاليا وفرنسا واسبانيا، فرأس المال لن يجد أية فرصة في الاستثمار في القطاع الصحي، وخاصة أن الدولة غير مسؤولة في الإنفاق بشكل مطلق على المسنين وتغطية جميع حاجتهم الصحية، وان الآلاف من الذين أنفقوا حياتهم في العمل المضني في تلك الدول وتجاوزوا السن التقاعدي في أعمارهم، فبدلاً من قضاء ما تبقى لهم من حياة بهدوء والتمتع بثمار عملهم ونتاجه طوال ٣-٤ عقود من العمل، نجدهم يلقون حتفهم تباعا وبالمئات، ويدفنون بعيدا دون أن ترتب لهم حتى جنازة لائقة إكراما لذكرى السنوات التي عاشوها في أحضان محبيهم. وهذا هو الوجه الآخر للنظام الرأسمالي، فيستثمر الإنسان خلال فترات شبابه وعنفوانه الجسدي، وعندما يكبر بالعمر وينتهك قواه يحول إلى السن التقاعدي يتم التخلص منه، إذ يعتبر من الناحية العملية والمعطيات الواقعية التي أثبته مرض كورونا، في فلسفة هذا النظام أن المسن شخص عقيم وغير منتج وأصبح فاقد الصلاحية، فيجب التخلص منه. اي بعبارة أخرى أن مرض كورونا في جانبه الآخر هو (نعمة) للنظام الرأسمالي حيث يخلصه من هذا العدد الكبير من المسنين الذين كان يوم ما تأتي ثمار عملهم أوكلها.

وبعكس ما تحاول البرجوازية وممثليها السياسيين في الطبقة الحاكمة إخفائها عن سر تنصلها من مسؤوليتها تجاه المجتمع، تحاول تبرير جشعها وفشلها وعدم أهليتها لإدارة المجتمع بإلقاء اللوم تارة على أن الفيروس صيني وهي من اخفت المعلومات عنه، وأخرى أن انتشار الوباء أكثر من طاقتها

الاستيعابية وقد فاجأتها، ومرة أن الفيروس ينال من كبار السن بسبب ضعف مناعتهم وأمراضهم المزمنة أو أمراض الشيخوخة، أو الترويج إلى نظريات المؤامرة مثل ما يقول به الخامنئي وترامب....الخ من ترهات. ولكن مثلما توظف نفس تلك الدول استثمارات في مجال الدفاع وابتكرت أعظم التكنولوجيا العسكرية والتجسسية وفي مجال الفضاء لضمان تفوقها العسكري والحربي التي تقدر ١ تريليون و ٨ ٨٥ مليار دولار حسب معهد السلام العالمي في ستوكهولم- اي ما يقارب ٢ تريليون دولار، من اجل فرض هيمنتها الاقتصادية على الدول المنافسة لها، فإنها لو وظفت جزء من تلك الأموال في ميدان الصحة لما توسع انتشار المرض بهذه المساحة ولما ازداد الوفيات في صفوف حتى كبار السن بهذا العدد الكبير.

ما نستشف منه وقد كشفه لنا مرض كورونا أن البرجوازية سخرت الدولة وإمكاناتها عندما وجدت أن تفشي هذا الوباء بات يهدد بوقف عجلة الاقتصاد العالمي، وأخرجت ما في جعبتها من الأموال المكدسة والمنهوبة من جيوب الجماهير على شكل ضرائب وعلى شكل فائض القيمة التي ينتجها العمال لترميم اقتصادها، وفضح أيضا (اي كورونا) دولة الرفاه وبأنه لم يبق منها إلا الدولة دون رفاه، اي دولة تبخر منها الرفاه.

لقد أمست اليوم الدولة في كل مكان من العالم، ليس إلا جهاز يتضخم من جيش من الموظفين البيروقراطيين الطفيليين الذين سماهم لينين بالدواوينية، وجهاز قمعي يقدر بمئات الألوف من عناصر الشرطة والجيش والمخابرات، وتستهلك على الأقل ٢٠٪ من الموازنات الحكومية التي اجتاحتها فيروس كورونا (أكثر من ٥٠٪ من الموازنة الاتحادية تذهب للقوات المسلحة الأمريكية وحيث تبلغ ٧٢٨ مليار دولار لعام ٢٠٢٠ في موازنة تبلغ ١ تريليون و٤٠٠ مليار دولار). فعندما يحدث وخلال الأزمات الاقتصادية للنظام الرأسمالي من هروب الرأسمال من الميادين غير المربحة، فإنه يستثنى جهاز الدولة البيروقراطي الذي هو عالة حقيقية على المجتمع، مع استقطاع كل الخدمات التي يقدمها. وان جزء لتمويل ذلك الجهاز الذي سمي بالدولة، يكون من عمل سنوات وسنوات لأولئك المسنين الذي قضي نحبهم بفيروس كورونا، على الرغم أن هذا الجهاز غير منتج، إلا انه ينظم سيطرة الطبقة الطفيلية على المنتجين الحقيقيين. وهنا تجدر الإشارة إلى أن الدولة الحديثة في النظام الرأسمالي تنفذ بند واحد من بنود النظرية الكنزية وهي تدخلها لإنقاذ علاقات الإنتاج الرأسمالية، بينما في الشطر الثاني تنفذ نظرية سياسة الليبرالية الجديدة، التي تعني أن يواجه البشر مصيرهم بأنفسهم، كما جاءت في التصريحات الوقحة لبوريس جونسون رئيس الوزراء البريطاني الحالي في تعليقه على تفشي وباء كورونا "بمناعة القطيع".

أن الاستنتاجات النهائية لنا في هذا الموضوع، حول دور "الدولة" المرائي، لا يصب في خانة التحليل السياسي الذي دأب المثقفين البرجوازيين من الجعجعة حوله، بل من اجل تسليح الجماهير بوعي حول الدولة ومسؤوليتها في النظام الرأسمالي، وكي يتحول ذلك الوعي إلى سلاح نضالي بعيد عن نظريات المؤامرة التي هي بالنتيجة تصب في صالح البرجوازية ودولتها التي تبرر تنصلها من مسؤوليتها تجاه المجتمع. اي بمعنى أخرى أن تسليط الضوء على الدولة ودورها المرائي اليوم من قبلنا نحن الشيوعيين، هو من اجل رفع الوعي السياسي في صفوف الطبقة العاملة والأقسام المحرومة من المجتمع ، التي كانت مبهمة لدى الجماهير، وموضوع لتطبيل البرجوازية والدفاع عنها وتقديسها وتصويرها بالعادلة والمحايدة وفوق الجميع، في حين وفي عالمنا المعاصر لم تقم الدولة بأي دور سوى أنها كانت آلة للقمع الاحتجاجات والاعتراضات الجماهيرية من اجل الحرية والمساواة، أو في

أفضل الأحوال تنفق ما ادخرتها من الجماهير على شكل استقطاعات ضريبية وفائض قيمة عملها على إنقاذ شركات ومؤسسات البرجوازية من أزماتها وإفلاسها.

ولقد بينت المعطيات المادية وفقط الإشارة إلى قرارات G20فأن الدولة قادرة على إنقاذ المجتمع، وكانت قد تدخلت في الأزمة ٢٠٠٨ من إنقاذ شركاتها الكبرى عن طريق ضخ الترليونات من الدولار إلى أسواقها.

وأخيرا أن مرض كورونا وبعكس حروب البرجوازية التوسعية والعدوانية، قد جردها من سلاحها السياسي والدعائي والاجتماعي الصدأ من الترهات القومية والطائفية والدينية والعرقية لإخفاء طابعها الطبقي وإطماعها وجشعها، ولأول مرة في الحرب الحديثة تسير الدولة في كل مكان من العالم دون هوية ومجردة من تلك الترهات المذكورة، بل أصبحت عارية ومفضوحة وكشف عن قبحها ودورها المعادي للغريزة الإنسانية، فالحرب على كورونا لا تحتاج إلى إيديولوجيات ممسوخة تجرد البشر من إنسانيتها، وهذا ما لم تكن في حسبان كل مفكري واقتصادي وسياسي النظام الرأسمالي، بل تحتاج إلى نظام اقتصادي وسياسي واجتماعي آخر، نظام يكون فيه العلم في خدمة الإنسان، والإنسان قيمة عليا وأثمن رأسمال كما يقول لنا ماركس.

* استخدمه مؤسس الشيوعية العمالية منصور حكمت في وصفه للحصار الأمريكي على كوبا.

"كبار السن" و فاشية "البقاء للاصغر سناً"!

فارس محمود

كشف هذا الفيروس قيح عالم الراسمال باجلى الاشكال لا على صعيد تلك البلدان "العالم ثالثية"، بل في قلب اوربا وامريكا ومايسمى بالعالم المتقدم.

بلغ هذا العالم حدا من التردي لم يكن ليتصورها احد لحد الامس القريب. حيث بعد كل المكاسب التي حققتها البشرية بنضالاتها من اجل علو المكانة الانسانية والرقي الانساني، تعاد "المالثوسية" اليوم بابشع الاشكال. اصبح "كبار السن" "عالة" على المجتمع، وينبغي ان يتحولوا الى "اول من يضحى بهم؟!"

اثبت هذا وللجميع ان العالم الرأسمالي عديم الضمير فعلاً. وبطروحاته الفاشية، أكد للمرة المليون انه نظام متهريء ومنخور وعديم الصلاحية. بعد عقود مديدة من الكد والكدح، من التعب، من "افناء زهرة شبابهم" في خدمة هذا العالم، يرد على "كبار السن" بهذا الشكل؟! اصبحوا هم اول من ينبغي التضحية به! يقولون لهم انقضى عمركم، فقط "عامين اقل او اكثر لايهم او لايفرق كثيرا!" يقولون لهم لقد انتهت منفعتكم وفائدتكم في الحياة، فائدتكم مرتبطة فقط وفقط بانتاج الربح لنا، نحن الرأسماليين، وفي اليوم الذي تكفون فيه عن ذلك، تكفون فيه عن الفائدة وعن ضرورة البقاء!

الادهى من هذا، شرع "اختصاصيو معاداة الانسان والانسانية" من اقتصاديين وخبراء، وفي ايديهم حاسباتهم الالكترونية، يحسبون كلفة "الكبير في السن" على "الدولة" ويحسبونها بعملية ضرب رياضيا في 12 شهرا ثم يصرخون انهم يكلفوننا كذا مليار سنوياً!! علما ان هؤلاء المسنين كانوا قد دفعوا هذه "الكلف" اساسا من عملهم على امتداد سني شقائهم في ضرائب شهرية للضمان الاجتماعي لسني العجز والشيخوخة والمرض!! فليس لاحد اي فضل عليهم. بل ودفع "كبير السن" تكاليف جنازته وقبره مقدما من ضريبة عقود من العمل الشاق والمضني!!

"كبار السن" و فاشية "البقاء للاصغر سناً"!

انهم ينعتون هؤلاء المسنين بانهم "عالة على المجتمع"! ولكن لو تأملنا الامر و توخينا الانصاف، سنرى ان "العالة" الحقيقيين على المجتمع، ليس هؤلاء الذين افنوا زهرة شبابهم في "تراكم ارباح الراسمال"، في خلق وتربية وتنشئة واعالة جيل جديد من عبيد العمل الماجور، من "خدم الراسمال والربحية"، بل اؤلئك الطفيليون الذين يعومون في بحار من الثروات دون ان تصب على جبينهم قطرة عرق في حياتهمن اؤلئك الذين تتعاظم ارباحهم وهم نيام او ينعمون في ترف في اماكن استجمام وسياحة.

ان هذا المنطق هو محور منطق الفاشية. قام به هتلر من قبل بنظرياته حول "المانية القوية، التي لامكان فيها للمرضى والمعاقين!". ويشهد التاريخ على توجه هتلر هذا ابان الحرب العالمية الثانية، اذ قتلوا المرضى بسبب ان لا فائدة منهم في الحرب، لايستطيعون القتال! هذه الفاشية التي يمكن ان تشتق منها فاشيات باشكال ومبررات اخرى. التضحية بالاجانب لانهم "ليسوا اهل البلد الاصليين"، التضحية بالسود، التضحية بالنساء لانهن "بدنياً اضعف من الرجل"، التضحية بالمسلمين، المسيح، اليهود، السنة، الشيعة و... اي دين وعرق اخر بحجة انهم من "تصنيف" اخر، او "اقلية"، وهم اولى بالتضحية بهم!

بالنسبة للبشرية المتمدنة الانسان هو انسان بغض النظر عن اي تصنيفات اخرى، وهو الاساس. ان النظرة العنصرية المعادية لحقيقة وهوية الانسان الانسانية هي التي تقسم وتصنف البشر الى اقسام واصناف هي الان التي تملك القرار على من بوسعه ان يبقى ومن ينبغي عليه الرحيل!

البشر متساوون بدون اي قيد او شرط. ان حق الحياة هو حق لاجدال فيه. لا صلة له بسن وعمر، لاربط له بصحة الانسان او باي شيء اخر. حتى لو بقيت من عمر الانسان دقيقة واحدة ، فهذه الدقيقة ذات احترام.

انه لجرم ان تقرر من يعيش ومن لا يعيش. ليست مهمتهم ان يحددوا ذلك. ان مهمتهم ان يصونوا حياة الناس الاحياء جميعا ابان المصائب، وفي هذا الوباء ان يوفروا كل المستلزمات التي تحمي حياة البشر. هذه هي مهمتهم. من اين اتوا بهذا الحق ليقرروا على امر بديهي ومسلم به للبشر؟! اثمة امر اكثر اشمئزازاً من ان يقف الساسة البرجوازيين ويصرحون بصلافة: اننا نغط في ازمة، ولهذا يجب ان نضحي بهذا القسم من البشر لاجل ذلك القسم؟!! و مع هذا يبقون في السلطة، ويحكمون! بوسع المجرمون والقتلة الموغلين بالاستهتار واللامسؤولية فقط ان ينطقوا بهذا! ان دلل هذا على شيء فهو على عدم اهليتهم واهلية نظامهم بالاساس. ولا اتحدث هنا عن السياسات الفاشية "غير المعلنة" و"المغطاة" والتي تمرر من تحت الطاولة بهذا الخصوص.

ان هذا التوجه هو قتل وقتل عمد. انها لمسؤولية الدولة ان توفر الاجواء اللازمة لصيانة حياة الجميع، وتوظف كل الامكانات من اجل عبور هذه الازمة باقل مايمكن من الخسائر.

هل هذا صعب التحقيق، و امر بعيد المنال؟! من المؤكد ان الجواب لا. لماذا توجد اسلحة تكفي لالف حرب وحروب طويلة الامد، وترسانات السلاح تتعاظم وتتعاظم، ولكنهم "عاجزين" عن توفير ابسط ادوات الوقاية من كمامات، ومعقمات والخ؟! انها اولويات النظام الرأسمالي المتناقضة مع اولويات مليارات البشر. تلك تجلب ارباح خرافية، وهذه تقلل من نسب الارباح! ليس حاجات الناس اولويتها!

المجتمع طبقي، و كل ظاهرة فيه طبقية. والدولة هي دولة طبقة، لصيانة مصالح طبقة، الرأسماليين، والتي مصالحها متضادة مع الطبقة العاملة والاغلبية الساحقة للمجتمع البشري. ان معادلة الاختيار مابين الاقتصاد و"كبار السن"، هي معادلة خاطئة من الاساس. ان الاقتصاد الذي لايصون حياة "كبار السن" ليس باقتصاد، انه اقتصاد غارق في دماء البشرية والخزي والبشاعة، اقتصاد لايليق بالانسان. ينبغي تغييره فوراً، وارساء اقتصاد جديد على اساس الانسان، و حاجات الانسان ولا شيء غيره. اقتصاد اشتراكي لا غير.

مهام الشيوعيين

في مواجهة فيروس كورونا

توما حميد

يجب علي الشيوعيين ان يكونوا قادة في مواجهة فيروس كورونا والازمة الشاملة التي حلت على البشرية بسبب الفشل الذريع للنظام الرأسمالي. يجب ان لانقلل من اهمية توعية الجماهير حول خطورة الفيروس وما يجب القيام به من اجل الوقاية من الفيروس. من المهم ان لا نفترض بان الجماهير تفهم الخطر الذي يشكله هذا الفيروس واحتمال انهيار الكثير من جوانب حياة المجتمع. يجب ان لانشارك اليمين باي شكل من الاشكال في نشر العبثية في المجتع بل يجب ان نواجه اليمين بحزم اكبر من اي وقت مضى. ليس هناك شك بان هذا الفيروس خطير للغاية قد يؤدي بحياة مئات الالاف من البشر اذا لم يتم اتخاذ اجرأت صارمة للحجر الصحي ومنع التجمع على المستوى العالمي.

العزل الصحي والتباعد المكاني بين الاشخاص هي الوسيلة الوحيدة للحد من انتشار هذا المرض. ليس الشباب وصغار العمر بمنأى من هذا الفيروس وان كان اكثر خطورة بالنسبة لكبار السن والذين لهم مشاكل صحية. يجب ان لانكون وسيلة لنشر المرض، لان عدم الالتزام يؤدي الى وضع حياة الاخرين في خطر.الالتزام بالتعليمات الصادرة عن السلطات الصحية وليس لاي جهة غير موثوقة هو امر مهم للغاية. يجب ان تبقى منظمة الصحة العالمية مصدر مهم للمعلومات. الحصيلة النهائية لهذا الوباء سوف تعتمد بشكل كبير على الاجراءات الفعالة التي تتخذ بشكل سريع والتزام الافراد بالتعليمات والارشادات. يجب الدعوة الى القيام بكل ما بامكاننا القيام به وباسرع وقت وفي دفعة واحدة اذ ان مشكلة اساسية تواجه الكثير من المجتمعات هو قيام الحكومات باجراءات جزئية غير حاسمة وغير سريعة. يجب عدم اضاعة اي وقت في السيطرة على الفيروس لان الوقت هو حاسم في مواجهة هذه الكارثة.

علينا عدم الترويج لاي علاج زائف و اي ادعاء ليس له سند علمي في مجال علاج هذا المرض بل

محاربة هذه الامور بقوة. من المهم جدا الاستماع الى المختصين والجهات الموثوقة فقط حول هذا الموضوع.

من جهة اخرى، بنظري من المهم جدا عدم الترويج لنظريات المؤامرة. في هذه الظروف يجب ان لا ننساق ونروج لاي افكار واخبار ليس لها دليل. لحد الان ليس هناك اي دليل يسند اي من النظريات التي يتم الترويج لها حول دور الحكومات واجهزتها في نشر هذا الفيروس. لم تعترف اي جهة لها مصداقية باي من هذه الروايات. رغم ان الكثير من الادعاءات قد تبدوا معقولة ظاهريا الا انها تبقى هي نظريات مؤامرة بدون دليل. نحن كشيوعين نؤمن بالعلم والبراهين والادلة، لذا يجب ان لانروج لاي شيئ لم يتم اثباته بشكل قطعي.

شان هذه النظريات تزيد من النزعات الرجعية والعنصرية في المجتمع وهي بذلك سوف تخدم اليمين. لننظر الى ردود وافكار القادة اليمينين مثل دونالد ترامب وبوريس جونسون وجائيير بولسنارو وخامنئي و خاصة في بداية ظهور الفيروس لنعرف كيف يستفاد اليمين من مثل تلك الافكار. سخر ترامب من خطورة الفيروس ووصفه بمؤامرة من قبل الديمقراطيين من اجل تقليص فرصته في الفوز بالانتخابات المقبلة. لحد الان يصف ترامب الفيروس بالفيروس الصيني .وباء انفلونزا الاسبانية لعام 1918 مثلا بدأ في كنساس- امريكا ولكن ما من احد يلوم امريكا على هذا الوباء. لقد سمي بالانفلونزا الاسبانية لانه قتل عدد كبير من الاسبانيين. يفيد فيروس كورونا، مثله مثل المهاجرين والاجانب البرجوازية وخاصة اليمين بالقاء اللوم على اي شيء يوجه الانظار عن مسؤولية النظام الرأسمالي نفسه.

من جهة اخرى، نظريات المؤامرة تساعد الحكومات على التخلي عن مسؤليتها وايران هي مثال جيد عن طريق القاء اللوم في فشلها على طرف اخر.

اكثر نظريات المؤامرة رواجا هي ان الجيش الامريكي قد نشر الفيروس لتحطيم الاقتصاد الصيني. الا ان اي شخص له ذرة اطلاع على الفيروس ودرجة العولمة ومقدار الحركة بين الدول سيعرف بان الفيروس الذي ينشر في ووهان الصينية سوف ينتقل الى نيويورك مثلا بعد ساعات. كما ان الطريقة التي تصرفت بها السلطات الامريكية وعدم التهيئة لهذا الوباء يستبعد اي دور لامريكا فيه. كما ان تاثير الفيروس على الاقتصاد الامريكي و مستقبل المجتمع الامريكي ومكانة امريكا العالمية قد يكون اكبر بمرات من تأثيره على الصين. في الحقيقة الفيروس يشكل خطر على مستقبل الرأسمالية كنظام والطبقة الحاكمة تعي هذه الحقيقة جيدا.

من جهة اخرى تبث نظريات المؤامرة العبثية بين الجماهير. تسود قناعة بين الجماهير بانة اذا كان الجيش الامريكي وراء الفيروس سيكون الدفاع عن انفسنا امرأ مستحيلا وحتى اذا تمكنا من احتواء هذا الفيروس، كيف نضمن ان لا يلجأ الجيش الامريكي الى نشر فيروس اكثر خطورة؟ في الحقيقة الشعوب التي قبلت الرواية الرسمية و التزمت بالتوصيات الرسمية مثل الصين وتايوان وكوريا الجنوبية وسنغافورة قد حققت نجاحا اكبر لحد الان في السيطرة على الفيروس. ليس للشيوعيين اي مصلحة في تحويل كل هذه الازمة الى مشكلة متعلقة بالجيش الامريكي او ربطها بالصراع بين الصين وامريكا. مشكلتنا كشيوعيين الاساسية هي ليست مع دولة معينة او جيش معين بل مع كل النظام الرأسمالي.

من المفهوم في اوضاع كهذه ان تنتشر نظريات المؤامرة وحتى ان تقوم امريكا والصين في اشاعة مثل هذه النظريات في الصراع الدائر بينها.

ان الصراع بين امريكا كامبراطورية في مرحلة الافول والصين كقوة صاعدة هو صراع مرير وشامل. سوف يكون لهذا الصراع، تاثير على حياة البشرية على مستوى العالم وسوف يترك بصماته على كل اوجه الحياة بما في ذلك في طريقة التفكير وتفسير الاحداث. امريكا تشعر بخطر فقدان تفوقها من الناحية الاقتصادية، ففي فترة قصيرة من الناحية التاريخية قد يتفوق اقتصاد الصين على اقتصاد امريكا لان النمو الاقتصادي في الصين هو 6% بينما في امريكا هو اكثر من 2% بقليل. لقد تفوقت الصين بالفعل من الناحية التكنلوجية . لذا تقوم امريكا بمحاربة شركة هواوي بكل مالديها من وسائل ولكن لا يبدو انها لا تنجح في هذا المجال. امريكا بدات تفقد نفوذ وحلفاء لصالح الصين، الكثير من الدول الاوربية بما فيها حكومة بورس جونسن في بريطانيا قررت ان تعطي هواوي دور في بناء الجيل الخامس من خدمة الانترنيت الخ رغم ضغوطات امريكا.

في الحقيقية، حتى وباء كورونا اصبح سبب في صعود مكانة الصين. بنظري ان فيروس كورونا والازمة الاقتصادية التي ترافقه سوف تعجل من اختلال موازين القوى لصالح الصين. طلبت ايطاليا مثلا المساعدة بشكل اساسي من الصين وليس امريكا. اعتبرت صربيا مثلا الصين املها الوحيد لمحاربة الوباء.

رغم اننا لانعرف بشكل دقيق كيف ظهر الفيروس، اي كيف انتقل من الحيوانات الى الانسان. الا اننا نعرف حقيقة معينة من الاوبئة المماثلة الاخرى مثل انفلونزا الخنازير وهي ان حدوث طفرة على الفيروس تمكنه من اصابة الانسان، تتطلب ان يعيش الحيوان في ظروف سيئة مما يؤدي الى ضعف جهاز مناعة الحيوان الذي يأوي الفيروس. وهذا يحدث بسبب ممارسات تتعقب الربح في تربية الحيوانات كان نضع عدد كبير من الحيوانات في مكان صغير او ان نجمع حيوانات، لاتعيش معا في الطبيعة في مكان واحد وهي عادة مايكون جهاز المناعة عندها غير مهيأ لمقاومة فيروسات الحيوانات الاخرى. هذه المسالة تحدث اما في مزارع تربية الحيوانات او من خلال المافيات التي تتاجر بالحيوانات على المستوى العالمي والتي تباع لاغراض مختلفة منها من اجل اللحم. مثل هذه الاسواق نشطة في اسيا بشكل ملفت للنظر.

الفيروس لايشكل فقط خطر بايولوجي جدي على حياة الجماهير بل يهدد بشكل خطير معيشة الملايين حول العالم وسوف يتم تدمير حياة الملايين من البشر من الناحية الاقتصادية اذا لم تقوم الحكومات حول العالم باجراءات ضخمة وغير مسبوقة وبشكل سريع.

لقد دخل الاقتصاد الرأسمالي بالفعل في ازمة عميقة. بنظري الازمة المرتقبة سوف تفوق ازمة 2008 وربما ستكون بشدة ازمة 1929 التي تسمى بالكساد الكبير والتي بدأت في سنة 1929 واستمرت الى 1941 ولم تنتهي الا بسبب التعبئة للحرب العالمية الثانية والمجهود الحربي والسياسات التي تبناها قادة الرأسمالية في تاسيس مايسمى بدولة رفاه. ففي امريكا مثلا قام الرئيس الامريكي حينها فرنكلين دي روزفلت في وقتها تحت ضغط مؤتمر اتحاد نقابات هائل وحزبين اشتراكيين وحزب شيوعي في خلق بين 12-15 مليون وظيفة في القطاع العام وضمان التقاعد وضمان البطالة والرعاية الصحية في اوج الازمة رغم قلة الموارد.

علينا كشوعيين ان نوكد بان فايروس كورونا ليس اساس الازمة الاقتصادية التي تضرب الاقتصاد العالمي. في الحقيقية الاقتصاد الرأسمالي كان على ابواب ازمة عميقة ولم يكن الفيروس الا عامل ساعد على تفجير الازمة. يجب ان تنذكر بان النظام الرأسمالي اينما اصبح النظام السائد منذ ولادته قبل 300 سنة تقريبا لحد الان يدخل في ازمة كل 4-7 سنوات كمعدل. احيانا قد تكون الفترة اطول واحيانا اقصر ولكن بشكل عام بقى هذا معدل الفترة التي تفصل بين ازمتين. فالازمة الاقتصادية الدورية هي من صلب النظام وهي خلل بنيوي لايمكن للنظام الرأسمالي التخلص منها رغم كل الجهود التي بذلت لمنعها. كانت اخر ازمة اقتصادية في 2008 لذا فان الازمة تاخرت بسبب الاجراءات الاقتصادية التي اتخذتها الحكومات لتاجيلها والمستندة على زيادة الدين. كان بالامكان ان يكون العامل الذي يفجر هذه الازمة الحرب على اسواق النفط، عمل ارهابي، حرب عسكرية، وباء اخر، ازمة سياسية في بلد كبير او اشتداد الحرب التجارية او حتى الخوف من احتمال حدوث ازمة. السبب الاساسي للازمة هو ببساطة وصول عدم المساواة الى مستويات هائلة. لقد قلصت حصة الطبقة العاملة من ثروة المجتمع على شكل زيادة في الاجور وقلصت القوة الشرائية للطبقة العاملة التي هي محفز الرأسمالي للاستثمار في انتاج البضائع والخدمات. لقد تم التغلب على هذه المشكلة لفترة معينة عن طريق زج عدد اكبر من افراد العائلة في سوق العمل وزيادة عدد ساعات العمل. وعندما لم تحل هذه الحلول المشلكة، التجا العامل الى الاقتراض من قروض البيوت الى بطاقات الائتمان او ديون الدراسة من اجل المحافظة على المستوى المعاشي والاستهلاك. من جهة اخرى عندما لايكون هناك حافز امام الرأسمالي للاستثمار في الانتاج يتوجه الى اسواق الاوراق المالية والبروصات وخلق فقاعات في قطاعات معينة مثل اسعار الاسهم او اسعار البيوت. في هذه الاوضاع، مع ظهور اول مشكلة مثل فقدان عدد كبير من العمال لوظائفهم لاي سبب وتخلفهم عن دفع قروض البيوت وغيرها من القروض فينهار قطاع اقتصادي معين ومن ثم ينتقل التاثير الى القطاعات الاخرى ليشمل كل الاقتصاد، بسبب الترابط الوثيق بين كل القطاعات المختلفة. ان الحلول التي قدمت لازمة 2008 التي تركزت على ضخ كميات هائلة من الاموال الرخيصة في ايدي البنوك والشركات الاحتكارية قد فاقمت الازمة. لقد استخدمت هذه الاموال في اعادة شراء اسهم الشركات من قبل الشركات نفسها من اجل رفع سعر الاسهم و خلق فقاعة اكبرمما يهيأ الارضية لازمة اكبر. يجب ان نؤكد بان الفيروس كان الابرة التي فجرت الفقاعة و سبب الازمة هو ليس الفيروس. تحاول البرجوازية ان تخلق تصور بان الازمة الخانقة التي تمسك بخناق البشرية هي بسبب وباء كرونا فقط. فمن مصلحة النظام الرأسمالي بان يخلق مثل هذه القناعة لدى الجماهير لان في هذه الحالة لايمكن لوم النظام . بشكل عام الغضب هو اقل تجاه النظام عندما يكون السبب الظاهر للازمة فيروس مما اذا كانت ممارسات هؤلاء الذين يتحكمون بالاقتصاد الرأسمالي في مسعى لتعقب الربح. فالفيروس هو مثله مثل اي كارثة طبيعية مثل الجفاف والفيضانات خارج سيطرة النظام، رغم ان اغلب موجات الجفاف والفيضانات والكوارث "الطبيعية" الاخرى في يومنا الحاضر هي بسبب النظام.

لقد فضحت هذه الازمة النظام الاقتصادي الرأسمالي في الكثير من النواحي. لقد برهنت بان القطاع الخاص والية السوق عديمة الجدوى في هذه الاوضاع رغم كل مايقال في الاعلام والجامعات والمنابر الاخرى عن قدسية القطاع الخاص والية السوق واهميتها وسحرها في تنظيم الحياة الاقتصادية وفي التطور. يجب علينا كشيوعيين توضيح هذه الحقيقة. لقد تبين بشكل لا لبس فيه بان كل مانريد القيام به من اجل السيطرة على الفيروس والازمة الاقتصادية هو بالضد من قوانين و ممارسات وتقاليد واخلاق النظام الرأسمالي.

فجاة تطلب الحكومات وقادة الراسمالية التي عادة ماتقدس الجشع والمنافسة وعدم المساواة والفردانية وغيرها من الافكار من الرأسمالي ان لايتصرف بالطريقة التي يطلب منه النظام ان يتصرف وان يقوم بكل ماهو ضد الراسمالية، كأن لا يرفع اسعار البضائع عند الندرة وعندما يزداد الطلب عليها، مثلما ما حدث مع الكفوف والمعقمات والكمامات و المواد الغذائية وينادون بان نتبنى الاحساسات والممارسات الانسانية وتلك التي تعزز التعاون والتاخي. في وقت ان التلاعب بالاسعار وابتزاز اموال الناس والجشع والمنافسة هو سلوك طبيعي للسوق الراسمالي. فجأة يتبين بان علينا اللجوء الى اليات غير الية السوق لمواجهة الازمة.

يقولون لنا ان التعاون العالمي في مجال التكنلوجيا والافكار الخ هي افضل طريقة للتصدي للفيروس والازمة الاقتصادية. في وقت ان السلوك الطبيعي للشركات والحكومات الرأسمالية هو القيام بكل مايمكن القيام به من اجل المحافظة على افكارهم و ابداعاتهم وتكنلوجيتهم وعدم مشاركتها مع الاخرين لان هذا يحقق لهم ارباح اكبر.

كل الحلول التي تطرح وتلك التي يجب ان تطرح تفضح النظام. فمنطق الرأسمالية يقول تستثمر عندما يكون الاستثمار مربح. في حين ان هذا الوباء يوضح بشكل لالبس فيه بانه يجب ان تقوم الحكومة بالاستثمار الان سواءا كان مربحا ام لا. يجب ان تصرف على عدة الفحص وعلى اجهزة التنفس الاصطناعي وعلى صحة ومعيشة الافراد بما فيهم المشردين. في الحقيقة لقد وجد مناصري هذا النظام انفسهم في وضع يتوجب عليهم فيه التخلي عن كل قيم الرأسمالية من اجل حماية الرأسمالية. لقد كان هدف واولوية الرأسمالي هو ليس فقط الربح بل الربح الان. ولكن تبين بان الاقتصاد يحتاج الى الاستمار ليس عندما يكون مربحا وعندما لايكون الربح آنيا. ولكن يجب ان نسأل انفسنا، لما لانتصرف بهذا الشكل في الاوقات العادية اي عندما لايكون هناك ازمة؟ يصعب على مدافعي النظام الجواب على هذا السؤال.

في البداية اغلب الحكومات ارادت ان تقوم باجراءات محدودة لمكافحة الوباء لاتضر بالاقتصاد. وكان التركيز والحديث حول القيام بنفس الاجراءات التي قاموا بها في ازمة 2008 وهي دعم البنوك والشركات العملاقة على امل ان الفائدة سوف تسري على المجتمع ككل، اي اتباع سياسة التساقط الاقتصادية.

ولكن هذه الاجراءات بينت حجم الفجوة التي تفصل النخبة البرجوازية وحكوماتها عن الواقع. لقد تبين في خلال ساعات وايام قصور تلك الاجراءات. فلكي يكون العامل قادرا على المساهمة في الحد من الوباء والالتزام بالحجر الصحي يجب ان يكون بامكانه عدم الذهاب الى العمل والتخلي عن الاجر ولكن عقود من السياسات النيوليبرالية ومارافقتها من اضعاف القوانين التي تحمي حقوق العمال والتشغيل بعقود يعني بان جزء كبير من العمال ليس لهم حق في اجازة مرضية وليس لهم مدخرات كافية.

تبين بسرعة ان مثل هذه الاجراءات سوف تكون غير مجدية ولن تكون مقبولة من قبل المجتمع. فالكثر من الحكومات بدات تعي بان عليها اخذ اجراءات صارمة تشل الاقتصاد, وتخصيص مبالغ اكبر تصل الى الترليونات لدعم ليس فقط الشركات الاحتكارية والرأسماليين بل الطبقة العاملة ايضا. الكثير من الحكومات وعدت بانها ستدفع ضمان البطالة لاي شخص يفقد وظيفته في هذا الوقت،

وستتكفل بمصاريف العلاج وسوف تسمح للعمال من تأجيل من دفع المستحقات الشهرية لقروض البيوت بدون اي عقوبة مالية من البنوك الخ. لقد ادركت الطبقة الحاكمة باننا في وضع لم يسبق له مثيل، فما من ازمة اقتصادية بما فيها الكساد الكبير في عام 1929 حدثت بهذا السرعة. لذا يقومون برمي بكل الاجراءات التي في حوزتهم لتحفيز الاقتصاد.

الاموال التي ضخت من اجل تحفيز الاقتصاد هي ضخمة. ولكن هل ستكون كافية لمعالجة الازمة حتى اذا لم تذهب معظم تلك الاموال في مساعدة الشركات والراسماليين؟ بنظري ليست كافية. الاقتصاد الرأسمالي مستند على الدين. لقد بلغ دين الحكومات والاحتكارات والافراد اعلى المستويات في تاريخ هذا النظام. هناك اموال هائلة وسيولة هائلة في الاقتصاد في وقت ان الانتاج قد تباطئ بشكل هائل بسبب الفيروس. هذه السياسة سوف لن تؤدي الى زيادة الانتاج الا في قطاعات محدودة. السيولة المالية ليست كافية. في وضع مثل هذا هناك خطر جدي من حدوث تضخم هائل في الاسعار بحيث يصبح ضمان البطالة التي توفره الدولة عديم الجدوى. ان غياب البضائع والخدمات مع وجود سيولة مالية قد تؤدي الى تضخم كبير في الاسعار الذي قد يجعل ضمان البطالة او التقاعد التي تدفعه الدولة قليل الفائدة.

كما ان الاقتصاد الراسمالي يعتمد على الاستهلاك الهائل ونمو مستمر لكي يعمل بشكل طبيعي، وهذا يتطلب انتاج هائل و استهلاك هائل وهو امر غائب مما يعني تفاقم ازمة النظام. لذا يجب على الدولة ان تتدخل بشكل هائل في الاقتصاد من اجل تحفيز الاقتصاد و السيطرة على الوباء و بشكل يتم فيه اعادة ترتيب وهيكلة الاقتصاد الى حد كبير.يجب التخلي عن أليات السوق الذي يقدس في النظام الرأسمالي في الكثير من الميادين. يجب على الدولة ان تضمن معيشة العمال وضمان تكاليف الصحية فان كان ضمان البطالة غير كافيا يجب ان تلجأ الى تقنين البضائع والمواد الغذائية كما حدث في الحرب العالمية الثانية في امريكا مثلا.

وهناك دلائل على خطوات اولية في هذا الاتجاة فمثلا قامت اسبانيا بتامين المستشفيات لاستخدامها في محاربة الوباء و قامت ادارة دونالد ترامب بتفعيل قانون الانتاج الدفاعي وهو قانون اصدر في 1950 في بداية الحرب الكورية من اجل الحشد للحرب في اطار الحرب الباردة حيث يمكن القانون الرئيس من استخدام القاعدة الصناعية الامريكية والشركات الخاصة لتسريع وتوسيع انتاج البضائع والموارد التي تحتاج اليها الحكومة. كأن يوجه معمل معين بان يقوم بتصنيع بضاعة مثل الكمامات او المعقمات مثلا. وكان تقوم الحكومة باستخدام الفنادق والبنايات الفارغة التي لايستخدمها احد لكي تجعلها مسكنا للمشردين والمحجوز عليهم لاسباب صحية الخ

لقد انفضح النموذج النيوليبرالي لادارة المجتمع من جراء هذا الوباء وهذه الازمة. لقد اصبح واضحا بان الهجمة النيوليبرالية على الخدمات الاجتماعية وحصة الطبقة العاملة من الثروة وعلى ظروف العمل وحتى على التضامن والوحدة في المجتمع قد جعلت المجتمع بشكل عام ضعيف في مواجهة مشاكل مثل جائحة كورونا. سوف يتجه المجتمع الى اليسار. سيتولد وعي في المجتمع لم نكن نتخيله حتى قبل قبل فترة وجيزة. سيكون هناك استعداد اكبر للنضال من اجل حياة افضل. ستطرح الكثير من الاسئلة. من الممكن ان تقوم الطبقة الحاكمة بطرح الاشتراكية الديمقراطية كحل. ولكن على الشوعيين التاكيد بان العودة الى الاشتراكية الديمقراطية هي ليست الحل. يجب ان نثبت بان الحل هو ليس في زيادة تدخل الدولة في الاقتصاد وان كان هذا افضل من السياسات النيوليبرالية.

يجب ان نثبت بان بناء دولة الرفاه سوف لن يكون الا انجاز وقتي. لقد تم بناء دولة الرفاه في خضم الكساد الكبير والحرب العالمية الثانية والفترة التي تلتها، الا انه تم مصادرة انجازات دولة الرفاه تحت هجمة اليمين البرجوازي. وهذا التذبذب بين المزيد من تدخل الدولة في الاقتصاد وبين تحديد دور الدولة في الاقتصاد هو صراع غير مجدي. استمر هذا الصراع منذ ولادة النظام الراسمالي ولحد هذا اليوم وهذا دليل على ان اي من تلك الحلول هي ليست الحل. يجب ان نناضل من اجل احداث تغير جذري في الاقتصاد وهو تغيير العلاقات في موقع الانتاج.

النظام الرأسمالي ليس مهيئا لمواجهة الازمات التي ستواجه البشرية بسبب سيادة نمط الانتاج الراسمالي.

حذر العلماء لسنين من ان مسالة انتشار وباء كبير هي مسالة وقت. لقد حدثت مثل تلك الاوبئة على نطاق اصغر من قبل، مثل سارس وميرس وانفلونزا الطيور. رغم ذلك لم يتم انتاج وتخزين الكميات المطلوبة من المواد اللازمة لايقاف الاوبئة و انتقال الفيروسات الخطيرة او المواد اللازمة لتشخيص وعلاج المرضى مثل عدة الفحص والادوية و اجهزة التنفس الصناعي. لم يتم القيام بهذه الاعمال لان القيام بها ليس مربحا للشركات والرساميل الخاصة.

لقد كشف كوفيد 19 عن ضعف القطاع الصحي العام وضعف البنى التحتية الصحية من مستشفيات واجهزة حتى في اغنى الدول. في اغلب الدول المتقدمة، الانظمة الصحية بالكاد تتمكن من تلبية الطلب على الخدمات الصحية في الاوقات العادية فكيف الحال بالنسبة لوضع مثل وضع اليوم. لقد كشف كوفيد 19 بان الوقت حان بان تفكر البشرية ببناء نظام اخر يختلف جذريا عن النظام الرأسمالي يكون هدفه هو الانسان ورفاهيته وليس الربح.

مرحلة جديدة، وامكانية عالم اخر!

فارس محمود

مع كرونا، العالم على اعتاب مرحلة جديدة. ليس عالم مابعد كرونا "عالم انتصار الصين في الحرب العالمية الثالثة دون ان ترمي طلقة"، ولا"عالم الثورة الرقمية وانعكاساتها على حياة الانسان"، ولا "عالم لملمة الراسمال لجراحه ومواصلة عمره كانه شيء لم يكن"، ولا "استمرار عالم وافكار السوق والديمقراطية وحقوق الانسان". انه عالم الظهور والبروز الشفاف للصراع الطبقي وتناقضاته الحادة على صعيد عالمي، عالم تصطف فيه جماهير مليونية بوجه حاكميها، العمال والكادحين والمحرومين واغلبية المجتمع بوجه الطبقة البرجوازية، اقلية طفيلية تراكم الارباح حتى في ظل هذا الوضع الماساوي.

عالم اتضحت فيه ماهية الدولة والحكومات، اليوم اكثر من اي وقت مضى، بوصفها ادوات بيد الطبقة البرجوازية من اجل ادامة ادارة المجتمع بهدف تامين تراكم الارباح وادامة عمر الراسمال، تلك الارباح المنتزعة من كدح وشقاء الاغلبية الساحقة للمجتمع، العمال. وتبين زيف كون هذه المؤسسة مؤسسة مجتمعية خارج الطبقات و"مافوق الطبقات" وتخدم مصالح "كل المجتمع".

ستترك الكورونا تغييرات كبيرة برايي على العالم قاطبة سواء من الناحية السياسية، الاقتصادية والاجتماعية، نظرة الانسان للحياة، للمجتمع، لفلسفة الوجود والخ. ستترك اثار لايمكن مقارنتها الا باحداث هائلة عمت على الانسانية، من امثال الحربين العالميتين. ان هذا ما يقر به مفكروا البرجوازية وساستها.

رغم ان القاعدة تتمثل دوماً بسعي الطبقة البرجوازية الى رمي ازماتها على كاهل العمال والمجتمع، وهذا ماشرعت به من الان الا انه يصعب على راسمالية منفلتة ان تكون ردا على اوضاع مابعد كرونا. تلقت الليبرالية الجديدة، اقتصاد السوق وكل الاطر الفكرية والسياسية التي رافقتها ضربة جدية على صعيد اجتماعي واسع. ليس بوسع البشرية ان تقبل بعد بهذا الانفلات الذي مارسته راسمالية متعطشة للدم والربح في كل مناحي الحياة من خدمات، صحة، تعليم وسائر اشكال الرفاه. هل يستمر العالم على حاله بعد كرونا مرتعاً للحروب، التشرد، الصراعات الطائفية والقومية، التمييز، الجوع، الفقر، البطالة وانعدام الحقوق؟! بعد كرونا، يصعب تقبل هذا.

ان التوازن مابين الحاكمين والمحكومين قد اختل، واختل كثيراً. تحررت الطبقة العاملة الى حد كبير من الضغط الفكري والسياسي الذي ارسفت به الراسمالية الطبقة العاملة والبشرية. فقدت الديمقراطية بريقها، وغدت تحت سؤال جدي امام البشرية جمعاء. وتبين ان ليس للديمقراطية صلة بالحرية، وليس لها ربط بتفعيل ارادة الانسان او اقرار الانسان على مصيره. اذ رات تحت عباءة الديمقراطية وحكم الديمقراطية، ان حياتها وغدها ومستقبل اطفالها اصبحت كلها وبلمح البصر في مهب الريح، وان هذه السلطات والحكومات لاصلة لها بصيانة وجودهم الفيزيقي من الاساس. وكل ما لدى الراسمالية ان "تبشر" به اكثر من 7 مليارات انسان هو ان مئات الملايين سيفقدوا فرص عملهم!!! ان مصير مجتمعات باكملها تحت السؤال، العراق اقرب نموذج لذلك.

سفهت اوضاع كورونا الدين والقومية وسائر الترهات البرجوازية وبينت عن خوائهما التامين. اذ رات البشرية بام عينها ان اول مدينة ضرب الفايروس في ايران هي مدينة قم، ولم ينفعها "قدسيت"ها في شيء! واصطف "الاسلاميون" جزعين امام الاخبار تاركين دينهم وربهم ينتظرون العلماء "الكفار" كمنقذاً لهم من محنتهم هذه!! كشفت ان انظار البشرية تتطلع للعالم اجمع، خارج الاطر القومية والمحلية الضيقة، قلبها مع قلوب اناس ذلك العالم، والاشتراك الجمعي في السعي لايجاد الحلول وللخلاص الجمعي. ان السمة الجمعية العالمية ووحدة مصالح البشر بالضد من انقسامات الاقطاب الراسمالية وكتلها هو ابرز ملامح هذا العالم.

مع كورونا، سفهت افكار "مابعد الحداثة" و"نهاية التاريخ" وان العالم هو ليس اكثر من هذا ولاتتطلعوا الى اكثر من هذا! وانه بظلمه واستغلاله وحروبه واغترابه ثابت لايتغير!

ان عالم ما بعد كرونا هو عالم يفرض على الانسان ان يعيد النظر لنفسه، للمجتمع، ولتطلعاته من الحياة والمجتمع البشري. عالم يصبح فيه السؤال "من انا؟!" و"ماذا اريد؟!" و"اين يمضي العالم؟!"، و"الى متى يستمر هذا الوضع؟! اسئلة فورية ومطروحة على طاولة المجتمع.

اليوم، واكثر من اي وقت مضى، "كفت" الاشتراكية عن ان تكون امراً ايديولوجياً، امراً مدرسياً او فكرياً. او "علكة مثقفين" والطبقات الوسطى والمتعلمة، الاشتراكية هي امرأ حياتياً ومجتمعياً، ولذا بوسعها ان تصبح بلمح البصر ظاهرة اجتماعية وعريضة تلف عشرات الملايين حولها.

ما ان حلت ازمة فايروس كرونا، حتى راينا عتاة الراسماليين الذين كانوا طوال عمرهم يستهزئون و"يستسخفون" كل افكار ذا نفحة اشتراكية او مساواتية او داعية للحرية، يصادقون على ماركس وقيم ماركس. ان عالم مابعد اكتوبر هو عالم ستتضخم فيه تلك القيم والمثل التي تؤكد على ان للحرية معنى، للمساواة معنى، للرفاه معنى، للطفولة معنى، للصحة والرفاه معنى، لحاجات الانسان وامكانية وضرورة تلبيتها معنى، للنضال والمقاومة بوجه النظام الراسمالي البغيض معنى، والتطلع الانساني المشترك وعالم عابر للحدود القومية والاثنية والعرقية معنى. من الان، ترى البشرية بوضوح ذلك.
كلنا راينا كيف هب ترامب مرعوباً لتوجيه النداء للعلماء والاطباء والشركات بـ:"يجب ان تتعاونوا!" و "لاتجعلوا من الربح والمنافسة محرككم" ، "العالم بحاجة الى التعاضد والتعاون" ويلهجون للمجتمع كيف ان هذه القيم يجب ان تؤخذ بنظر الاعتبار اليوم. هذا مايقولوه اليوم. اين ذهبت تنظيراتهم وافكارهم وطروحاتهم حول "الفردية" و"المنافسة بوصفها المحفز لارتقاء البشرية وتطورها" وغيرها من ترهات معادية لانسانية الانسان. بلع مفكروا البرجوازية السنتهم اثر كرونا.

لقد ختمت ازمة كرونا على احقية ماركس وافكار ماركس وتطلعاته بعالم افضل. ان من يتندر على ماركس اصبح نفسه مدعاة تندر!

ان عالم مابعد كرونا هو عالم تعاظم الصراعات الاجتماعية وحراك القوى الاجتماعية المختلفة. ان تيه البرجوازية وتخبطها وضياع بوصلتها من الناحية السياسية والايديولوجية وبالاخص افكارها الاقتصادية، وافلاس اليمين المتشدد يوفر ارضية خصبة للملمة الطبقة العاملة والشيوعية لقواها والهجمة على اسس النظام الراسمالي.

ان الشيوعية بديل ونقد لمجمل المجتمع البرجوازي، وهي السبيل الوحيد لتحرر البشر. ازفت ساعة ان تشمر عن ساعدها لشن الهجوم على طبقة، البرجوازية، لم ياتي على ايديها سوى المصائب والويلات والحروب والاغتراب وعبودية العمل الماجور. واذا اخذنا بنظر الاعتبار مجمل التطورات الجارية عل الصعيد العلمي والتقني والمعلوماتي والرقمي، ان ارساء عالم افضل، مرفه وحر هو امر ممكن. بيد انه مرهون بتدخل الطبقة العاملة والشيوعية بوصفها الضمير الواعي للحركة الداعية لاسقاط النظام الراسمالي.

وثائق

البيان الختامي للاجتماع الموسع الخامس والثلاثين للجنة المركزية للحزب الشيوعي العمالي العراقي

عقدت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العمالي العراقي اجتماعها الدوري الخامس والثلاثين في يومي الاول والثاني من تشرين الثاني وبحضور الاغلبية المطلقة لاعضاء اللجنة المركزية ووفد من المكتب السياسي للحزب الشيوعي العمالي الكردستاني.

وافتتحت جلسات الاجتماع بالنشيد الاممي ثم دقيقة صمت وقوف اجلالا للمضحين بحياتهم من اجل تحقيق الاشتراكية .وبعد ذلك تم الترحيب بالحضور وبوفد الحزب الشيوعي العمالي الكردستاني ثم تم قراءة رسالة سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العمالي الحكمتي -الخط الرسمي اذر مدرسي التي اشارت وقوف الحزب في نفس الخندق النضالي للحزب الشيوعي العمالي العراقي، خندق الدفاع عن نضالات الطبقة العاملة وجماهير ايران والعراق من اجل انهاء عمر السلطة البرجوازية .وبعد ذلك تم التصويت على جدول اعمال الاجتماع والذي تضمن؛ تقرير سكرتير اللجنة المركزية الى الاجتماع، والوضع السياسي والاحتجاجات ومكانة الحزب، الحركة العمالية ودورها في الاحتجاجات، اي حزب ننشده، المؤتمر السابع للحزب، المالية ومشاريع القرارات والانتخابات.

وتم افتتاح جدول اعمال الاجتماع عبر تقديم سكرتير اللجنة المركزية سمير عادل تقريره الى الاجتماع، والذي جاء فيه بأن الاجتماع الدوري للجنة المركزية يعقد في ظروف استثنائية تمر بالمجتمع العراقي، واكد على حاجة الحزب الى القيادة الشيوعية، القيادة السياسية والقيادة الميدانية، واشار التقرير الى مسيرة الحزب منذ الاجتماع الموسع ٣٤ الى الاجتماع المنعقد اليوم هي في منحني متصاعد وقد اعاد الحزب البريق للماركسية والشيوعية العمالية ومنصور حكمت، وعمل على ترسيخ التقاليد الحزبية وانتشار الحزب على الصعيد السياسي والفكري والاجتماعي في المجتمع واصبح يخطو خطوات جدية ومهمة لتمثيل يسار المجتمع .وبعد تشخيص نقاط ضعف الحزب في التقرير اكد على دور الحزب في قيادة الجماهير والعبور بها المسارات السياسية وسيناريوهات التي تفرضها الطبقة البرجوزاية على المجتمع من اجل تحقيق عالم افضل.

وبعد ذلك جاءت فقرة (الوضع السياسي والاحتجاجات ومكانة الحزب) قدمها فارس محمود وسمير عادل، حيث تحدثا بأن الاحتجاجات الحالية بحاجة الى تشخيص نقاط ضعفها وازالة المعضلات التي تقف امامها والارتقاء بها، وحيث اكد على دور الحزب الشيوعي العمالي العراقي وحضوره السياسي والتركيز على توحيد القيادات الميدانية، والعمل على تنظيم الجماهير وتشكيل لجان المحلات كي تكون واحدة من الركائز في تنظيم الجماهير وصيانة زخمها ورفع استعدادها وفرض بديلها السياسي . وفي بحث الحركة العمالية والاحتجاجات، اشار البحث الى انه لاول مرة في تاريخ العراق الحديث

تدخل الطبقة العاملة في الميدان السياسي وخاصة في القطاعات المنتجة مثل النفط والغاز والجلدية،واكد البحث على تقوية التيار الاشتراكي في صفوف الطبقة العاملة كي يعمق من راديكالية الاحتجاجات والارتقاء بها .

وفي بحث (اي حزب ننشده) الذي قدمه سامان كريم، اكد على انه الحزب يجب ان يرسخ اساسه ودعائمه على الطبقة العاملة، ويجب ان يرد على المعضلات الموضوعية والتاريخية بالفصل بين الشيوعية والطبقة العاملة، بين الحزب وطبقته كي يستطع بدفع استراتيجيته نحو الثورة الاشتراكية، وذكر عدة خطوات عملية للمضي بالحزب الذي ننشده .

وفي موضوع (المؤتمر) جدد الاجتماع بالتأكيد على عقد مؤتمره السابع في العام المقبل كما جاء في قرار اجتماع ٣٤ السابق، وفي مشاريع القرارات اقر الاجتماع باطاره العام على تنظيم حركة ضمان بطالة، كما قرر الاجتماع على تحويل وثيقتين سياستين الى المكتب السياسي للاقرار عليهما وصياغة مشروع قرار يرد على الوضع السياسي والاحتجاجات الجماهيرية وبديل السياسي للجماهير .

وفي فقرة الانتخابات انتخب الاجتماع بالاجماع سمير عادل سكرتير اللجنة المركزية ونادية محمود وسامان كريم وخليل ابراهيم وفارس محمود اعضاء في المكتب السياسي.

وانتهي الاجتماع بكلمة لسمير عادل اكد فيها حاجة المجتمع الى الحزب والى قيادة شيوعية، قيادة سياسية وميدانية لها حساسية عالية تجاه المسارات السياسيه في المجتمع، واشار الى ان القيادة الحالية التي اجتمعت ليومين متتالين وبالرغم من كل الجدالات والاختلافات في وجهات النظر والاراء الا انه هناك اصرار على وحدة الاراده والتصميم على تقوية التقاليد الحزبية والشيوعية والمضي قدم في المجتمع من اجل انتصار الشيوعية العمالية .

واختم الاجتماع بالنشيد الاممي، وسادت الاجواء الثورية الاجتماع في نقاشات وجدالات معمقة حول الاحتجاجات ودخول الطبقة العاملة في الميدان السياسي وكيفية تنظيم القطاعات المختلفة من المجتمع وخاصة العاطلين عن العمل، وكان هناك انسجام كبير في توجه الاجتماع والاتفاق في دفع هذه الاحتجاجات الى الامام وتقوية الشيوعية في صفوفها كي تتمكن من الانتصار النهائي .

3 تشرين الثاني 2019

سياستنا تجاه الانتفاضة الجماهيرية الحالية

ان المطالب العادلة للجماهير من اجل حياة حرة وكريمة كانت ومازالت تشكل المسألة المحورية والجوهرية في احتجاجاتها المتكررة طوال هذه السنوات، وتحولت هذه المرة ومنذ بداية شهر اكتوبر الى انتفاضة واسعة، بالرغم من انها جوبهت بوحشية وقمعت في العديد من مدن العراق بشكل قل نظيرهما من قبل القوات الحكومية والمليشيات المتعاونة معها.

ان احدى مميزات الاحتجاجات الاخيرة (إنتفاضة اكتوبر) بجانب المطالب الاقتصادية و السياسية، هي مطالبة الجماهير المحتجة بانهاء دور سلطة الاسلام السياسي ورموزها في الحياة السياسية و الاجتماعية، و المطالبة بهوية المواطنة بدلا من الهويات الطائفية و المذهبية.

ويعتبر دخول الطبقة العاملة الى الميدان السياسي وخاصة عمال النفط والموانئ والغاز اضافة الى قطاعات اخرى- وبالرغم من محدودية تدخله، هي سابقة تاريخية خلال خمسة عقود من الزمن، مما يفتح المجال للعمل والسعي لسيادة افق تحرري وثوري على الصعيد الاجتماعي.

و السمة الاخرى هي مشاركة النساء في هذه الاحتجاجا، والتي اعتبرت سمة مميزة اضافت زخما كميا ونوعيا على الاحتجاجات.

ان الاحزاب والقوى البرجوازية المتمثلة بالاجنحة الاسلامية والقومية المتصارعة على السلطة والقوى الاقليمية والدولية تحاول استغلال سخط الجماهير وغضبها ضد الفقر والبطالة والفساد لتحقيق مصالحها واجندتها التي ليس لها اي ربط لا من بعيد ولا من قريب بمصالح الجماهير من العمال ومحرومي المجتمع.

نحن في الحزب الشيوعي العمالي العراقي، نؤمن بان الانتفاضة الحالية هي مشهد من مشاهد الصراع الطبقي في العراق و ان الجماهير العمالية و شباب العاطلين عن العمل، و النساء المسحوقات تحت وطأة القوانين و الشرائع الاسلام السياسي، هدفها انهاء الفقر و تامين حياة لائقة بالانسان المعاصر وتأمين المساواة و الحرية لكل فرد في المجتمع العراقي.

نحن كجزء من الحركة العمالية و الشيوعية في العراق، نناضل من اجل بناء مجتمع تسوده الحرية و المساواة تحت السلطة الثورية للعمال و الكادحين و كافه شرائح المجتمع المظلومة و المستثمرة.
ان بناء سلطة ثورية تحافظ على مصالح الاكثرية المطلقة للمجتمع العراقي تتجسد في حكومة عمالية، حكومة مبنية على اساس المشاركة المباشرة للجماهير في السلطة و ادارا امورها الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية .سلطة مبنية على الديموقراطية المباشرة، حيث كافة الهيئات الادارية تنتخب من قبل الجماهير في مجالسهم المحلية و على صعيد المدن و المحافظات و على صعيد البلاد كافة.

نحن في الحزب الشيوعي العمالي العراقي نحاول بكافة قوانا من اجل اعداد الطبقة العاملة و الكادحين و النساء و الشباب التحررين للقيام بانشاء تلك السلطة من خلال ثورة جماهيرية عارمة ضد السلطة البرجوازية و ممثلها الاسلام السياسي و ميليشياتها و كافة عصاباتها خادمة الامبريالية و دول المنطقة الرجعية التي حولت العراق الى الخراب و جلبت لها الويلات السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و حروب و صراعات داخلية لا تنتهي.

ان الحزب الشيوعي العمال العراقي وكجزء من استراتيجيته يسعى للدفع بنضالات الجماهير العمالية والكادحة والمحرومة ودعاة الحرية والمساواة وحركاتهم واحتجاجاتهم وحشد قواهم صوب انهاء عمر هذه السلطة وهذا النظام للاسلام السياسي البغيض، بمؤسساتها، ببرلمانها، بمليشياتها، بفسادها ونهبها وتنصلها التام عن ادنى حقوق الجماهير وحرياتها.

عليه على اية نظام يحل محل النظام الحالي، تحقيق ما يلي فورا:

١ -ايقاف مسلسل الاعتقالات واطلاق سراح المعتقلين فورا.
٢ -اطلاق الحريات السياسية مثل حق التظاهر وحق الاضراب وحق التعبير عن الرأي وصيانة وحماية وسائل الاعلام ووقف قطع شبكات الانترنيت، وازالة كل اشكال القمع امام ممارسة تلك الحريات.
٣ -الكشف عن كل المتورطين في عمليات اطلاق النار على المتظاهرين ومحاكمتهم بشكل علني.
٤-محاكمة جميع الفاسدين وبشكل علني ومهما كان منصب او المركز الحكومي للفاسد.
٥ -ضمان بطالة لكل عاطل عن العمل حتى ايجاد فرصة عمل مناسب.
٦ -قيمة ضمان بطالة بما يتناسب مع المستوى المعيشي.
٧ -توفير سكن لائق لكل من لايملكه.
٨ -تأمين الخدمات الصحية المجانية والتعليم المجاني اللائق من قبل الحكومة
٩ -توفير الكهرباء ومياه الشرب باسعار مناسبة.
ان اية حكومة تبقى او تاتي ملزمة بتنفيذ هذا البرنامج.

الاجتماع الموسع ال٣٥ للجنة المركزية للحزب الشيوعي العمالي العراقي
بداية شهر تشرين الثاني ٢٠١٩

للاطلاع العام:

ادناه رسالة سكرتارية المكتب السياسي للحزب ردا على استقالة الرفاق الواردة اسمائهم في الرسالة. لم يعلن الحزب هذه الرسالة، بل اكتفى باعلام كوادر الحزب بها في حينها. ابلغونا الرفاق انهم لن يعلنوا استقالاتهم، وابلغنا الرفيق سامان انه سيرسلها الى عدد من الاشخاص خارج الحزب، فلم نعلن ردنا. الا انه، وحسب معلوماتنا، نشر رسالته في اوساط واسعة نوعا ما مما سلبنا عملياً توضيح موقفنا وردنا لمن ارسل لهم استقالته. ولكن طالما اعلن الرفاق عن تاسيس منظمة، فهذا يعني عمليا اعلان استقالتهم، نرى من الضروري ان نعلن هذا الرد للشفافية والوضوح ولتوضيح الحقائق. لا اكثر.

سكرتارية المكتب السياسي

16 نيسان-ابريل 2020

الى الرفاق في اللجنة المركزية الحزب الشيوعي العمالي العراقي
الرفاق في تنظيمات الحزب
تحية طيبة

رفاقنا الاعزاء.. نود عبر هذه الرسالة ان نطلعكم على موضوع يتعلق بالاستقالة الفردية للرفاق كامل احمد، سامان كريم وعامر رسول. للاسف جرت الامور بالشكل التالي: ارسل كامل احمد رسالة استقالته من الحزب قبل اقل من ساعة على اجتماع المكتب السياسي يوم 12 اذار، وقبل بدء جلسة المكتب السياسي، طلب سامان كريم من المكتب السياسي ان يمنحه وقت ليعلن استقالته من الحزب وغادر الاجتماع. وفي يوم 14 اذار واثناء اجتماع اللجنة المركزية اعلن عامر رسول استقالته من الحزب، وارسل رسالة استقالته في اليوم اللاحق. ان مبررات رسائل استقالة الرفاق تكاد تكون واحدة او متقاربة.

ان استقالة رفاق مناضلين وقضوا عمر مديد معنا في نضال يومي دؤوب هو امر يبعث على الاسف فعلا. ولكن مثلما هو تقليدنا يعد الانضمام للحزب او ترك صفوفه عملا وحرية فردية واختيار سياسي.

كانت للرفيق سامان كريم وكامل احمد بدرجات محدودة جدا ((وعامر رسول الذي لم نسمع منه خلافات جدية تذكر من الاساس، ورسالة استقالته ومايسميها اختلافاته هي دون اي خلفية او مقدمات

سابقة على الاطلاق))، اراء مختلفة عن بقية اعضاء المكتب السياسي واللجنة المركزية في السنوات القليلة الاخيرة في مواضيع مثل حرب داعش، حرب الموصل، الاستفتاء في كردستان، سبيل حل قضية كركوك وغيرها. وقد لجأنا كالعادة في جميع الاجتماعات الى القنوات الاصولية والقانونية المتعارف عليها بهذا الصدد، نوقشت المسائل باستفاضة على صعيد اجتماعات المكتب السياسي وبلينومات اللجنة المركزية ومؤتمراته بشكل عادي واصولي. الا انه في احايين كثيرة، لم تحصل طروحات اراء الرفيق سامان على قبول اعضاء اللجنة المركزية والمكتب السياسي حولها، وهذا امر طبيعي. حيث الاختلاف في الراي بالنسبة لاحزاب واقعية تعيش في خضم صراعات اجتماعية عديدة هو امر لامفر منه. اذ ليس الحزب الشيوعي العمالي فرقة دينية او مذهبية.

ان للحزب دوما قنواته الاصولية لذلك: فتح الحزب اوسع الابواب امام النقاش السياسي وتبادل الاراء من جهة، وتم اتخاذ القرارات عبر الالية التقليدية: الاغلبية والاقلية. ان مسؤولية اقناع الاخرين براي او سياسة او توجه هي مسؤولية الرفيق طارح الراي والسياسة. ليس الحزب مسؤولاً عن عدم تمكن رفيق ما عن اقناع رفاقه الاخرين بما يرى من نظرات ومن تصورات في وقت كانت الابواب مشرعة له لذلك. خاصة وان الرفاق الاخرين هم ايضا مناضلين ومضحين ومخلصين ويتعقبوا ذات الاهداف التي يتعقبوها الرفيق صاحب الطرح، وهنا يدور كلامنا حول الرفيق سامان.

خاصة وان طروحات الرفيق سامان او كامل لم تكن صحيحة وصائبة ولم تؤيدها لا الهيئات الرسمية لحزبنا، ولا الاحزاب الشيوعية العمالية الاخرى. ومنها حرب الموصل، استفتاء كردستان، سبيل حل الحزب لقضية كركوك و اخرها الانتفاضة و تظاهرات 8 اذار.

في تلك الاختلافات، لم يكن هو على حق! وان هناك العديد من الوثائق بالاضافة القرارات والمقررات الرسمية التي تؤكد هذا! خروجه وبقية الرفاق من الحزب لايعطيهم اي حقانية سياسية تذكر.

كل هذه الاراء المختلفة كنا نعتبرها امرا عاديا ولافرار منها، ليس هذا وحسب، بل ضرورية لتمحيص قرارات وتوجهات الحزب تجاه اي مسالة مطروحة.

الامور كانت طبيعية بهذا المعنى. الا ان ما هو ليس طبيعيا هي تلك الاحكام غير الواقعية التي يدرجها الرفاق في استقالاتهم الفردية. وردت فيها الكثير من الامور التي لا اساس لها، روايات ذهنية، تفسيرات غير واقعية، اختلاقات، اتهامات غير سياسية وغير مستدلة وواضحة.

لدى الرفيق سامان اعادة نظر جدية بالحزب، لقد فوجئنا في المكتب السياسي، وبعد عمل ما يقارب ثلاثة عقود، بان الرفيق سامان لايتفق مع تاسيس الحزب من الاساس وان عملية التاسيس هي خاطئة (!!)، لم نسمع هذا من قبل من الرفيق سامان، انها المرة الاولى والاخيرة، ولم يذكرها الا في رسالة الاستقالة.

من المؤكد ان الرفيق سامان يمتلك كل الحق في ان يعيد نظره بتاسيس الحزب من الاساس، الا انه مما ليس له الحق فيه، ان ينتقد الحزب على عدم تبني تصوراته بهذا الخصوص او حول المسائل الاخرى. ليس من حقه ان ينتقد الحزب لعدم سيره وراء تصوراته!

اصبح لدى الرفيق سامان تصور اخر للحزب، تصوره تصفوي، يدعو لحل الحزب وتصفيته، انه لم يتمكن حتى من تشخيص حزب اية طبقة هو حزبنا؟ وبشكل غير ماركسي، يصف حزبنا بانه "حزب غير طبقي" و"خارج الطبقات"!!. والحال، ليست هنالك احزاب خارج الطبقات.

الرفيق سامان والرفيق كامل ينظران للانتفاضة بانها حركة رجعية والحزب يلهث وراء حركة "محجوزة مقاعدها للبرجوازية". ان هذا، يعني حرمان الحزب وبشكل واقعي من ميدان من ميادين نضاله الجماهيري الاقتصادي والسياسي وجعله معزولا عن الصراع الاجتماعي الدائر اليوم. ان دور حزبنا في الانتفاضة ، على الرغم من عدم رضانا عنه، ولدينا الكثير من الملاحظات والمؤاخذات والنقد على عملنا، الا ان الرفيق سامان وبدون دليل واضح ومقنع لبقية الرفاق في اللجنة المركزية والمكتب السياسي، يتهم الحزب بـ"الشعبوية" و"غير العمالية"، "الانجرار وراء البرجوازية". ان هذا تعامل غير جدي وغير مسؤول تجاه الطبقة العاملة ومختلف الفئات الكادحة التي يتهمنا الرفيق سامان باننا منفصلين عنها ولا صلة لنا بها.

لقد اكدنا خلال كل تاريخ عمل حزبنا بان الانفصال ما بين الشيوعية والطبقة العاملة هو امر تاريخي، يعود لمرحلة ما بعد لينين ولحد الان، انقضى عليه ما يقارب قرن، وان هذا الانفصال عالمي وليس محلي. ان اعادة ارتباط الشيوعية بالطبقة العاملة هي امر تاريخي واجتماعي كبير ايضا، مرهون بتحولات تاريخية، هو بحث وموضوع واسع وكبير بالامكان مناقشته وبلوغ استنتاجات سياسية محددة منها. ليس من السياسية رميها على كاهل احد واراحة البال.

رفاق... رغم كل مساعينا الحثيثة و"رجاءاتنا" الرفاقية، ومراسلاتنا، واتصالاتنا، وطلبنا وأحاديثنا المتواصلة مع الرفاق حول ادامة العمل الحزبي والسياسي بصورة مشتركة، والتدخلات الرفاقية والشيوعية والمبدئية لرفاقنا في قيادة الحزب الشيوعي العمالي في كردستان والحزب الحكمتي (الخط الرسمي)، الا ان الرفاق قد قرروا ترك صفوف حزبنا للاسف. ان عملهم هذا مضر بالحزب والشيوعية دون شك. الا انه ليس امرأ غير متوقعا في النضال الشيوعي. يبقى السؤال هو اي خير في ترك الحزب بهذه الطريقة دون افق واضح ودون هدف واضح ودون برنامج واضح للتغيير؟! انها خطوة تيه ولا صلة لها بعمل شيوعي هادف!

لقد توفرت للرفاق دوما اوسع الابواب للارتقاء وتقوية الحزب وطرح السياسات والمشاريع. ان الرفيقين كامل احمد وعامر رسول قررا الخروج من الحزب دون ان نرى منهم بحثا، خطة، مشروع، فكرة واضحة الملامح لتقوية الحزب، استراتيجية اخرى للنهوض بالحزب او اعادته الى صفوف الطبقة العاملة كما يقولون. لم يسمع عامر سوى رواية طرف واحد من مجريات الامور، دون الرجوع لاي هيئة رسمية ويقرر على اساس تلك الرواية وبصورة احادية الجانب استقالته!
لقد اتخذ الرفيق سامان من التهديد بالعلنية، خرق القوانين الحزبية والنظام الداخلي، اسلوبا للاسف. الا ان الحزب ليس بامكانه قبول هذه الاساليب، وقد ناضلنا وسنناضل من اجل تثبيت سنن وتقاليد التحزب الشيوعي العمالي.

من المؤكد ان بعض المسائل التي طرحها الرفاق المستقيلون هي امور سياسية تستلزم النقاش والبحث والجدل السياسي. . ونحن بدورنا لسنا راضين على وضع الحزب ونعتبره لازال بعيد جدا عن ما ننشده. وان كل اجتماعاتنا وبلينوماتنا ومؤتمراتنا هي محل "انتقاد بناء وهادف" لتجاوز نواقص

الحزب ومحدودياته والتغلب على نقاط ضعفه.

ليس ثمة سبيل لعبور هذه اللحظة سوى التاكيد على الدفع باعمالنا بهمة نضالية تستلزمها اهدافنا، الارتقاء بوضع الحزب وتقوية الشيوعية على صعيد اجتماعي. ان هكذا امور واردة في العمل السياسي التي لايخلو منها يوما تاريخ الحركة الشيوعية من عصر ماركس وليومنا هذا. ليس بايدينا اداة لتغيير هذه الوضعية، لتغيير مكانة العامل والشيوعية، لتغيير وضع الانسان والحرية والمساواة سوى التمسك بهذه الاداة –الحزب- وتقويته وتحويله الى ماكنة حربية لشن نضال حازم وثوري من اجل ارساء غد مشرق.

غادر الرفاق صفوف الحزب، لا نملك الا ان نتمنى لهم الموفقية في حياتهم. انهم كانوا ولازالوا رفاق اعزاء وغالين علينا دون شك ونفتخر بالتاريخ النضالي الذي قضوه في سبيل هذه الحركة على امتداد الثلاثة عقود المنصرمة..ونتمنى لهم كل الخير والتوفيق.

سكرتارية المكتب السياسي للحزب الشيوعي العمالي العراقي
16 اذار 2020

AL-Mad

A POLITICAL INTELLECTUAL QUARTERLY ISSUED
BY WORKER - COMMUNIST PARTY OF IRAQ
NINTH ISSUE APRIL 2020